على هامش الفتنة

جدل الرأي والنص في القرن الأول الهجري

المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع

عبد الرزاق هادي الصالحي

بسم الله الرحمن الرحیم

على هامش الفتنة : جدل الراى و النص فى القرن الاول الهجرى

كاتب:

عبدالرزاق صالحى

نشرت فى الطباعة:

مجمع جهانى شيعه شناسى

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

علی هامش الفتنه : جدل الرای و النص فی القرن الاول الهجری

اشاره

سرشناسه : صالحی، عبدالرزاق

عنوان و نام پدیدآور : علی هامش الفتنه: جدل الرای والنص فی القرن الاول الهجری/ عبدالرزاق هادی الصالحی؛ [برای] المجمع العالمی لمعرفهالشیعه والتشیع.

مشخصات نشر : قم: آشیانه مهر، ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۳۵۲ ص.

فروست : مجمع جهانی شیعه شناسی؛ ۴۳.

شابک : ۵۶۰۰۰ ریال: جلد شومیز ۹۷۸-۶۰۰-۶۱۶۴-۰۲-۱ : ؛ ۷۲۰۰۰ ریال (جلد گالینگور)

یادداشت : عربی.

یادداشت : عنوان دیگر: علی هامش الفتنه.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۳۴۳]- ۳۵۲؛ همچنین به صورت زیرنویس.

عنوان دیگر : علی هامش الفتنه.

موضوع : علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- دیدگاه درباره سیاست و حکومت

موضوع : علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. . نهج البلاغه -- فتنه و فتنه انگیزی

موضوع : فتنه و فتنه انگیزی -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع : اسلام-- تاریخ -- قرن ۱ ق.

شناسه افزوده : مجمع جهانی شیعه شناسی

شناسه افزوده : The World Center for Shite Studies

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۹ /ف۲ ص۲ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : ۲۷۴۰۴۱۳

ص: ۱

اشاره

فهرس محتويات

الوفد المصرى فى المدينه ١١٦

ص: ١٠

سيكولوجيه عمرو بن العاص فى التعامل ١٥٠

ص: ١٢

خطبه أبی موسی الأشعری ١٧٠

ص: ١٣

أهم إحداثات أهل الجمل: ١٨٥

ص: ١٤

أطراف الصراع: ٢٠٥

ص: ١٥

القاسطون / تداول وتحالفات ٢٢١

ص: ١٦

وصف الامام علیه السّلام لعمرو بن العاص ۲۳۹

ص: ۱۷

حجه أخرى قبل الحرب ۲۵۶

ص: ۱۸

تداول وحوار الحكمين ٢٩٥

ص: ٢٠

٣- ضعف الوازع الديني: ٣١٥

ص: ٢١

من المروى التاريخى ٣٣٧

ص: ٢٢

ص: ۲۳

مقدمه الاستاذ علی الانصاری البویراحمدی

ص: ۲۴

مرتکزات

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (آل عمران:۱۴۴)

«سيكون بعدی فتنه، فإذا كان ذلك، فالزموا علی بن أبی طالب، فإنه الفاروق بين الحق والباطل».

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

كنز العمال، المتقی الهندی: ۱۱/ ۶۱۲

«أيها الناس فإنی فقأت عين الفتنه».

الامام علی بن أبی طالب عليه السّلام

نهج البلاغه، شرح محمد عبده، دار المعرفه، بيروت: ١٨٢

«أنصروا علياً ! فوالله إنه لعلى الحق آخراً وأولاً.. اللهم أشهد إنى قد بايعت علياً والحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم، ثم أوصى ولديه: كونا مع على! فستكون له حروب كثيره، واجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل».

حذيفه بن اليمان

مروج الذهب، المسعودى: ٢ / ١٥١ – ١٥٢

«كان مع على – رضى الله عنه– أصحاب النبى صلى الله عليه وآله، وكان مع معاويه أعاريب اليمن لخم وجذام وغيرهم من القبائل» .

البخارى، التاريخ الصغير: ١ /٩٩.

«لو أنا نظرنا فى السنه نظراً سليماً لرأينا أن ما صنعناه نحن المسلمين يوم السقيفه، كان سبباً لكل المتاعب التى لقيتها أمه الإسلام».

د. حسين مؤنس

عالم الإسلام، طبع دار الزهراء للإعلام العربى، ١٤١٠ه‍–:٥١.

مدخل

إنَّ جمله مواقف وأحداث وظواهر برزت بعيد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان لها الدور الأبرز في المنعطف التاريخي في حياه الأمه و دوله الإسلاميه، لما له من صله بالتأسيس لمستقبل الرساله والأمه، ولما اكتنفه من تداعيات أُنشئ وفقاً له منهج لتداول السلطه كان معبراً عن الواقع التطبيقي للتجربه التي أعقبت سجالات السقيفه والنزاع على اقتسام تركه النبي (ص) والتي عبر عنها الفرقاء بأنها [سلطان محمد].

ولا بدَّ للمسلم أن يقف عند تلك التداعيات ناظراً إليها من خلال مرجعيته الإسلاميه، وما أسسه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لمستقبل الرساله الإسلاميه بعالميتها وشموليتها زمانياً ومكانياً، كي يتميز موقف ويمتاز هو عن سابقيه ممن قرأ واقفاً على تلك التداعيات وما أعقبها من تجسمات الواقع متخذاً منها مرجعاً للحكم والاحتكام حتى على حساب المرجعيه الأم في أحايين كثيره. وإن لم يكن لتداول السلطه منهج واضح بيِّن من خلال الواقع التطبيقي، فالاجتهادات قد تجاوزت تداول السلطه إلى ميادين الرساله الأخرى تبريراً للأمر الواقع والتجربه التي قامت بُعيد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، خصوصاً إذا ما اتخذنا من التأسيسات القرآنيه متجهاً عاماً في ما رسمته للإنسان كخليفه لله على أرضه، حاملاً للأمانه، يضاف إلى ذلك التكليف والمسؤوليه

التي يترتب عليهما كل ما يكون مظهراً للخلافه والأمانه والتي تحملها الإنسان وقد أشفق سواه من المخلوقات من حملها.

ص: ٣٢

كان الرسول صلى الله عليه وآله مثلاً يساوى فى العطاء بين المسلمين - مهاجرين وانصار- وهذا تأسيس مرجعى شمولى وعام لكل زمان ومكان وتبعه أبو بكر الخليفه الأول على هذا المنحى، إلا أن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب اجتهد - وكان كثير الاجتهادات- مقابل السنه والسيره النبويه المباركه؛ ففرق فى العطاء متذرعاً بأن من قاتل مع الرسول صلى الله عليه وآله ليس كمن قاتله فكان هذا التأسيس - القياسى- منفذاً لمن تولى أمر المسلمين فيما بعد ليميز بين أهله وسواهم ومواليه عن غيرهم، بل تعدى ذلك لتكون الأمصار معياراً فى هذا التفاوت، إذا ما كان هناك توزيع لبيت مال المسلمين - التسميه وحدها تمنع وضع مثل تلك الفوارق - وليكون السواد وهو مما أفاء الله تعالى على جنده بأسيافهم - «كلّه بستان لقريش» ولو أنّ رَجُلًا قدّم فيه رِجْلًا لم ترجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقُطِعت(١).

فلا يُرى مبرر - مرجعى - لخلق مثل تلك الفوارق بين «مجتمع الأخوه» على وفق التأسيس المفهومى الرسالى، كما لا يُعلم أساس لاستحسان الرواه والمؤرخين وأهل السير والفقهاء لتلك الاجتهادات وغيرها، فلم يتوقفوا عليها، كما أهملها أهل المناقبيه والتفضيل التسلسلى على اعتلاء سده الحكم وتولى الأمر، وبأى سبيل كان ذلك وبأيه وسيله، غلبه، قهراً، أو عهداً وبيعه، رضاً أو كراهيه(٢)، وما شاكل ذلك من

١- هذه حواريه بين مالك الأشتر وسعيد بن العاص والى عثمان على الكوفه. النص: فقال سعيد إنما هذا السواد بستان قريش، فقال الأشتر أتزعم أن السواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان، انظر: الكامل، ابن الأثير: ٣/ ٣٠، ٤٠، الفتوح، ابن أعثم الكوفى : ٢/٣٨٥.

٢- كان المبايع لمعاويه بعد «الصلح» يقول له أبايعك كارهاً فيقول معاويه: قد جعل الله فى المكروه خيراً كثيراً!!

تسـميات ومسـميات - انتزعت مما آل إليه الوضع - لا تمت للرساله والرسول صـلى الله عليه وآله بأيه صـله !!! وحتى إذا ما تولى عثمان بن عفان كانت مساحه الاجتهاد مقابل النص تتسع يوماً بعد يوم وتتجاوز حدودها لتعم كل من يمت بصله الى خليفه سواء كان خارج دائره السـلطه أو داخلها.. فاسـتأثر الخليفه ببيت المال، وحمل آل أبى معيط على رقاب الناس (حسب عمر)، فبدأ بأبى ذر صاحب رسول الله صـلى الله عليه وآله فنفاه إلى الشام، ولما كان لمعاويه هدف بعيد - ينافس عليه حسب وصيه أبى سفيان - أرسـل إلى الخلفيه طالبـاً منه أن يبعـد عنه صـاحب رسول الله صـلى الله عليه وآله - أبا ذر- وقـد جاء فى رساله معاويه: «إن كان للخليفه فى الشام شـغلٌ، فليبعـد أبا ذر عنها»، فأبوذر قد أفسد الشام(١)، فكـان صوت أبى ذرمنـذر - كما هو واقع الحال - بنهايه الجاه الأمـوى لو خلىَّ حُراً فى الشـام، فـأمر الخليفه أن يرسـل إليه لينفيه هو بـدوره إلى الربـذه ليموت وحيـداً وتـدفنه عصابه من المؤمنين - وهى نبوءه الرسول صلى الله عليه وآله - وهو يحدث أبا ذر عما سيناله فى مستقبل الأيام - ومن ثم يُحَكِّم الخليفه آله ورهطه فى الولايات ويتخـذ من مروان مسـتشاراً ووزيراً، فيؤول خاتم الخلافه إليه ليختم به على قتل وتحريق الصـحابه وابنائهم - ومنهم محمد بن أبى بكر- وليتخذوا عباد الله خولاً وماله دوله بينهم... وحتى إذا ما ثار المسـلمون بعد مكتابات بين الصـحابه فى المدينه والأمصار،تطلق عليهم أم المؤمنين تسميه (طغام، غوغاء)، ولتقول: قتلوا الامام فى البلد الحرام فى الشهر الحرام، وهى أول من أمال حرفه(٢) حسب المروى فى التاريخ العام. ويأتى من بعد ذلك من يقول: من

١- اليعقوبى: ٢/ ١٧١- ١٧٢.

٢- تاريخ الطبرى : ٢/ ١٢- ١٣.

قتله ظالم وخاذله معذور – انحياز صارخ – ومن ثَمَّ لتسمى تلك الأحداث التى قادها الصحابه وأهل الأمصار ضد الخليفه –والتى يراها سيد قطب(١) أنها أقرب إلى روح الإسلام من سلوك الخليفه ومعاضديه – بالفتنه والفتنه الكبرى.. ولنا أن نتساءل ! ما هو المعيار الذى تم أو يتم وفقاً له إطلاق تلك التسميات؟ والتى يقع تحت ظلالها — فضلاً عن التزييف وإضفاء شرعيه للسلوك والمواقف التى تتقاطع مع الرساله الإسلاميه بكل تفصيلاتها وتفاصيلها – تشويه واتهام لصحابه أجلاء شهد لهم الرسول صلى الله عليه وآله بالإيمان وحسن المآل وعدم التبديل بعده، فضلاً عن مظاهر سلوكهم التى كانت منسجمه مع المرجعيه الإسلاميه ومبادئها وغائيتها !! والتى نقلها من ينقل ذمهم وتجريحهم فيما دَوَّنَهُ، ولكن بتفاوت صفحات لا أكثر... فكانت نهايه الخليفه الثالث بُعيد «ما أُصطلح عليه بالفتنه»(٢) وبلغهِ مؤيدى الشرعيه «الثوره الكبرى»، وتولى الامام على بن أبى طالب عليه السّلام أمر الأمه، فانسحبت تلك التداعيات حامله معها العقده القرشيه لتكون بجملتها موقف تصدٍّ وعصيان، فتحشدت القوى المتنافره ضد شرعيه الخليفه ومن ثم الاصطفاف المصلحى والخروج عليه فى حروب ثلاث مزقت الجماعه ومجتمع الأخوه، مع ما صحبها من آلاف الشهداء والقتلى ولتثمر فيما بعد الملك

١- انظر : العداله الاجتماعيه، سيد قطب، ١٧٥وما بعدها.

٢- إنَّ الموروث التاريخى والتراجمى قد حُشد يتناقل هذا اللفظ، كما أنّ المعاصرين أخذوا ذلك بإضافه أو بدونها وقد صدرل- «طه حسين» دراسه تحت عنوان (الفتنه الكبرى)، وبحثت ضمن مؤلفات كثيره حسب وجهه نظر مناصره.

الأموی العضوض أو الهرقلیه والکسرویه(۱)، فلم یبق من الإسلام إلا الرسم، ومزق القرآن، وتحققت نبوءه «سعد بن عباده» وخشیته من المستقبل – حیث إنه قد نبه أبا بکر فی (السقیفه) یوم تنازعوا «سلطان محمد» إلی ما سیؤول إلیه الأمر لو ولیه من لیس من الأنصار أو المهاجرین !!! – فقد استبیحت المدینه ثلاثاً وسبیت نساء الذین آووا المهاجرین ونصروا الرسول والرساله یوم همت قریش بقتل الرسول صلی الله علیه وآله، فقصدهم مهاجراً إلیهم للاحتماء والانتصار بهم... ومع هذه التجسمات وسواها کیف سیتسنی لعلی بن أبی طالب علیه السّلام أن یوطد دعائم الدوله وینشر مبادئ الرساله وتلک التحدیات یتترس بها أعداء الرساله التقلیدیین وسواهم ممن یحمل علی علی قتله لمشرکی قریش، فضلاً عن الضامرین - البغض أو الشر للإسلام - والمتطلعین إلی التسلط والسلطه... ولیس لهم ما لعلی فی نفوس المسلمین. ومن هنا فهذه المحاوله تتوسم أن تعطی صوره بملامح واضحه متأسسه علی إبعاد التقاطع بین الرأی والنص والاحتکام إلیه – أی إلی النص - فی ترسیم معالم تلک الصوره للأحداث والظواهر التی اکتنفت التاریخ الإسلامی خلال الحقبه الزمنیه (۲۴– ۴۱ه-) مع استضافات لأحداث سابقه أو لاحقه لها متجه وهدفیه الرساله الإسلامیه وعالمیتها وشمولیتها لظرفی الزمان والمکان لأولویات کثیره منها:

أن الدراسات والقراءات التی تناولت هذه الفتره هی تجلیات لتبریر وتحسین صوره الفاعلین والناقلین دون الاستظلال فی فضاء المرجعیه کحاکم فی الاختلاف، وبالتالی یتسنی لنا فهم واقعیه الرساله الإسلامیه، ووعی الأحداث والظواهر علی وفق

۱- القائل عبد الرحمن بن أبی بکر، فی محاوره مع معاویه عندما أراد البیعه لیزید.

هذا الفهم المنسجم شكلًا ومضموناً مع المرجعيه الإسلاميه؛ وإنْ تباين وتقاطع مع الواقع التطبيقى للتجربه الإسلاميه.

ونرجو من الله تعالى السداد فى ما نأمل خدمةً للرساله والأمه، فإن بلغناه كان الغايه، وان قصرنا فتلك محاوله وخطوه بدء. والحمد لله أولاً وآخراً...

عبد الرزاق هادى الصالحى

۱۸ / ذى الحجه /۱۴۲۶.

ص: ۳۷

الفصل الأول

اشاره

ص: ۳۸

متجهات مستقبليه

كانت نبوه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله خاتمه للنبوات، وإن الرساله الإسلاميه رساله عالميه، فلابد أن تشتمل مبادئها على ما يتناسب وهذا المنحى وهذا المسار، ولا يصح أن تترك ميادين مهمه كثيره دون أن تُوضح أو تبين حتى يرفع الرسول صلى الله عليه وآله الحرج عن أمته وعن أجيالها في عصورها المختلفه، لذا نجد أن القرآن العزيز قد أوضح أموراً وزادت السنه الكثير بياناً؛ لتكون الحجه لله على الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فكان الرسول صلى الله عليه وآله لا يترك مناسبه إلا ويشير إلى بعض الأحداث المستقبليه، حتى أنّه حدثهم عن آخر الزمان و «إشراط الساعه، وما قبلها من أحداث وظواهر» فذكر الدجال ووصفه وتحدث عن نزول المسيح وأنه يأتم بامامكم «المهدى» وكل ذلك وغيره قد أُثر عنه صلى الله عليه وآله(۱).

ومما أشار إليه صلى الله عليه وآله للتنبيه وبما يتناسب ومحور البحث و متجاهاته:

في مكه وعند الإعلان والجهر بالدعوه الإسلاميه، وحين نزل على الرسول صلى الله عليه وآله قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين}(۲)؛ فقد دعاهم إلى مؤازرته ومناصرته،

ص: ۴۰

۱- انظر: كتاب الفتن، حماد بن نعيم المروزى : ۳۵۱.

۲- سوره الشعراء، الايه: ۲۱۴.

واشترط لهم أن من يؤازره(۱) ويناصره على أمره يكون خليفته فيهم ووصيه عليهم، وأخبرهم أنهم إن قالوا: لا إله إلا الله سيملكون العرب والعجم، إلا أنهم سخروا منه، وقالوا لأبى طالب: إنّه أمر عليك ابنك؛ فضحكوا منه. وفرضوا على بنى هاشم وبنى المطلب حصاراً فى شعب أبى طالب.

يوم الخندق والمسلمون كانوا يحفرون الخندق وعظمت عليهم صخره؛ فضربها صلى الله عليه وآله وشع منها ضوء، فقال صلى الله عليه وآله: ستفتح لكم القصور البيضاء، فارس والروم(۲)، وكان ما قاله صلى الله عليه وآله: واقعاً شهده منهم من شهده وشهدته الأجيال الإسلاميه فيما بعد.

بعد الهجره المباركه أخبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المؤمنين أنهم سيدخلون مكه آمنين، واعترض بعض أصحابه على صلح الحديبيه، فقال لهم: إنما أنا عبد الله ولا اعصيه، وفعلاً دخلوها آمنين.

۱- النص : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والاخره . ثم قال: من يؤازرنى على ما أنا عليه؟ قال على : فقلت : أنا يا رسول الله وإنى أحدثهم سنا وسكت القوم . ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك . قال : دعوه فلن يألوا ابن عمه خيرا.السيره النبويه، ابن كثير: ۱/ ۴۵۷، وفى ذيل الحديث على يكون أخى وكذا وكذا (لم يفصح ما المراد ب- كذا وكذا..!)، وورى فى تفسيره فى الذيل أيضاً " اسمعوا له وأطيعوا "، تفسير ابن كثير: ۳۶۴، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، شرف الاسلام بن سعيد المحسن، متوفى ۴۹۴ ه-، ط۱- ۱۴۲۰، مركز الغدير للدراسات الاسلاميه، تحقيق تحسين آل شبيب: ۱۲، سبل الهدى والرشاد، الصالحى: ۲/۳۲۴.

۲- تاريخ الطبرى: ۲/۲۳۵.

عن أبی سعید الخدری قال:

کنا جلوسا فی المسجد، فخرج رسول الله صلی الله علیه وآله والحاصل إلینا ولکأن علی رءوسنا الطیر لا یتکلم أحد منا، فقال: إن منکم رجلا یقاتل الناس علی تأویل القرآن کما قوتلتم علی تنزیله؛ فقام أبو بکر فقال: أنا هو یا رسول الله قال: لا فقام عمر؛ فقال: أنا هو یا رسول الله قال: لا ولکنه خاصف النعل فی الحجره، قال: فخرج علینا علی ومعه نعل رسول الله صلی الله علیه وآله یصلح منها(۱).

ثم إنّ النبی صلی الله علیه وآله حدثهم عن فتن مظلمه ستظلهم بعده وجعل لهم شارات نور یسترشدون بها، وکان القرآن العظیم أخبر عن (فتنه الانقلاب علی الأعقاب)، قال تعالی:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}(۲)

عن أبی سعید الخدری قال:

قال رسول الله صلی الله علیه وآله تفترق أمتی علی فرقتین فتمرق بینهما مارقه تقتلها أولی الطائفتین بالحق(۳).

۱- المصنف فی الأحادیث والآثار، أبو بکر عبد الله بن محمد بن أبی شیبه الکوفی، متوفی : ۲۳۵ ه-، مکتبه الرشد، ط ۱، ۱۴۰۹، المحقق، کمال یوسف الحوت: ۶/۳۶۷، البدایه والنهایه:۶ / ۲۱۷.

۲- سوره آل عمران الآیه: ۱۴۴.

۳- تاریخ مدینه دمشق - ابن عساکر: ۱۴/۵۲۷.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعه حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحده»(۱) - مع عدم الاطمئنان إلى ذيل المتن - رواه البخارى أيضا عن أبى اليمان عن شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريره مثله، ورواه البخارى أيضا عن أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى عن أبى سلمه عن أبى هريره - وهاتان الفئتان هماأصحاب الجمل وأصحاب صفين فانهما جميعا يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون فى شىء من أمور الملك ومراعاه المصالح العائد نفعها على الأمه والرعايا- و(كان ترك القتال أولى من فعله كما هو مذهب جمهور الصحابه)(۲).

وعند حديث النبى صلى الله عليه وآله عن صفين -حسب المنقول التاريخى- يتضح أنَّ علياً وأصحابه أدنى (أولى) - حسب مروى آخر - الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاويه، وأصحاب معاويه كانوا باغين عليهم كما ثبت فى ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث شعبه عن أبى سلمه عن أبى نضره عن أبى سعيد الخدرى:

قال: حدثنى من هو خير منى يعنى أبا قتاده، إنّ رسول الله

قال

۱- صحيح البخارى محمد بن اسماعيل البخارى، وفاته عام ۲۵۶هجرى، المحقق د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط۳، ۱۴۰۷ه-: ۶/۲۵۴۱. صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابورى، وفاته عام ۲۶۱هجرى، المحقق محمد فواد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت،۴/۲۲۳۶: ۴/۲۲۱۴.
۲- البدايه والنهايه ابن كثير: ۶/۲۲۴. وهذه الدعوى أكبر من أن تثبت، حيث كان القسم الأعظم وأفاضلهم وقفوا إلى جنب أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وقاتلوا أهل الجمل والقاسطين وأهل النهروان .

لعمار: «تقتلك الفئه الباغيه»(١).

ورواه أيضا من حديث ابن عليه عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمه قالت:

قال رسول الله: «يقتل عماراً الفئه الباغيه وقاتله فى النار».

ولنا أن نتساءل من كان عليه أن يتجنب القتال؟ من أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وآله: «أدنى الطائفتين للحق» - كداله مجمعه ومفرقه فى الوقت ذاته فى اتجاهين مناصره الحق، وقتال المخالف- ناكثين، وقاسطين، ومارقين، وأمر أصحابه بقتالهم مع على حسب المنقول التاريخى.

ومن دون أن نتأمل فى النص، فهو حاكمٌ. ثم من أعرف بوقف القتال الراوى أم من خرج الحديث؟، أو أُمُّ المؤمنين وهى التى سمعت من النبى صلى الله عليه وآله وعاصرته؟!! أم الحوارى - الزبير بن العوام- أم من قطعت إصبعه - طلحه بن عبيد الله- فى معركه كان النصر فيها للإسلام ضد الشرك!! أم الطرف الثانى الذى فيه مَنْ مُلئ حتى مشاشه إيماناً(٢) (عمار بن ياسر) حسب المأثور النبوى والذى موعده الجنه مع والديه، فضلاً عن العدد الكثير من الصحابه(٣) - مهاجرين وأنصار- الذين شاركوا الامام حروبه

١- صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابورى،م.س: ۴/۲۲۳۶، البدايه والنهايه ابن كثير: ۶/۲۳۹.

٢- تاريخ ابن عساكر:۴۳/ ۳۹۲.

٣- يستشعر من الآيه الاشاره إلى الابتعاد عن الانحيازيه فى التقييم للسابقين والتعامل أو قراءه مواقفهم وما أسهموا به وفقاً للمرجعيه الاسلاميه لا أن تكون تلك المواقف وأشخاصها وتشخصها واقعاً معياريّاً للتعامل؛ فحجيتها مشكوك فيها.

کلها حتی أضحوا بین شهید أو طرید یوم تولی معاویه أمر الأمه؟!!

فالدفاع أو محاوله تبسیط الأمور بهذا المستوی أو دونه تخدم من؟ ف- {تلک أمه قدخلت....}...!!(۱).

ولما کان علیٌّ ومن معه أدنی للحق وأولی به فی قتال الباغین - الناکثین والقاسطین والمارقین- وقد أثبت المنقول التاریخی هذا القدر، فقطعاً فی تلک کان علی ومن شایعه أولی وأهل الحق، فلابدَّ من القول بعدم شرعیه الخروج علیه مهما کان الخارج ومهما أضفیت علیه من هاله صحبه أو سواها، وبالتالی صاحَبَّ عدم الشرعیه تأسیس الدوله الأمویه وما تلاها من کیانات، فآلاف القتلی لسان متحدث ویقظه و وعی، ولیس حلم من رأی أبا الغادیه أو الفادیه وعماراً فی الجنه فی خیمتین متقابلین، والرسول صلی الله علیه وآله فی أکثر من مناسبه یقول: إن قاتل ابن سمیه وسالبه فی النار، وتقتله الفئه الباغیه(۲)، وروی ذلک عن عمرو بن العاص وعبد الله ولده، کما روی ذلک أهل السیر والتراجم وغیرهم وبطرق وألفاظ عدیده ومتعدده.

لقد أخبر الرسول صلی الله علیه وآله عماراً أن آخر رزقه من الدنیا «ضیاح أو مذقه من لبن»(۳)، ولمابکاه أهله فی مرضه بسبب الفتق الذی أصابه من ضرب الخلیفه الثالث

۱- سوره البقره الآیه: ۱۴۳.

۲- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل أبو عبدالله البخاری الجعفی،متوفی ۲۵۶ ه-، دار ابن کثیر ، الیمامه، بیروت،۱۴۰۷ - ۱۹۸۷،ط۳، المحقق،د. مصطفی دیب البغا.

۳- مجمع الزوائد، : ۹/۲۹۵، تاریخ ابن عساکر: ۴۳/۴۲۰.

وبنی أمیه قال لهم: «لا تبکوا آخر زادی من الدنیا مذقه لبن»(۱)، ولما أتوه به یوم صفین قال: صدق رسول الله صلی الله علیه وآله)...!! فلنا أن نتسائل، لِم یشیر النبی صلی الله علیه وآله ویفصل فی قضیه عمار إلی هذا الدرجه التبینیه لمفردات ستصادفه فی حیاته وهو یواجه الفتن التی أشار إلیها النبی صلی الله علیه وآله والقرآن، ألیکون عمار وأبو الغادیه فی خیمتین متقابلین فی الجنه حسب المنقول المؤسس وفقاً لرؤیا و أضغاث..؟ أو حتی لا یخرق الستر حسب قول أبی توبه الربیع بن نافع الحلبی: «معاویه ستر لأصحاب محمد صلی الله علیه وآله فإذا کشف الرجل الستر اجترأ علی ما وراءه»(۲).

وهل یمکن لقارئ تلک النصوص أن یکتشف واقعیه الإسلام وبعده الزمانی من خلال مثل هذه التأسیسات التی ترمی إلی التغطیه والتستر علی تلک الخروجات علی شرعیه الخلیفه المبایع بأغلبیه الصحابه وأهل الأمصار، فالشک ینتقل إلی المرجعیه: الإسلام وإلی مواقف الرسول صلی الله علیه وآله !!! ومن ثم تبقی الأجیال الإسلامیه کما قلنا فی تیه وحیره؛ فلاتعرف المصیب من المخطئ، الموقف البعید أو القریب من المبادئ والمفاهیم المرجعیه، فمَنِ الأسوه إذن؟ وبمن یُقتدی؟ أبموقف القاتل والمجتهد الذی أخطأ فله أجر، وهو قد قتل مسلماً ونزا بزوجته، وکان فی سیفه رهقاً حسب تعبیر الخلیفه الثانی عمر

۱- المعجم الأوسط، الطبرانی: ۶/ ۳۰۱، الآحاد والمثانی، أبو بکر الشیبانی: متوفی ۲۸۷ دار الرایه- الریاض، ط ۱، ۱۴۱۱، تحقیق د. باسم فیصل الجوابره: ۱/ ۲۰۷، تاریخ ابن عساکر، م.س: ۴۳/۴۲.
۲- البدایه والنهایه ۸/ ۱۴۸.

بن الخطاب؛ وقال للخليفه الأول: أقتله(۱)، أم بموقف المبرر لفعل خالد؟ أم يبحث فی غیر هذه المواقف الثلاثه؟ فينظر إلى ما تأسس على مواقف الرسول صلی الله علیه وآله من الرساله والأمه؟ فتكون صله الرسول صلى الله علیه وآله بهما ما دام حياً حسب المدعيات التی یتأسس عليها مثل هذه الإشكاليه، فإن مات فلا صله له بهما وهذا ما لا يقوله أحدٌ من المسلمين.

إنَّ النبی صلی الله علیه وآله أراد لتلك المتجهات المستقبليه أنْ تُتَخَذ نقاطاً مضیئه من قبل أجيال الأمه، لتنظر مدار ومحاور الحق التی سیکون فيها عمار أو أبوذر (رض) أو أويس القرنی أو سواهما ممن رسم مواقع تواجدهم الرسول صلى الله علیه وآله من قبل حتى لا تحار أمته وحتى لا يبحث مَن يبحث عن سيف ناطق أو من يستبدل سيفه بقطعه خشب على روايه ينفرد بها صحابی مبرراً بذلك سلبيته تجاه الواقع وتجاه الرساله فی حالات الحرج وفيها الكلمه موقف تنسجم ومبدأ: «الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر» ومن أجل ديمومه فاعليه الرساله فی حياه الإنسان ووفقاً لها يترتب الثواب والعقاب، ومآل عاقبته فی زمره أهل اليمين أو مع من يحشروا إلى النار زمراً.

وبُعيد ذلك فكيف تكون دعواهما واحده؟

ص: ۴۷

۱- النص: فلما بلغ قتلهم - أی مالك وقومه - عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبی بكر فأكثر؛ وقال عدو الله عدى على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامه له قد غرز فی عمامته أسهما؛ فلما أن دخل المسجد - أی خالد - قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال: أرثاء قتلت امرأ مسلما، ثم نزوت على امرأته؛ والله لأرجمنك بأحجارك، ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأى أبی بكر على مثل رأی عمر فيه. تاریخ الطبری: ۲/ ۲۷۴، السیره الحلبيه: ۳/ ۲۱۲.

وأی مفهوم من مفاهیم الرساله یُبرر ذلک أو یُستند علیه فی تمریر هذا التوجه فی النظر القیاسی لواقعیه الرساله، وما بُعِثَ الرسول صلی الله علیه وآله إلا لیأخذ بید الخلق إلی سواء الصراط القویم، وینفی الظلم عن الناس ویعطی کل ذی حق حقه، کما أن هذا التوجه ینافی عدل الله تعالی قطعاً.

إنَّ أول کتاب – صحیفه المدینه – کتبه النبی صلی الله علیه وآله عند بدء تأسیس الدوله الإسلامیه بُعید الهجره المبارکه إلی المدینه المنوره کان قد ضمنه النبی صلی الله علیه وآله وجوب اجتماع المؤمنین علی الذی یبغی منهم فقال صلی الله علیه وآله:

«وإن المؤمنین المتقین علی من بغی منهم أو ظلم أو أثم، وإن أیدیهم علیه جمیعاً»(۱).

غیر أنهم نسوا أو تناسوا هذه الماده من کتاب النبی صلی الله علیه وآله الذی تشیر إلی مستقبل: الجمل، صفین، النهروان، وقعه کربلاء، والحره... فأمسک من رأی النبی صلی الله علیه وآله وسمع حدیثه، فلم ینصر الحق ولم ینتصر له، لأنَّه لا یملک سیفاً ناطق، أو یری أنَّها فتنهً القاعد فیها خیرٌ من القائم، وکیف لم یدرک ذلک البدریون وأهل بیعهِ الرضوان ممن بایع النبی صلی الله علیه وآله، ووعاها أمثال، محمد بن مسلمه، وسعد بن أبی وقاص، وأبی موسی ومن خذل الرساله دون سواهم ممن عاصر وناصر؟!!

إنَّ محاوله التبریر وفقاً للواقع التطبیقی بعیداً عن المرجعیه الفکریه والمفهوم المرجعی الرسالی لا ینتج عنه إلا التفسیر الخیالی المحلق بالإنسان الوهمی نحو مثل تلک التفسیرات التبریریه التی تعمد إلی فهم وتطویع النص بلا مستند کما کان حال التعامل

۱- سیره ابن هشام : ۲ /۱۰۶.

مع جميع الوقائع وتطبيقاتها على طول تاريخ الدوله الإسلاميه عاماً كان أو خاصاً، وكله نزوع إرضائى للسلطان وسلطته، مبتعداً عن المثال وأهدافه وغائيته فى تعبيد الناس لله تعالى وبيان واقعيه الرساله ومبادئها، مما دفع السابقين للاجتهاد مقابل النصوص واللاحقين لاتخاذ الظرف المعيشى - باللفظ الجاهز - والظروف الاقتصاديه والرفاهيه وخمس الفتوحات - بلفظ موهم - كمبرر أو مبررات لما آلت إليه مسيره التجربه الإسلاميه من انكفاء ونكوص حتى تاه أو يتيه القارئ لتاريخ الرساله بين المخيال والاجتهاد القياسى؛ فَتُحَمَّل الرساله والرسول صلى الله عليه وآله والدين كل هذه التداعيات التى رسم ملامحها السلطان وتسلطاته ومخيال الرواه، فكأنما هناك سيناريو يمثل، فلا جنه ولا نار ولا عقيده، ولا تكليف ولا مسؤوليه، فتكون المسأله تمثيليه أو مسلسلًا قرونى، والأجر بعد الانتهاء من تمثيل الأدوار، فيقابل أبو الغاديه عماراً، وخمسين ألفاً على المقل من الرواه - فى الجمل وأكثر من ذلك فى صفين - تقابل طلحه والزبير، ويقابل معاويه وعمرو بن العاص، علياً ومالكاً وعدى الخير وجماعه مرج عذراء وهكذا إلى نهايه الدنيا مسلسلات ومسرحيات تمثل ولا دلاله للمنقول وما أُثر عن الرسول صلى الله عليه وآله فى هذه الوقائع والأحداث.

الفتن بعد عصر النبی صلی الله علیه وآله

إنَّ اهتمام ورعایه الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله لأمته علی امتداد وجودها التاریخی أمرٌ لا یحتاج أدنی شک فالسیره - تقریر، وفعل وإمضاء - تؤکد ذلک وهی مظهر له، حتی تؤدی الأمه دورها الحضاری، والأحادیث والروایات کثیره التی ضمنها الرسول صلی الله علیه وآله ما یجری من بعده علی أمته شاهد تلک الرعایه وذلک الاهتمام، ما حدث به عن مآل حال ووضعیه أمته من بعده، وذکره الفتن وما یجری علیها حتی قیام الساعه، بین تفصیل وعموم حملته لنا تلک المأثورات عنه صلی الله علیه وآله ومنها:

عن بقیه بن الولید وأبی المغیره عن صفوان بن عمرو قال: حدثنی السفر ابن نسیر الأزدی عن حذیفه بن الیمان رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله:« تکون فتن کقطع اللیل المظلم یتبع بعضها بعضا تأتیکم مشتبهه کوجوه البقر لا تدرون أیها من أی»(۱).

وعن عیسی بن یونس حدثنا الأوزاعی عن حسان بن عطیه عن أبی إدریس الخولانی عن حذیفه بن الیمان، قال: هذه فتن قد أظلت کجباه البقر یهلک فیها أکثر

۱- صحیح ابن حبان،محمد بن حبان بن أحمد التمیمی السبتی، وفاته عام ۲۵۴هجری، المحقق، شعیب الارنؤوط، مؤسسه الرساله - بیروت، ط۲، ۱۴۱۴ :۱۵/۹۹، الفتن، حماد بن نعیم المروزی، وفاته عام ۲۸۸ ه-، دار التوحید- القاهره، الطبعه الأولی ۱۴۱۲: ۱۴.

الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك.

وعن ابن لهيعه قال حدثنى سلمان بن عامر عن أبى عثمان الأصبحى عن أبى هريره رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا تقارب الزمان أناخ بكم الشرف الجون فتن كقطع الليل المظلم»(۱).

وكان أبو هريره يحدث أن لديه وعاء علم لم يبثه؛ حمله الآلوسى على علم الأسرار لجواز أن يكون المراد منه أخبار الفتن وإشراط الساعه وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله من فساد الدين على أيدى أُغليمه من سفهاء قريش، وقد كان أبو هريره يقول:

«لو شئت أن أسميهم بأسمائهم لفعلت»(۲).

وعن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعه عن عقيل عن ابن شهاب عن أبى إدريس الخولانى عن حذيفه بن اليمان رضى الله عنه قال:

أنا أعلم الناس بكل فتنه هى كائنه إلى يوم القيامه وما بى أن يكون رسولالله صلى الله عليه وآله أسر إلى فى ذلك شيئا لم يحدث به غيرى ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله حدث مجلساً أتاهم فيه عن الفتن التى تكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى.

۱- الفتن، المروزى، م.س: ۲۸. وفى تاريخ جرجان، للسهمى، ۴۲۷ه-، «بسنده عن ابن أُم مكتوم، تكون فتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم طويلاً». طبع عالم الكتب، الطبعه الرابعه ۱۴۰۷: ۴۹۰.
۲- روح المعانى، الآلوسى:۶/۱۹۱.

وعن سفيان بن عيينه عن الزهرى عن عروه بن الزبير عن كرز بن علقمه الخزاعى قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

«هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا ادخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه، قال: ثم تكون فتن كأنها الظلل فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله يا رسول الله، فقال رسول الله: بلى والذى نفسى بيده ثم لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض، قال الزهرى: الأسود الحيه إذا نهشت نزت ثم ترفع رأسها ثم تنصب».

وعن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن عبد الواحد بن قيس عن عروه ابن الزبير عن كرز بن علقمه عن النبى صلى الله عليه وآله نحو ذلك(۱).

وعن أبى هريره عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لا تقوم الساعه حتى تقتتل فئتان عظيمتان يُقتل بينهما مقتله عظيمه ودعواهما واحده»(۲).

وعن أبى نضره عن أبى سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تقوم الساعه حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحده فبينما هم كذلك مرق منها مارقه تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»(۳).

۱- الفتن:۲۹.
۲- البدايه والنهايه، ابن كثير:۷ /۲۸۶.
۳- البدايه والنهايه، ابن كثير:۷/۲۸۶.

«ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهماضلاله»(۱).

وذكر النووی فی شرحه لصحیح مسلم أن:النبی صلی الله علیه – وآله– وسلم أشرف علی أطم من آطام المدینه ثم قال:

«هل ترون ما أری؟ إنّی لأری مواقع الفتن خلال بیوتکم کمواقع القطر»(۲).

دلاله الألفاظ

الأطم(۳) بضم الهمزه والطاء هو القصر والحصن وجمعه آطام ومعنی أشرف علا وارتفع والتشبیه بمواقع القطر فی الکثره والعموم أی أنها کثیره وتعم الناس لا ـ تختص بها طائفه وهذا إشاره إلی الحروب الجاریه بینهم کوقعه الجمل وصفین والحره ومقتل الحسین رضی الله عنه وغیر ذلک وفیه معجزه ظاهره له صلی الله علیه – وآله– وسلم.

۱– شرح شرح نهج البلاغه، المعتزلی: ۱۸/۳۶۷.

۲– شرح مسلم، النووی: ۱۸/ ۷– ۸.

۳– النهایه فی غریب الحدیث، ابن الأثیر: ۱/۵۷، القاموس المحیط، الفیروز آبادی: ۷۵

استقبال وقائع

اخباره صلی الله علیه وآله عن الناکثین والمارقین والقاسطین

وکما حدث القرآن العزیز عن انقلاب وفتنه فیما إذا توفی الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله أو قتل(۱)، نجد أن هناک ثمه بشارات کثیره فی السنه النبویه، ترسم مسارَ انتشار الإسلام وانتصاره، وأنه سیسود المعموره، وأن نصر المسلمین محققاً {لیظهره علی الدین کله ولو کره الکافرون}(۲)، وإن النبی صلی الله علیه وآله قد حذر من وقوع فتن بعده، وأخبر المسلمین أنهم سیرکبون سنن من کان قبلهم «حذو القذه بالقذه»، اخبر بخروج فرق تقاتل أهل الحق منهم:الناکثون والقاسطون والمارقون.وتحدث للمسلمین عن المارقه «الخوارج»، وعن رئیسهم - ذی الخویصره - وقال عنهم لهم صلاه وصیام تحقرون صیامکم وصلاتکم تجاهها، ولم یکن أورع الأمه ولا أتقاها کما یذهب إلی ذلک الشهرستانی(۳)، إلا أن یقال، أنه نظر إلی حالهم من کثره الصوم والصلاه.

۱- {و ما محمد الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم علی اعقابکم ...} (آل عمران: ۱۴۴).

۲- {هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَی وَدِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ}. التوبه:۳۳، وسوره الفتح: ۲۸، وسوره الصف: ۹.

۳- الملل والنحل، الشهرستانی: ۳/ ۳۸۱.

«وإذا كان الإسلام الذی هو دین الله لا یُقبل من أحد سواه قد اعترض الشیطان کثیراً ممن ینتسب إلیه حتی أخرجه عن کثیر من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمه وأورعها حتی مرقوا منه کما یمرق السهم من الرمیه وأمر النبی بقتال المارقین، فثبت عنه فی الصحاح(۱) وغیرها من روایه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب وأبی سعید الخدری وسهل بن حنیف وأبی ذر الغفاری وسعید بن أبی وقاص وعبد الله بن عمر وابن مسعود رضی الله عنهم وغیر هؤلاء أن النبی ذکر الخوارج، فقال: یحقر أحدکم صلاته مع صلاتهم وصیامه مع صیامهم وقراءته مع قراءتهم یقرؤون القرآن لا یجاوز حناجرهم یمرقون من الإسلام کما یمرق السهم من الرمیه أینما لقیتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فإن فی قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم یوم القیامه لئن أدرکتهم لأقتلنهم قتل عاد وفی روایه شر قتیل تحت أدیم السماء»(۲).

۱- صحیح البخاری، م.س: ۳/ ۱۳۲۱، صحیح مسلم، م.س:۲/۷۴۴.

۲- الملل والنحل، الشهرستانی: ۳/ ۳۸۱.

الحکمان

اشاره

«حتی بعثوا حَکَمَین فضَّلا و أضَّلا»(۱).

أخباره صلی الله علیه وآله عن خروج حکمین فی أمته

عن المسور بن مخرمه قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا کنا نقرأ وجاهدوا فی الله حق جهاده فی آخر الزمان کما جاهدتم فی أوله، فقال: عبد الرحمن بن عوف ومتی ذلک یا أمیر المؤمنین، قال: إذا کان بنو أمیه الأمراء وبنو المغیره الوزراء(۲)، ذکره

البیهقی ههنا وکأنه یستشهد به علی ما عقد له الباب بعده من ذکر

ص: ۵۶

۱- البدایه والنهایه: ۶ / ۴۲۱.

۲- تاریخ الاسلام، الذهبی، ج ۱، ص ۳۹۱ – تفسیر الرازی، الرازی، ج ۲۳، ص ۷۲ – البدایه و النهایه، ابن کثیر، ج ۶، ص ۲۴۰. و قد روی فی بعض المصادر بغیر هذه الألفاظ، انظر: مسند الشامیین، سلیمان بن أحمد بن أیوب، الطبری، وفاته عام ۲۶۰ه–، تحقیق حمدی السلفی، مؤسسه الرساله بیروت، ط ۱، ۱۴۰۵ه– : ۲/۳۳۸، المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری: ۴/۵۲۵، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجده ثنا المغیره ثنا أبو بکر بن مریم عن راشد ابن سعد قال قال أبو ذر سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ثم إذا بلغت بنو أمیه أربعین اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دخلا وکتاب الله دغلا.

الحكمين وما كان من أمرِهما، فقال: اخباره عن الحكمين اللذين بعثا فى زمن على.

فعن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار عن سويد بن غفله، قال:

«إنى لأمشى مع على بشط الفرات، فقال: قال رسول الله: إنَّ بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمه ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلا وأضلا من اتبعهما، هكذا أورده ولم يبين شيئا»(۱).

والحكمان كانا - حسب المدعى لا الواقع، ولا المنصوص - من خيار الصحابه وهما عمرو بن العاص السهمى(۲) من جهه أهل الشام،والثانى أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى(۳) من جهه أهل العراق، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم، وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا فرقه الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم وخرجوا عليهما وكفروهما، حتى قاتلهم على بن أبى طالب، وناظرهم ابن عباس، فرجع منهم شرذمه إلى الحق واستمر بقيتهم حتى قتل

۱- البدايه والنهايه:۶/۲۱۵، شرح نهج البلاغه، المعتزلى: ۱۳/ ۳۱۴- ۳۱۵، وكنز العمال، المتقى الهندى: ۱/ ۳۷۷ – ۳۷۸.
۲- رأى الامام على فى عمرو بن العاص: فإن عمراً ليس من الله فى شيئ إذا كان له فى الأمر هوى. وقعه صفين، المنقرى: ۵۰۰.
۳- وروى أن عمارا سئل عن ابى موسى، فقال لقد سمعت فيه من حذيفه قولا عظيما، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود، ثم كلح كلوحا علمت منه انه كان ليله العقبه بين ذلك الرهط، شرح النهج، المعتزلى: ۱۳/ ۳۱۵.

أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذوله عليهم(١).

وكان أبو موسى الأشعرى يحدث قبل وقعه صفين ويقول:

«إنَّ الفتن لم تزل فى بنى إسرائيل ترفعهم و تخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعهما، وإن هذه الأمه لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى من اتبعهما؛ فقال سويد بن غفله: إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين.

قال (أبو موسى): أنا؟قال سويد: نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه، ويقول لا جعل الله لى إذاً فى السماء مصعداً ولا فى الأرض مقعداً؛ فلقيه سويد بن غفله بعد ذلك فقال يا أبا موسى أتذكر مقالتك؟

فقال- أبو موسى لسويد -: سل ربك العافيه»(٢).

ص: ٥٨

١- البدايه والنهايه: ٦/٢٤١.

٢- المسعودى:٢/٣٩٢.

إشاره

لقد روى حديث الحكمين في بعض المصادر التاريخيه أيضاً: تاريخ اليعقوبي والقارئ يجد في المتن «عباره بياض في الأصل» مع تمويه من خلال إيراد أسم سويد بهيئه تورد خللاً في سند الحديث: عن عبد الرحمن بن الحصين بن سويد... (البياض»(۱)، والأصح ربما يكون «عن سويد» وليس «ابن سويد، وقد أخرجه ابن كثير بسياق لا يجد القارئ فيه دلاله؛ فهو بمتن مهلهل فضفاض، وما نقله المسعودي في مروجه يمكن الإفاده منه في موازنه الحديث وتصحيحه من الإرباك الذي دخله من جهه السند [اليعقوبي] والمتن [ابن كثير]، وبالتالي ليكون للحديث دلاله ومفصح عن هذه الدلاله ويحتج به في هذا السياق(۲).

علي بن أبي طالب الموقف الرسالي

يتضح لنا من قراءه جمله من أحاديث الامام علي بن أبي طالب تقاطعيه مواقف بعض الصحابه مع المرجعيه الإسلاميه، كما توضح في ذات الوقت الموقف الرسالي المؤسس للامام عليه السّلام تجاه ظواهر تجسمت نتيجه لتلك التقاطعيه، وهي تُعد اشارات

۱- تاريخ اليعقوبي : ۲/۱۹۰.

۲- سيرد في تضاعيف المباحث، ذكر الروايات الثلاث ومناقشتها.

وأوليات لقارئ تاريخ تلك الحقبه من عمر الرساله والأمه والمواقف المناقضه أو الموافقه لمبادئ الرساله تُعين في التوصل للحكم والاحتكام إليها في التعرف بنسب متفاوته على التقاطع أو التوافق مع مبادئ الرساله الإسلاميه.

أحق الناس بتولي الأمر

نقل عن الامام علي أنه قال:

«أيها الناس، إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه»(۱).

موازنه بين موقفي المهاجرين والأنصار

لما عَلِم الامام بموقف المهاجرين في (السقيفه) واحتجاجهم على الأنصار بكونهم من قريش وأنهم عشيره الرسول صلى الله عليه وآله وقومه، قال مستشهداً ومحتجاً بقوله تعالى:

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}(۲)

فنحن مره أولى بالقرابه، وتاره أولى بالطاعه. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفه برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا

۱- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد، وفاته عام ۶۵۶ه-، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان: ۳/۳۲۸.

۲- سوره آل عمران : ۶۸.

دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم(١)، أى لهم حق فيما أدعوه لا تدفعهم حجه المهاجرين.

١- شرح نهج البلاغه - ابن أبى الحديد : ٥١ /١٨٢.

«لقد علمتم أنّی أحق بها من غیری، والله لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمین ولم یکن فیها جور إلا علیَّ خاصه التماساً لأجر ذلک وفضله وزهداً فیما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»(۱).

ولعل(۲) أعظم رقم قیاسی ضربه أمیر المؤمنین علیه الصلاه والسلام للتضحیه فی سبیل الإسلام والإخلاص للمبدأ إخلاصا جرده عن جمیع الاعتبارات الشخصیه وأقام منه حقیقه سامیه سمو المبدأ ما بقی للمبدأ حیاه هو الرقم الذی سجله بموقفه(۳) من

۱- شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ج ۶، ص ۱۶۶، داراحیاء الکتب العربیه ؛ أهل البیت فی فجر الشهید محمد باقر الصدر (رض)، إعداد وتحقیق عبد الرزاق هادی الصالحی، منضد علی الکومبیوتر:۲/ ۵۰- ۶۳.

۲- شرح نهج البلاغه - ابن أبی الحدید : ۶/۱۶۶.

۳- حدثت عن هشام ، قال : حدثنی عوانه ، قال : لما اجتمع الناس علی بیعه أبی بکر اقبل أبو سفیان وهو یقول : والله إنی لأری عجاجه لا یطفأها الاَ دم؟ یا آل عبد مناف فیم أبو بکر من أمورکم !..وقال : أبا حسن ابسط یدیک أبایعک فأبی علی، فجعل یتمثل بأبیات: ولن یقیم علی خسف یراد به هذا علی الخسف معکوس برمته إلا الأذلان عیر الحی والوتد وذا یشج فلا یبکی له أحد قال الراوی: فزجره علی وقال : والله انک ما بغیت بهذا إلا فتنه، وانک والله طالما بغیت الاسلام شراً. تاریخ الطبری: ۲/۴۴۹.

خلافه الشورى وقدم بذلک فی نفسه مثلا أعلى للتفانی فی المبدأ الذی صار شیئا من طبیعته(۱).

إن کان رسول الله صلى الله علیه وآله قد تمکن من محو ضلال الوثنیه فقد استطاع أن یجعل من علی بما أفاض علیه من حقائق نفسه عینا ساهره على القضیه الإلهیه فنامت فیه الحیاه الإنسانیه بأهوائها ومشاعرها وصار یحیا بحیاه المبدأ والعقیده(۲).

وإن کان للتضحیه الإنسانیه الفاضله کتاب فأعمال علی عنوان ذلک الکتاب المشع بأضواء الخلود(۳).

ص: ۶۳

۱- وإن قول الامام علی (ع) یُعد مظهراً لموقفه هذا: «لقد علمتم أنی أحق بها من غیری، ووالله لاسلمن ما سلمت أمور المسلمین، ولم یکن فیها جور إلا علی خاصه، التماسا لاجر ذلک وفضله، وزهدا فیما تنافستموه من زخرفه وزبرجه». شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۶/۱۶۶.
۲- قال رسول الله (ص) : (علی مع الحق و الحق مع علی ، ولن یفترقا حتى یردا علی الحوض یوم القیامه). تاریخ بغداد/الخطیب البغدادی: ج۱۴، ص۳۲۱، تفسیر الفخر الرازی: ج۱، ص۱۱۱، کفایه الطالب للکنجی: ص۱۳۵، المناقب الخوارزمی لأخطب خوارزم: ص۷۷، وقال(ص): اللهم أدر الحق معه حیث دار، راجع مستدرک الحاکم: ج۳ ص ۱۲۵، کنز العمال: ج۶، ص ۱۷۵، جامع الترمذی: ۲ج، ۶ص۲۱۳ . [هامش فی الأصل].
۳- قال رسول الله (ص) : لضربه علی یوم الخندق خیر من عباده الثقلین، أو قال: (لمبارزه علی لعمرو افضل من أعمال أمتی إلى یوم القیامه)، راجع المستدرک للحاکم ج ۲ ص۳۲. [هامش فی الأصل]. وانظر: الطرائف، السید ابن طاووس الحسنی، متوفی ۶۶۴ه-، مطبعه الخیام، قم، الطبعه الأولى ۱۳۷۱: ۵۱۹. تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی: ۱۳/۱۹. وکنز العمال، المتقی الهندی: ۱۱/۶۲۳.

وإن كان لمبادئ السماء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله تعبير عملي على وجه الأرض فعلي هو تعبيرها الحي على مدى الدهور والأجيال.

وإن كان النبي (ص) قد خلف في أمته علياً والقرآن(۱) فإنما جمع بينهما ليكون القرآن تفسيرا لمعاني علي العظيم ولتكون معاني علي أنموذجا لمثل القرآن الكريم.

وإن كان الله تعالى قد جعل علياً نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في آيه المباهله(۲) فلأجل أن يفهم المسلمون انه امتداد طبيعي لمحمد صلى الله عليه وآله وشعاع متألق من روحه العظيمه.

وإن كان النبي صلى الله عليه وآله قد خرج من مكه مهاجرا وخلف علياً على فراشه(۳) ليموت

۱- قال رسول الله (ص) : إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدی، كتاب الله وعترتی، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). راجع الصواعق المحرقه: ص۱۳۶. [هامش في الأصل]. انظر: مصنف ابن أبی شيبه: ۶/۳۰۹، الجامع الصحيح سنن الترمذی، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذی السلمی، متوفی ۲۷۹ه‍-، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربی:۵/۶۲۲. الطبقات، ابن سعد: ۲ / ۱۹۴، المعجم الكبير، الطبراني: ۵/۱۶۶، مسند الامام احمد: ۴/۲۱۷ ، المستدرك: ۳/ ۱۱۹.

۲- راجع تفسير الفخر الرازی/سوره آل عمران: ۶۱، اسباب النزول/الواحدی : ۶۷، وآيه المباهله هی [الآيه: ۶۱، من سوره آل عمران، {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم... }، قال الزمخشری: ولا دليل أقوى من هذا - يشير إلى دعوتهم لمباهله نصارى نجران- على فضل أصحاب الكساء [الرسول (ص)، فاطمه، علی بن أبی طالب، الحسن والحسين(س)]، انتهى. الكشاف: ۱/۳۲۷.

۳- راجع تفسير الرازی ۵: ۲۰۴ نشر دار الكتب العلميه – طهران ، سيره ابن هشام ۲: ۹۵ مطبعه الحجازی/ ط ۱۰، تذكره سبط الجوزی: ۳۴.

بدلا عنه فمعنى ذلك ان المبدأ المقدس هو الذى كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما وإذا كان لابد للقضيه الإلهيه من شخص تظهر به وآخر يموت فى سبيلها فيلزم أن يبقى رجلها الأول لتحيا به ويقدم رجلها الثانى نفسه قربانا لتحيا به أيضا.

وإن كان على هو الـذى أباحت له السـماء خاصه النوم فى المسـجد والدخول فيه جنبا(۱) فمفهوم هـذا الاختصاص ان فى معانيه معنى المسجد لأن المسجد رمز السماء الصامت فى دنيا الماده وعلى هو الرمز الإلهى الحى فى دنيا الروح والعقيده.

وإن كـانت السـماء قـد امتـدحت فتوه على وأعلنت عن رضاهـا عليه إذ قال المنادى: (لاسـيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على)(۲) فإنهـا عنت بـذلك ان فتوه على وحـدها هى الرجوله الكـامله التى لا يرتفع إلى مـداها إنسـان ولا ترقى إلى افقها بطوله الأبطال وإخلاص المخلصين.

ومن مهزله الأقدار أن هذه الفتوه قدسها الهاتف الإلهى كانت عيبا فى رأى مشايخ

۱- راجع مسـند الامام احمـد ابن حنبل: ج۴، ص۳۶۹، ومستدرک الحاکم: ج۳، ص ۱۲۵ وشـرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ج۲، ص۴۵۱، وتذکره الخواص سبط ابن الجوزى:۴۱، ومناقب الخوارزمى ص ۱۲۷، ۳۰۱، ۳۱۴، تاريخ الخلفاء، السيوطى: ۱۷۲، الصواعق المحرقه، ابن حجر:۱۲۳، [هامش فى الأصل].
۲- ذکر ذلک الطبرى فى تاريخه ۲: ۶۵، دار الکتب العلميه - بيروت، وابن هشام فى سيرته: ج۳، ص۶۱۵. وابن أبى الحديد فى شرح النهج: ج۱۱، ص۲۱۷،== ==والخوارزمى فى المناقب ص:۳۰۱. [هامش فى الأصل].

السقيفه(۱) ونقصاً فی علی یؤاخذ علیه وینزل به عن ابوبکر الذی لم یکن یمتاز علیه إلا بسنین قضاها کافراً مشرکاً.وأنا لا أدری کیف صار الازدواج بین الجاهلیه والإسلام فی حیاه شخص واحد مجداً یمتاز به عمن خلصت حیاته کلها لله.

ولئن ظهرت للناس فی البحوث الجدیده القوه الطبیعیه التی تجعل الأجسام الدائره حول المحور تسیر علی خط معین لقد ظهرت فی علی قبل مئات السنین قوه مثلها ولکنها لیست من حقائق الفیزیاء بل من قوی السماء وهی التی جعلت من علی مناعه طبیعیه للإسلام حفظت له مقامه الأعلی مادام الامام حیا ومحورا تدور علیه الحیاه الإسلامیه لتستمد منه روحانیتها وثقافتها وروحها وجوهرها سواء أکان علی رأس الحکم أولا.

وقد عملت هذه القوه عملها السحری فی عمر نفسه فجذبته إلی خطوطها المستقیمه مرارا حتی قال: لو لا علی لهلک عمر(۲)، وظهر تأثیرها الجبار فی التفاف

۱- راجع شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید ۶: ۴۵ وفیها : محاوره بین الخلیفه الثانی عمر وابن عباس، قال الخلیفه عمر: (یا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبک إلا انهم استصغروه ... قال ابن عباس: فقلت له: و الله ما استصغره الله حین أمر أن یأخذ سوره براءه من أبی بکر ...) وفی ص: ۱۲ من الجزء ذاته: قال أبو عبیده للامام علی: « یا أبا الحسن انک حدیث السن وهؤلاء مشیخه قریش قومک».

۲- مسند زید بن علی، متوفی ۱۲۲ه-، تحقیق أحد علماء الزیدیه، الناشر مکتبه الحیاه- بیروت: ۳۳۵. الاستیعاب، ابن عبد البر: ۳/۱۱۰۳.- شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ج ۱، ص ۱۸، دار احیاء الکتب العربیه.

المسلمين حوله فی اليوم الذی أسندت فيه مقدرات الخلافه إلی عامه المسلمين ذلک الالتفاف الفذ(۱) الذی يقل مثيله فی تاريخ الشعوب.

ونعرف من هذا أن علياً بما جهزته السماء به من تلک القوه، کان ضروره من ضرورات الإسلام(۲) التی لابد منها وشمسا يدور عليها

الفلک الإسلامی بعد النبی (ص) بحسب طبيعته التی لا يمکن أن تقاوم حتی التجأ الفاروق إلی مسايرتها کما عرفت.

ويتجلی لدينا أيضا أن الانقلاب الفجائی فی السياسه الحاکمه لم يکن ممکنا يومئذ لأنه – مع کونه طفره- يناقض تلک القوه الطبيعيه المرکزه فی شخصيه الامام فکان من الطبيعی أن تسير السياسه الحاکمه فی خط منحنی حتی تبلغ النقطه التی وصل إليها الحکم الأموی تفاديا من تأثير تلک القوه الساهره علی الاعتدال والانتظام کما ينحنی السائق بسيارته عندما ينحرف بها إلی نقطه معاکسه تحذرا من القوه الطبيعيه التی تفرض الاعتدال فی السير. وهذا الفصل الرائع من عظمه الامام يستحق دراسه وافيه مستقله قد نقوم بها فی بعض الفرص لنکشف بها عن شخصيه علی المعارض للحکم والساهر علی قضيه الإسلام والموفق بين حمايه القوه الحاکمه من الانحراف وبين معارضتها فی نفس الوقت.

وإن کانت مواقف الامام کلها رائعه، فموقفه فی الخلافه بعد رسول الله صلی الله عليه وآله من

۱- تاريخ الطبری ۲: ۶۹۶ وما بعدها.

۲- وعلی ضوء هذا نفهم ما بيناه، وهو قول رسول الله (ص) لعلی: لا ينبغی أن أذهب إلا وأنت خليفتی، وقوله له عندما تهيأ للخروج إلی غزوه تبوک: لا بد من أن أقيم أو تقيم، راجع خصائص النسائی ص ۷، ومسند أحمد ج ۱ ص ۳۳۱، ومناقب الخوارزمی ص ۷۵، وذخائر العقبی ص ۸۷.

أكثرها روعه.

وإن كانت العقيده الإلهيه تريد فى كل زمان بطلا يفتديها بنفسه، فهى تريد أيضا بطلا يتقبل القربان ويعزز به المبدأ، وهذا هو الذى بعث بعلى إلى فراش الموت(۱) وبالنبى صلى الله عليه وآله إلى مدينه النجاه يوم الهجره الأغر كما أشرنا إليه قريبا ولم يكن ليتهيأ للامام فى محنته بعد وفاه أخيه أن يقدم لها كلام البطلين لأنه لو ضحى بنفسه فى سبيل توجيه الخلافه إلى مجراها الشرعى فى رأيه لما بقى بعده من يمسك الخيط من طرفيه وولدا رسول الله صلى الله عليه وآله طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

وقف على عند مفترق طريقين كل منهما حرج وكل منهما شديد على نفسه:-أحدهما: أن يعلن الثوره المسلحه على خلافه أبى بكر.

والآخر أن يسكت وفى العين قذى، وفى الحلق شجا، ولكن ماذا كان يترقب للثوره من نتائج هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخيه لتلك الساعه العصيبه.

إنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضه وهم من عرفناهم حماسه وشده فى أمر الخلافه. ومعنى هذا انهم سيقابلون ويدافعون عن سلطانهم الجديد،

۱- انظر: شواهد التنزيل، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكانى، متوفى فى القرن الخامس الهجرى، تحقيق الشيخ محمد باقر محمودى، مجمع الثقافه الاسلاميه، الطبعه الأولى ۱۴۱۱ه-: ۱/۱۲۳. راجع الرازى فى التفسير الكبير، ۵: ۲۰۴. النص المروى: ذكر الرازى فى سبب نزول الآيه أن على بن أبى طالب بات فى فراش رسول الله (ص) ليله خروجه إلى الغار، ويروى أنه لكان نام على فراشه قام جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب يباهى الله بك الملائكه، وفيه نزلت الآيه المباركه «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله» البقره :۲۰۷.

ومن المعقول جدا حينئذ أن يغتنم سعد بن عباده الفرصه ليعلنها حربا أخرى فى سبيل أهوائه السياسيه لأننا نعلم انه هدد الحزب المنتصر بالثوره عندما طلب منه البيعه وقال: لا والله حتى أرميكم بما فى كنانتى وأخضب سنان رمحى واضرب بسيفى وأقاتلكم بأهل بيتى ومن أطاعنى ولو اجتمع معكم الإنس والجن ما بايعتكم(١)، واكبر الظن انه تهيب الإقدام على الثوره ولم يجرأ على أن يكون أول شاهر للسيف ضد الخلافه القائمه وإنما اكتفى بالتهديد الشديد الذى كان بمثابه إعلان الحرب وأخذ يترقب تضعضع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف فكان حرياً به أن تثور حماسته ويزول تهيبه ويضعف الحزب القائم فى نظره إذا رأى صوتا قويا يجهر بالثوره فيعيدها جذعه ويحاول إجلاء المهاجرين من المدينه بالسيف(٢) كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه فى مجلس السقيفه.

ولا ننسى بعد ذلك الأمويين وتكتلهم السياسى فى سبيل الجاه والسلطان وما كان لهم من نفوذ فى مكه فى سنواتها الجاهليه الاخيره فقد كان أبو سفيان زعيمها فى مقاومه الإسلام والحكومه النبويه وكان عتاب بن أسيد بن ابى العاص بن أميه أميرها المطاع فى تلك الساعه.

وإذا تأملنا ما جاء فى تاريخ تلك الأيام(٣) من أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفى ووصل

١- راجع تاريخ الطبرى ٢: ٤٥٩.
٢- تاريخ الطبرى ٢: ٤٥٧ – ٤٥٨ ، قصه السقيفه ، والمتكلم هو الحباب ابن المنذر: (اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعه...).
٣- راجع: الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ج٣ ص ١٢٣ .[هامش فى الأصل].

خبره إلى مكه وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أميه استخفى عتاب وارتجت المدينه وكاد أهلها يرتدون، فقد لا نقتنع بما يعلل به رجوعهم عن الارتداد من العقيده والإيمان كما أنى لا أؤمن بأن مرد ذلك التراجع إلى انهم رأوا فى فوز أبى بكر فوزهم وانتصارهم على أهل المدينه كما ذهب إليه بعض الباحثين لأن خلافه أبى بكركانت فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأكبر الظن أن خبر الخلافه جاءهم مع خبر الوفاه بل تعليل القضيه فى رأيى أن الأمير الأموى عتاب بن أسيد شاء أن يعرف اللون السياسى الذى اتخذته أسرته فى تلك الساعه فاستخفى وأشاع بذلك الاضطراب حتى إذا عرف أن أبا سفيان قدرضى(١) بعد سخط وانتهى مع الحاكمين إلى نتائج فى صالح البيت الأموى ظهر مره أخرى للناس وأعاد الأمور إلى مجاريها وعليه فالصله السياسيه بين رجالات الأمويين كانت قائمه فى ذلك الحين. وهذا التقدير يفسر لنا القوه التى تكمن وراء أقوال أبى سفيان حينما كان ساخطاً على أبى بكر وأصحابه إذ قال: إنى لأرى عجاجه لا يطفيها إلا الدم، وقال عن على والعباس: أما والذى نفسى بيده لارفعن لهما من أعضادهما(٢). فالأمويون قد كانوا متأهبين للثوره والانقلاب وقد عرف على منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعم المعارضه ولكنه عرف انهم ليسوا من الناس الذين يعتمد على تأييدهم وإنما يريدون الوصول

١- راجع تاريخ الطبرى/٢: ٤٤٩ ، لما سمع أبو سفيان ببيعه أبى بكر قال: ما لنا ولأبى فصيل انما هى بنو عبد مناف، فقيل له لقد ولى أبنك فقال: وصلته رحم، وقد ولى الخليفه الأول ابنه يزيد أميراً على الجيش الذاهب إلى الشام.

٢- تاريخ الطبرى ٢: ٤٤٩.

إلى أغراضـهم عن طريقه فرفض طلبهم وكـان من المنتظر حينئـذ أن يشـقوا عصـا الطـاعه إذا رأوا الأحزاب المسـلحه تتناحر ولم يطمئنوا إلى قدره الحاكمين على ضمان مصالحهم ومعنى انشقاقهم حينئذ اظهارهم للخروج عن الدين وفصل مكه عن المدينه.

وإذن فقـد كانت الثوره العلويه فى تلك الظروف إعلاناً لمعارضه دمويه تتبعها معارضات دمويه ذات أهواء شتى وكان فيها تهيئه لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثم المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنه تسـمح لعلى بـأن يرفع صوته وحـده فى وجه الحكم القـائم بـل لتناحرت ثورات شتى وتقاتلت مـذاهب متعـدده الأهداف والأغراض ويضـيع بذلك الكيان الإسـلامى فى اللحظه الحرجه التى يجب أن يلتف فيها المسـلمون حول قياده موحده ويركزوا قواهم لصد ما كان يترقب أن تتمخض عنه الظروف الدقيقه من فتن وثورات.

إنّ علياً الـذى كان على أتم اسـتعداد لتقـديم نفسه قربانا للمبـدأ فى جميع أدوار حياته منذ أن ولد فى البيت الإلهى وإلى أن قتل فيه قد ضحى بمقامه الطبيعى ومنصبه الإلهى فى سبيل المصالح العليا التى جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وصياً عليها وحارساً لها.

وفقـدت بـذلك الرساله المحمـديه الكبرى بعض معناها فان رسول الله (ص) لما أمره ربه بتبليغ دعوته والإنذار برسالته جمع بنى عبـد المطلب وأعلن عن نبوته بقوله: (إنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به) وعن امامه أخيه بقوله: (إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)(١)، ومعنى ذلك أن امامه على تكمله طبيعيه

ص: ٧١

١- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣، وشرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد - الطبعه القديمه، [هامش فى الأصل]. النص التاريخى: روى الطبرى بسـنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآيه وأنذر عشـيرتك الأقربين خرج رسول الله صـلى الله عليه وسـلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا الذى يهتف، قالوا محمد، فقال: يا بنى فلان يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف فاجتمعوا إليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسـفح هـذا الجبل أكنتم مصـدقى قالوا ما جربنا عليك كـذباً، قال: فإنى نذير لكم بين يـدى عـذاب شديـد فقـال أبو لهب تبـا لك ما جمعتنا إلا لهـذا ثم قام فنزلت هـذه السوره تبت يـدا أبى لهب وتب إلى آخر السوره. حـدثنا ابن حميـد قال حـدثنا سـلمه قال حـدثنى محمـد بن إسـحاق عن عبـد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب عن عبدالله بن عباس عن على بن أبى طالب قال لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وأنذر عشـيرتك الأقربين دعانى رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقال لى يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشـيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أنى متى بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءنى جبرئيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصـنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رحل شاه واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبـد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمـامه أبو طـالب وحمزه والعبـاس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الـذى صـنعت لهم فجئت به فلما وضـعته الراوى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم حذيه من اللحم فشـقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفه ثم قال خذوا بسم الله فأكـل القوم حتى مـا لهم بشـىء حاجه وما أرى إلا موضع أيـديهم وايم الله الـذى نفس على بيـده وإن كان الرجل الواحـد منهم

ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال لهد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا على إن هذا الرجل إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلى، قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشىء حاجه ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب: إنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخره وقد أمرنى الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى، قال: فأحجم القوم عنها جميعا رجاء وإنى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتى، ثم قال: إن هذا أخى ووصى فاسمعو له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. تاريخ الطبرى: ۲/۶۳- ۶۴. معجم الصحابه، عبد الباقى بن قانع أبو الحسين، متوفى ۳۵۱ه-، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى،مكتبه الغرباء الأثريه، المدينه المنوره، الطبيعه الأولى ۱۴۱۸ه-:۱/۲۹۳.شواهد التنزيل للحسكانى: ۱/۴۸.

لنبوه محمدصلی الله علیه وآله وإن الرساله السماویه قد أعلنت عن نبوه محمد الکبیر صلی الله علیه وآله وامامه محمد الصغیر فی وقت واحد.

إنّ علیاً الذی رباه رسول الله صلی الله علیه وآله وربی الإسلام معه فکانا ولدیه العزیزین کان یشعر باخوته لهذا الإسلام وقد دفعه هذا الشعور إلی افتداء أخیه بکل شیء حتی أنه اشترک فی حروب الرده التی أعلنها المسلمون

۱) میزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، متوفی ۷۴۸ه–، تحقیق علی محمد البجاوی، دار المعرفه، بیروت– لبنان، الطبعه الأولی ۱۳۸۲ه–.

۲) النصائح الکافیه، محمد بن عقیل، متوفی ۱۳۵۰ه–، دار الثقافه– قم، الطبعه الثانیه ۱۴۱۲ه–.

۳) نظام الحکم فی الإسلام، د. محمد النبهان، جامعه الکویت، ۱۹۷۸، إعاده طبع.

ینابیع الموده، الشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی، متوفی ۱۲۹۴ه–، تحقیق سید علی جمال أشرف الحسینی، أسوه – قم، الطبعه الأولی ۱۴۱۶ه–.

علی تکمله طبیعیه لنبوه محمدصلی الله علیه وآله وإن الرساله السماویه قد أعلنت عن نبوه محمد الکبیر صلی الله علیه وآله وامامه محمد الصغیر فی وقت واحد.

إنّ علیاً الذی رباه رسول الله صلی الله علیه وآله وربی الإسلام معه فکانا ولدیه العزیزین کان یشعر باخوته لهذا الإسلام وقد دفعه هذا الشعور إلی افتداء أخیه بکل شیء حتی أنه اشترک فی حروب الرده التی أعلنها المسلمون یومذاک(۱)، ولم یمنعه تزعم غیره لها عن القیام بالواجب المقدس، لأن أبا بکر إن کان قد ابتزه حقه ونهب تراثه فالإسلام قد رفعه إلی القمه وعرف له أخوته الصادقه وسجلها بأحرف من نور علی صفحات الکتاب الکریم:

وصمد الامام علی ترک الثوره ولکن ماذا یفعل؟ وأی أسلوب یتخذه لموقفه؟ هل

۱– شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ج۴، ص۱۶۵. [هامش فی الأصل].

يحتج على الفئه الحاكمه بنصوص النبى صلى الله عليه وآله وكلماته التى أعلنت أن علياً هو القطب المعد لأن يدور عليه الفلك الإسلامى والزعيم الذى قدمته السماء إلى أهل الأرض(١).

تردد هذا السؤال فى نفسه كثيرا ثم وضع له الجواب الذى تعينه ظروف محنته وتلزمه به طبيعه الأوضاع القائمه فسكت عن النص إلى حين.

ص: ٧٤

١- لقد أكد ذلك النصوص القرآنيه، آيه البلاغ، وآيه (والذى يؤتون الزكاه وهم راكعون)، وآيه التطهير، وآيه إكمال الدين، كما ورد ذلك فى المأثور المتواتر والمستفيض عن صاحب الرساله منذ بدء الدعوه وإلى حين وفاته.

وهی بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وصحابیه أیضاً «فاطمه بضعه منی یریبنی ما أرابها ویؤذینی ما آذاها». الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله صحیح مسلم: ۴ / ۱۹۰۲. البخاری: ۵ / ۲۰۰۴.

لقد کان للزهراء علیه السّلام مکانه خاصه عند رسول الله صلی الله علیه وآله، وهذا ما تظهره الروایات والأحادیث عنه صلی الله علیه وآله والتی رواها المسلون کافه، مع عدم إغفال النصوص القرآنیه التی تجعل لها منزله ومکانه تمنع أن یدعی علیها مدعٍ، فآیه المباهله، وحدیث الکساء التی ترویه أم سلمه ۲، وآیه التطهیر، و آیه {و یطعمون الطعام علی حبّه}(۱) ... إلی غیر ذلک من النصوص الأخری، فضلاً عن الاهتمام الملفت للنظر من قبل النبی صلی الله علیه وآله والذی یستدعی التأمل والنظر بحثاً عن حقیقه أو حقائق عمل علی إخفائها الکثیرون من الأوائل، وسعی من لحق منحازاً، دون اکتراث بعواقب أشارت علیه السّلام إلیها، فبتر هذا وزاد ذاک، وغیب سواهما، إلا أنه مع کل ذلک تبقی حرکتها بین التطواف لیلاً وبین وقوفها فی مسجد أبیها وامام جمع المهاجرین والأنصار- یتصدر مجلسهم الخلیفتین - علی الأمه وللأمه علی امتداد تاریخها.

۱- الانسان: ۸.

حواریه بعد البیعه

روی البخاری قال: حدثنا عبد العزیز بن عبد الله حدثنا إبراهیم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال: أخبرنی عروه بن الزبیر أن عائشه أم المؤمنین رضی الله عنها أخبرته:

«إنَّ فاطمه علیها السلام ابنه رسول الله صلی الله علیه وآله، سألت أبا بکر الصدیق بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله: أن یقسم لها میراثها – ما ترک رسول الله صلی الله علیه وآله مما أفاء الله علیه – فقال أبو بکر: إن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: لا نورث ما ترکنا صدقه؛ فغضبت فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه وآله، فهجرت أبا بکر، فلم تزل مهاجرته حتی توفیت وعاشت بعد رسول الله صلی الله علیه وآله سته أشهر، قالت: وکانت فاطمه تسأل أبا بکر نصیبها مما ترک رسول الله صلی الله علیه وآله من خیبر وفدک وصدقته بالمدینه(۱).

حدثنا أبو بکر بن أبی شیبه حدثنا محمد بن فضیل عن الولید بن جمیع عن أبی الطفیل، قال:

أرسلت فاطمه إلی أبی بکر فقالت: ما لک یا خلیفه رسول الله صلی الله علیه وآله أنت ورثت رسول الله أم أهله، قال: لا بل أهله.

قالت: فما بال سهم رسول الله صلی الله علیه وآله، قال: إنی سمعته یقول: إن الله إذا أطعم نبیاً طعمه ثم قبضه إلیه جعله للذی یقوم بعد فرأیت أنا بعده أن أرده علی المسلمین.

۱- صحیح البخاری: ۳/۱۱۲۶، ۲۹۲۶.

قالت: أنت وما سمعته من رسول الله(۱).

فأبى أبو بكر أن يـدفع إلى فاطمه منها شيئاً، فوجدت من ذلک على أبى بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد أبيها سته أشهر، فلما توفيت دفنها على عليه السّلام ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر(۲).

وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عمر بن عاصم، وموسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمه، عن الكلبى. عن أبى صالح، عن أم هانئ:

«أن فاطمه قالت لأبى بكر: من يرثک إذا مت؟ قال: ولدى وأهلى، قال: فما لک ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا؟ قال: يا ابنه رسول الله، ما ورَّثَ أبوک داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضهً، قالت: بلى سهم الله الذى جعله لنا، وصار فيئنا الذى بيدک، فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما هى طعمه أطعمناها الله، فإذا مت كانت بين المسلمين. وأخبرنا أبو زيد قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن أحمد، عن معمر، عن الزهرى، عن عروه، عن عائشه، أن فاطمه، والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما حينئذ يطلبان أرضه بفدک، وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقه، أنما يأكل آل محمدصلى الله عليه وآله من هذا المال، وإنى والله لا أغير أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه إلا صنعته قال: فهجرته فاطمه فلم تكلمه حتى ماتت(۳)».

۱- مسند أبى يعلى، أبو يعلى الموصلى: ۱/۴۰، ۳۷.
۲- أى لم يحضر الصلاه عليها. السقيفه وفدک، الجوهرى: ۱۰۹.
۳- السقيفه وفدک، الجوهرى: ۱۰۹.

قال أبو بکر للزهراء علیهاالسّلام:

أفترانی أعرفک وأعرف فضلک وشرفک وأمنعک حقک ومیراثک من رسول الله إلا أنی سمعت أباک رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: لا نورث، ما ترکنا فهو صدقه، فقالت: أرأیتکما إن حدثتکما حدیثاً عن رسول الله صلی الله علیه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالت: «نشدتکما الله ألم تسمعا رسول الله یقول: رضا فاطمه من رضای، وسخط فاطمه من سخطی، فمن أحب فاطمه ابنتی فقد أحبنی، ومن أرضی فاطمه فقد أرضانی، ومن أسخط فاطمه فقد أسخطنی؟ قالا نعم سمعناه من رسول الله صلی الله علیه وآله، قالت: فإنی أشهد الله وملائکته أنکما أسخطتمانی وما أرضیتمانی، ولئن لقیت النبی لاشکونکما إلیه»، فقال أبو بکر: أنا عائذ بالله تعالی من سخطه وسخطک یا فاطمه، ثم انتحب أبو بکر یبکی، حتی کادت نفسه أن تزهق، وهی تقول: «والله لادعونَّ الله علیک فی کل صلاه أصلیها»، ثم خرج باکیاً فاجتمع إلیه الناس، فقال لهم: یبیت کل رجل منکم معانقا حلیلته، مسرورا بأهله، وترکتمونی وما أنا فیه، لا حاجه لی فی بیعتکم، أقیلونی بیعتی. قالوا: یا خلیفه رسول الله، إن هذا الأمر لا یستقیم، وأنت أعلمنا بذلک، إنه إن کان هذا لم یقم لله دین، فقال: والله لو لا ذلک وما أخافه من رخاوه هذه العروه ما بت لیله ولی فی عنق مسلم بیعه، بعدما سمعت ورأیت من فاطمه. قال: فلم یبایع علی کرم الله وجهه حتی ماتت فاطمه رضی الله عنهما، ولم تمکث بعد أبیها إلا خمسا وسبعین لیله(۱).

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه الدینوری، تحقیق الزینی: ۱/۲۰.

وقال ابن شبه: حدثنا القعنبی قال: حدثنا عبد العزیز بن محمد، عن محمد بن عمر، وعن أبی سلمه قال:

«إنّ فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه وآله أتت أبا بکر رضی الله عنه، فذکرت له ما أفاء الله علی رسوله بفدک، فقال أبو بکر رضی الله عنه: إنی سمعت النبی صلی الله علیه وسلم یقول: «إن النبی لا یورث»، من کان النبی یعوله فأنا أعوله، ومن کان ینفق علیه فأنا أنفق علیه.

قالت یا أبا بکر: أترثک بناتک ولا ترث رسول الله صلی الله علیه – وآله– وسلم بناته؟

قال هو ذاک(۱)».

وروی الحاکم قال: حدثنا أبو العباس محمد بن یعقوب ثنا الحسن بن علی بن عفان العامری وأخبرنا محمد بن علی بن دحیم بالکوفه ثنا أحمد بن حاتم بن أبی غرزه قالا: ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسین بن زید بن علی عن عمر بن علی عن جعفر بن محمد عن أبیه عن علی بن الحسین عن أبیه عن علی رضی الله عنه قال:

«قال رسول الله صلی الله علیه وآله لفاطمه: ثم إن الله یغضب لغضبک ویرضی لرضاک هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه أی مسلم والبخاری(۲)».

۱- تاریخ المدینه، ابن شبه النمیری:۱/۱۹۸ – ۲۰۰. روی بمعناه أیضا فی مسند الامام أحمد بن حنبل ۱: ۱۷۹.

۲- المستدرک علی الصحیحین: ۳/۱۶۷، ۴۷۳۰.

خطبه الزهراء علیهاالسّلام

ذكر ابن طيفور كلام فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قال أبو الفضل: ذكرت لأبى الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وآله كلام فاطمه عليهاالسّلام عند منع أبى بكر إياها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون انه مصنوع وانه من كلام أبى العيناء (الخبر منسوق البلاغه على الكلام) فقال لى: رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم وقد حدثنيه أبى عن جدى يبلغ به فاطمه على هذه الحكايه ورواه مشايخ الشيعه وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبى العيناء وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطيه العوفى انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه، ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمه فينكرونه وهم يرون من كلام عائشه عند موت أبيها ما هو اعجب من كلام فاطمه يتحققونه لو لا عداوتهم لنا أهل البيت، ثم ذكر الحديث قال لما اجمع أبو بكر على منع فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فدك وبلغ ذلك فاطمه عليهاالسّلام لاثت خمارها على رأسها وأقبلت فى لمه من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشيه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا حتى دخلت على أبى بكر وهو فى حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاءه، ثم أنت انه اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدات فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاه على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم فى بكائهم فلما امسكوا عادت فى كلامها فقالت: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}، فإن تعرفوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ النذاره صادعا بالرساله مائلا على مدرجه المشركين ضاربا لثبجهم آخذا بكظمهم يهشم الأصنام وينكث الهام حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتغرى الليل عن صبحه أسفر

الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفره من النار مذقه الشارب ونهزه الطامع وقبسه العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون الورق أذله خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد ما منى بهم الرجال وذؤبان العرب (ومرده أهل الكتاب) كلما حشوا نارا للحرب أطفأها ونجم قرن للضلال وفغرت فاغره من المشركين قذف بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطا صماخها باخمصه ويخمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله وانتم في بلهنيه وادعون آمنون حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت خله النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغره فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً واجمشكم فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردتموها غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل بدار (وفي نسخه إنما) زعمتم خوف الفتنه إلا في الفتنه سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين فهيهات منكم وأنى بكم واني تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بينه وشواهده لائحه وأوامره واضحه ارغبه عنه تدبرون ام بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخره من الخاسرين ثم لم تريثوا إلا ريث أن تسكن نغرتها تشربون حسوا وتسرون في إرتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى وانتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا أفحكم الجاهليه تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ويها معشر المهاجرين أأبتز إرث أبي أفي الكتاب أن ترث أباك ولا ارث

أبی لقـد جئت شـیئا فریـا فـدونکها مخطومه مرحوله تلقاک یوم حشـرک فنعم الحکم الله والزعیم محمـد والموعـد القیامه وعند الساعه یخسر المبطلون ولکل نبأ مستقر وسوف تعلمون، ثم انحرفت إلی قبر النبی صلی الله علیه وآله وهی تقول:

قد کان بعدک أنباء وهنبثه

انا فقدناک فقد الأرض وابلها

لو کنت شاهدها لم تکثر الخطب

واختل قومک فأشهدهم ولا تغب

قال فما رأینا یوما کان اکثر باکیا ولا باکیه من ذلک الیوم(۱).

ص: ۸۲

۱- بلاغات النساء، ابن طیفور: ۱۲-۱۴، شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۱۶/۲۴۹.

الامام وخلافه أبی بکر

ورد عن الامام علی علیه السّلام فی بیان مفارقه تولیه أبی بکر الخلافه علی وفق النص السابق بمدلولیه «القرابه» و«الطاعه»:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبی قحافه وهو یعلم أن محلی منها محل القطب من الرحی، ینحدر عنی السیل ولا یرقی إلیَّ الطیر، حتی إذا مضی إلی سبیله، فأدلی بها إلی فلان – أی إلی عمر بن الخطاب – بعده !!! فیا عجباً !!! بینا هو یستقیلها فی حیاته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعیها!!!»(۱).

الامام والشوری

وصف الامام لمنهج عمر فی التولیه قائلاً:

«خَلَفَ الفتنه ... رَحِلَ وترکهم فی طرق منشعبه لا یهتدی فیها الضال، ولا یستیقن المهتدی فصیرها – أی الخلافه – فی حوزه خشناء یغلظ کلاها ویخشن مسها، یکثر العثار فیها والاعتذار منها، حتی إذا مضی لسبیله – أی عمر – جعلها فی جماعه زعم أنی أحدهم فیالله وللشوری متی اعترض الریب فیَّ مع الأول منهم حتی صرت أُقرن إلی هذه النظائر، فصغی رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن إلی أن قام ثالث – أی عثمان– القوم(۲).

۱– المعیار والموازنه– أبوجعفر الاسکافی : ۴۸، شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۱۷ ۱۵۲بتفاوت بالألفاظ.
۲– شرح النهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۱/۱۸۴.

الامام وخلافه عثمان

وقد وصف الامام تولى عثمان الأمر بقوله عليه السّلام:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمه الإبل نَبْتَه الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»(۱).

دلاله الألفاظ:

نافجا حضنيه: رافعا لهما، والحضن: ما بين الابط والكشح، يقال للمتكبر: جاء نافجا حضنيه، ويقال لمن امتلا بطنه طعاما: جاء نافجا حضنيه، ومراده عليه السّلام هذا الثانى. والنثيل: الروث. والمعتلف: موضع العلف، يريد أن همه الاكل والرجيع، وهذا من ممض الذم، والخضم: أكل بكل الفم، وضده القضم، وهو الاكل بأطراف الاسنان. وقيل:

۱- شرح النهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ۱/ ۱۹۷. وفى تاريخ المدينه لابن شبه تفاوت فى الألفاظ: حدثنا محمد بن عباد قال، حدثنا غسان بن عبد الحميد قال، بلغنا أن عبد الله بن مالك بن عيينه الازدى حليف بنى مطلب قال : لما انصرفنا مع على رضى الله عنه من جنازه عمر رضى الله عنه دخل فاغتسل، ثم خرج إلينا فصمت ساعه، ثم قال [أى الامام على]: لله بلاء نادبه عمر قالت : واعمراه، أقام الاود وأبدأ العهد واعمراه . ذهب نقى الثوب قليل العيب، واعمراه أقام السنه وخلف الفتنه، ثم قال- أى الامام على-: والله ما درت هذا ولكنها قولته وصدقت، والله لقد أصاب عمر خيرها وخلف شرها، ولقد نظر له صاحبه فسار على الطريقه ما استقامت ورحل وتركهم فى طرق متشعبه لا يدرى الضال ولا يستيقن المهتدى تاريخ المدينه، ابن شبه النميرى: ۳ /۹۴۱. والدلاله فى القول العلوى تباين فى أولياتها ما ذكر فى النهج وفى تاريخ المدينه عباره (لقد صدقت ابنه أبى خثمه حين قالت) يظهر أنها مُدخله لأنه فى العباره التاليه ترد كلمه صدقت.

الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشئ اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف، وهو أنهم على قدم عظيمه من النهم وشده الاكل وامتلاء الافواه. وقال أبو ذر رحمه الله تعالى عن بنى أميه: يخضمون ونقضم، والموعد الله. والماضى " خضمت " بالكسر، ومثله قضمت. والنبته، بكسر النون كالنبات، تقول: نبت الرطب نباتا ونبته. وانتكث فتله: انتقض، وهذه استعاره. وأجهز عليه عمله: تمم قتله. يقال: أجهزت على الجريح، مثل ذففت إذا أتممت قتله وكبت به بطنته، كبا الجواد إذا سقط لوجهه. والبطنه الإسراف فى الشبع.

وقال فيه أيضاً واصفاً مفاصل أخرى من سلوك الخليفه الثالث:

«إنه كان على الناس والٍ أحدث أحداثاً، وأوجد للناس مقالاً؛ فقالوا ثم نقموا فغيروا»(۱).

-: « استأثر – أى عثمان– فأساء الإثره »(۲).

رؤيه تقييميه ونصح

إنَّ عثمان فى منظور الامام أفضل من سابقيه وهى تغاير مناقبيه المخيال المؤسس وفقاً لتراتبيه التولى التى مُلئ بها المنقول التاريخى والتراجمى؛ ففى حواريه بين الامام والخليفه إبان أحداث الثوره خاطب الامام الخليفه الثالث:

«وما ابن أبى قحافه ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وشيجه رحم منهما ... فالله الله فى نفسک،

۱- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ۱/ ۹۴.

۲- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ۱/۷۶.

فإنک والله ما تبصر من عمی ولا تعلم من جهل، وإن الطریق لواضحه، وإن أعلام الدین لقائمه، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله امام عادل، هُدی وهَدی، فأقام سنه معلومه وأمات بدعه مجهوله، وإن السنن لنیره لها أعلام، وإن البدع لظاهره لها أعلام وإن شر الناس عند الله امام جائر ضَلَّ وضُل به، فأمات سنه مأخوذه، وأحیا بدعه متروکه، وإنّی سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: یؤتی یوم القیامه بالامام الجائر، ولیس معه نصیر ولا عاذر، فیلقی فی نار جهنم، فیدور فیها کما تدور الرحی، ثم یرتبط فی قعرها.

وإنی أنشدک الله أن تکون امام هذه الأمه المقتول، فلا تکونن لمروان سِیقه یَسُوقک حیث یشاء بعد جلال سن وتقضی العمر»(۱).

إقامه الحق بوجود الناصر لا بالإکراه

اتضح من نصوص سابقه أن الامام علی قد ثبت أنه أحق بالخلافه ووراثه النبی صلی الله علیه وآله من غیره وکان ذلک بُعید بیعه "السقیفه"، إلا أنه أثبت أن موقفه کان مبتنیاً علی أسس موضوعیه تتسم فی مضمونها ومحتوها مع مبادئ الرساله الإسلامیه، فقد روی عنه أنه قال:

«وطفقت أرتئی بین أن أصول بید جذاء، أو أصبر علی طخیه عمیاء، یهرم فیها الکبیر، ویشیب فیها الصغیر، ویکدح فیها مؤمن حتی یلقی ربه، فرأیت أن الصبر علی هاتا أحجی، فصبرت وفی العین قذی، وفی الحلق شجی، أری تراثی نهبا»(۲).

۱- شرح نهج البلاغه - ابن أبی الحدید: ۹/-۲۶۱- ۲۶۲.
۲- شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۱/۱۵۱. مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، وفاته عام ۵۸۸ ه-،تحقیق لجنه من أساتذه النجف الأشرف،مطبعه الحیدریه النجف الأشرف، ۱۳۷۶ه-: ۲/۴۸.

وقال الامام على أيضاً:

«افلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح»(۱).

ثم يبين الامام أنه لم يكن معه إلاـ أهل بيته وليس يقومون لمثل هذا الأمر بعدتهم وعددهم الذى لاـ يقارن بأنصار من ولى الأمروالناس لملوكهم أطوع، فقال:

«فنظرت فإذا ليس معى إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت...، فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى»(۲).

ص: ۸۷

۱- نهج البلاغه، محمد عبده : ۱/۴۰.

۲- المسترشد فى امامه أمير المؤمنين(ع)، محمد بن جرير الطبرى الامامى، وفاته عام أوائل القرن الرابع الهجرى، مطبعه سلمان الفارسى، الطبعه الأولى(بدون تاريخ) : ۴۱۷.

الفصل الثانی

اشاره

ص: ۸۸

خلافه عثمان بن عفان

استُخلف عثمان لثلاث مضين من المحرم سنه أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر.

فعن عمرو عن الشعبى، قال:

«اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضين من المحرم، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامه، فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائه ووفد أهل الأمصار وصنع فيهم، وهو أول من صنع ذلك».

وعن هشام بن محمد قال:

قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذى الحجه سنه ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وسته أشهر وأربعه أيام(۱).

الشورى وخلافه عثمان

لما طُعن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب وضع منهجاً وتخطيطاً لمن يتولى الأمر بعده(۲)؛ وبذلك يكون قد خرج على سنه سابقيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والخليفه الأول - فحسب التراث السقيفى:

۱- تاريخ الطبرى: ۳/۳۰۵.

۲- تاريخ الطبرى: ۳/۲۹۲- ۲۹۵.

«إنّ النبی صلی الله علیه وآله ترک أمر رسالته، فلم یعین أحداً ولم یضع منهجاً یُسار علیه من بعده، وکان أبو بکر قد عهد إلی عمر بالأمر من بعده –واصطلح علی التخطیط العمری هذا ب– [الشوری]».

آلیه تطبیق الشوری

وأما آلیه التطبیق فقد وضع الخلیفه أسسها ومفرداتها وأمر بتنفیذها بتمامها، وقد رواها المؤرخون وأهل السیر والتراجم، فالطبری یروی عن عبد الله بن عمر عن أبیه أنه قال لهم – أی لأصحاب الشوری – : فإذا مت فتشاوروا ثلاثه أیام ولیصل بالناس صهیب ولا یأتین الیوم الرابع إلا وعلیکم أمیر منکم ویحضر عبد الله بن عمر مشیراً ولا شیء ل–ه من الأمر وطلحه شریککم فی الأمر، فإن قدم فی الأیام الثلاثه فأحضروه أمرکم، وإن مضت الأیام الثلاثه قبل قدومه فاقضوا أمرکم.

وقال – عمر – لأبی طلحه الأنصاری: یا أبا طلحه إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بکم فاختر خمسین رجلاـ من الأنصار فاستحث هؤلاـء الرهط حتی یختاروا رجلا منهم، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمونی فی حفرتی فاجمع هؤلاء الرهط فی بیت حتی یختاروا رَجُلًا منهم، وقال لصهیب: صل بالناس ثلاثه أیام وادْخل علیاً وعثمان والزبیر وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحه إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولاـ شیء له من الأـمر وقم علی رؤوسهم فإن اجتمع خمسه ورضوا رَجُلًا وأبی واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسیف!!، وإن اتفق أربعه فرضوا رجلًا منهم وأبی اثنان فاضرب رؤوسهما !؛ فإن رضی ثلاثه رجلا منهم وثلاـثه رجلاـ منهم فحکموا عبد الله بن عمر!! فأی الفریقین حکم له فلیختاروا رجلا منهم فإن لم یرضوا بحکم عبد الله بن عمر، فکونوا مع الذین فیهم عبد الرحمن ابن عوف واقتلوا الباقین إن رغبوا

عمـا اجتمع عليه النـاس، فخرجوا فقـال على لقوم كـانوا معه من بنى هـاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبـداً، وتلقاه العباس فقال: عدلت عنا، فقال: وما علمك، قال: قرن بى عثمان وقال كونوا مع الأكثر فإن رضـى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الـذين فيهم عبـد الرحمن بن عوف، فسـعد لاـ يخالف ابن عمه عبـد الرحمن وعبـد الرحمن صـهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معى لم ينفعانى، بله، إنى لا أرجو إلا أحدهما(١).

فقال عبـد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضـلكم فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها فقال عثمان: أنا أول من رضـى فـإنى سـمعت رسول الله، يقول: أمين فى الأرض أمين فى السـماء، فقال القوم: قـد رضـينا وعلى ساكت، فقال: ما تقول: يـا أبـا الحسن، قـال: أعطنى موثقـا لتؤثرن الحق ولاـ تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الأمه، فقال: أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بـدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثـاق الله ألاـ أخص ذا رحم لرحمه ولا ألو المسـلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله، وقال لسـعد: أنا وأنت كلاله فاجعل نصـيبك لى فأختار..فقال له سـعد: أيها الرجل بايع لنفسـك وأرحنا وارفع رؤوسنا...ثم قال سعد: فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدرككك، فامض لرأيك فقد عرفت عهدعمر(٢).

على هامش الشورى

وبالتأمل والقراءه الواعيه لما نقله الطبرى أيضاً عن الخليفه الثانى حين طلبوا منه

١- تاريخ الطبرى:٢/ ٥٨٢. ويشير الامام (ع) إلى أن الزبير سيكون معه.

٢- تاريخ الطبرى:٣/٢٩٦.

أن يستخلف - بعدما طُعن - لم يذكر أي ممن ادعى أن النبى صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض؛ إلا علياً، بعد أن تمنى أحد رجلين.

فعن (عمرو بن ميمون الاودى قال:

«إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين: لو استخلفت، قال: من أستخلف لو كان أبو عبيده بن الجراح حياً استخلفته فإن سألنى ربى قلت: سمعت نبيك، يقول: إنّه أمين هذه الأمه، ولو كان سالم مولى أبى حذيفه حياً استخلفته فإن سألنى ربى قلت: سمعت نبيك يقول: إنّ سالماً شديد الحب لله، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى وإن أترك فقد ترك من هو خير منى ولن يضيع الله دينه)(١)، فخرجوا، ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين: لو عهدت عهداً، فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أنظر فأولى رَجُلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى على(٢)».

مآلات بين النص والواقع

وبالتأنى والتأمل فى الواقع والمروى بهذا الخصوص، مقارنه بأقوال الخليفه يصعب تخطى الدلاله فى النصوص، لتباعد المصداق فيها حين البحث فى المتتابع المروى أو فى ما آلت إليه الأحداث، وما تجسم فى الواقع من حيثيات تتالت، فكان عليٌّ على كل تقدير، إنّه أولى الناس بها - الخلافه- فحسب قول عمر، هو الذى يحملهم على الحق،

ص: ٩٣

١- تاريخ الطبرى ٣/٢٩٢.

٢- تاريخ الطبرى ٣ /٢٩٣.

إلا أنه أبعـد الستـه عنها، وكما قال على: لا أرجو إلا أحـدهم أى الزبير، فالمعادله قد رسـمت نتيجتها، فطلحه لا يدلى بصوته إلى على، ولا ـ عبـد الرحمن، والزبير ممن امتنع عن بيعه أبى بكر، واعتصم فى بيت فـاطمه عليه السّـلام مع من بقى بصف الامـام على عليه السّـلام، وهو بعـد ابن عمه الامـام عليه السّـلام، فهو مَنْ كـان يرجوه الامام أن يكون معه، وليس بنافعه وفقاً للآليه التى مآلها قطعاً لعثمان دون منافسـيه جميعاً، كما يتجلى ذلك من حواريه سعد بن أبى وقاص مع عبد الرحمن بن عوف حين يحثه أن يبايع لنفسه؛ فيريح بذلك سعد الذى أدرك عهد عمر فيما بعد!!

وثمه ما يثار هنا على وفق المنقول عن الخليفه، والذى أقره على نفسه، ويلزمه وإن لم يلتزم به أيضاً فيما يخص الامام عليه السّلام مـن أنه أولى الستـه بهـا والعامـل بـالحق حسب المنطـوقين؛ فَلِمَ لم يَرْسِم له – الخليفه- الـدور الـذى أوكله إلى عبـد الرحمن فى الشورى؟

ولماذا مَن يكون فى طرفه عبد الرحمن فهو يلى الأمر ويكون خليفه؟ ومَن يخالف يقتل، بل لو امتنع أكثر من واحد أيضاً يقتلان، وهما قطعاً على والزبير، وبإضافه مدعم رواه الطبرى فى السـياق الشوروى، وهو قول سـعد بن أبى وقاص لعبد الرحمن بن عوف: فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدرككـ – أى أدرك عبد الرحمن- فأمض لرأيك فقد عرفت عهد عمر!!(۱)، كما سبق لسعد قول آخر لعبـد الرحمن: أيهـا الرجـل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسـنا، فبالمـداناه أو بالتقريب بين القولين تجـد كلمات سـعد تفسيرها، فيما قاله الامام على لعبد الرحمن:

۱- تاريخ الطبرى:۳/۲۹۶.

«حبوته حبو الدهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو فى شأن، فقال عبد الرحمن: يا على لا تجعل على نفسك سبيلا»(۱).

كما يستجلى هذا التوجه فى وصيه الصحابى - العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وآله - للامام على، وهى كاشف ومقرب وقرينه مفسره فى ذات السياق: «أحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر»(۲)، وسبق أن قال العباس له: لا تدخل معهم؛ فأجابه الامام: أكره الخلاف. وفى ذات السياق مؤشر وداله أخرى - وهو ما رواه الطبرى أيضاً - عن المغيره بعد بيعه عثمان؛ فقام المغيره بن شعبه خطيباً، فقال يا أبا محمد - يعنى عبد الرحمن بن عوف - الحمد لله الذى وفقك، والله ما كان لها غير عثمان - وعلى جالس - فقال عبد الرحمن: يا ابن الدباغ ما أنت وذاك والله ماكنت أبايع أحداً إلا قلت فيه هذه المقاله(۳)، ولا نريد أن نرتكز المخيال - الذى يرسم جنه فيها القتيل والقاتل على السواء - كما يقال ونربط بعهد أبى بكر لعمر، فعثمان هو الذى كتب اسم عمر بعد أن أُغمى على أبى بكر، ولما أفاق جزّاه خيراً - لعثمان- حين عَلِم أنه كتب العهد لعمر على لسانه، إلا أن الكيفيه التى تمت بها بيعه عثمان، وإبراء عبد الرحمن لذمته بنقل العهد، وموقف عمار بن ياسر والمقداد - وبروايه الطبرى أيضاً - كما روى موقف عم النبى صلى الله عليه وآله العباس، تُعَدُّ دلائل ومقربات لموقف تآزرى على

۱- تاريخ الطبرى : ۳/۲۹۷.

۲- تاريخ الطبرى :۳/۲۹۴.

۳- تاريخ الطبرى : ۳/۳۰۲.

إبعاد علی، وهو ما صرح به علی علیه السّلام والعباس وما حکاه سعد:

بقولیه :«بایع لنفسک، وعرفت عهد عمر»،

وقوله الثالث:

«فقال سعد بن أبی وقاص: یا عبد الرحمن أفرغ قبل أن یفتتن الناس، رداً علی ما دار بعد قول عمار: إذا أردت – لعبد الرحمن – إن لا یختلف المسلمون فبایع علیاً؛ فقال المقداد: صدق عمار، إن بایعت علیاً قلنا سمعناً وأطعنا، فقال له عبد الرحمن: یا مقداد اتق الله فإنی خائف علیک الفتنه، ومن ثم کیف نقرأ قول عبد الرحمن لعلی: لا تجعل علی نفسک سبیلاً، فهل یقرأ ذلک تهدیداً أو ربما قِیل لحفظ الجماعه وعدم شق صفوفها، وإنّ أمراً تکون عاقبته «القتل» ماذا یستشف منه»؟!

فلا یبحث عن جذره فی مواضی الأحداث فإنه بُنی علیها!! وعلی وفقه ما کان یعنی نصح عبد الرحمن أن یتقیا الفتنه؟!!

وما یُمیز بین فتنه عبد الرحمن، والفتنه التی یشیر إلیها سعد فی محاورته لعبد الرحمن؟!!

وهل هذه المذکورات مما غیب دلالاتها بین تراکمات التاریخ أم هی هفوات رواته؟!! أم سُکت عنها لأنها قول صحابی، وقوله فی کل شیء حجه، إلا إذا کانت الدلاله فیه تحکمه، أو تنتصر للرساله والرسالیین، فَتُحْجَب الرؤیا عنه، وتنتفی حجیته!!

وربما الدلاله التفسیریه لهذا الخطاب قول ابن أبی سرح لعبد الرحمن: إذا أردت أن لا تختلف قریش فبایع عثماناً؟!! وقرر قوله عبد الله بن أبی ربیعه قال: صدق إن

بايعت عثماناً قلنا سمعنا وأطعنا..!(۱).

ومع التغاضـی عن كل هذا وذاك، فهل يكفی قبول عثمان بسـنه الشـيخين مرجحاً له؛ فيفوز وترجح كفته؛ فيعلنه عبد الرحمن بن عوف خليفه للمسـلمين، ويبعد علياً لرفضه هذا الشـرط غير المنصوص فی كتاب أو سنه، فهو صحابی كما اجتهد عمر مقابل سنه الخليفه الأول - بل ومقابل سنه النبی صلی الله عليه وآله(۲)- فيما خص سلفه عهداً بالخلافه، فلماذا يجوز لهم ولا يحق لابن أبی طـالب أن يجتهـد برأيه، وما وُفق له حسب تعبيره عليه السّـلام؟!! - فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحـد - والمفروض أنْ لامرجح بين الاجتهادين إلا بالقرب والبعد من سنه الرسول صلی الله عليه وآله، والمرجح مروی عنه صلی الله عليه وآله حين بعثه إلی اليمن للقضاء بين أهلها ودعا له بالتسديد، فما أشكل عليه الحكم بين اثنين قط(۳).

معاويه وحصار الخليفه

نقل الرواه الكثير عن اسـتنجاد الخليفه الثالث بمعاويه واليه علی الشام، إلّا أن معاويه لم يجـد ولم يحمل ما يطلبه الخليفه منه علی محمـل الجـد والسـعی لتخليصه ممـا أحـاط به، ففی الجلسه التی جمعت معـاويه والخليفه وولاته الآخرين، كان ما اقترحه معاويه علی الخليفه أن يكفيه

۱- تاريخ الطبری : ۳/۲۹۷.

۲- عن عمر قـال : متعتـان كانتـا علی عهـد رسول الله (ص) أنهی عنهمـا وأُعـاقب عليهما: متعه النساء، ومتعه الحـج .شـرح معانی الآثار، أحمد بن محمد بن سلمه: ۲/۱۴۴. كنـز العمال المتقی الهندی :۱۶/ ۵۱۹، حديث: ۴۵۷۱۵.

۳- البدايه والنهايه، ابن كثير: ۷/۳۸۱.

الشـام دون تـدخل فی مـا آل إليه أمر الخليفه، حيث الموقـف المتشـدد من الأـمه تجـاهه وإزاء ولاـته، فخرج من المـدينه واعـداً الخليفه المـدد والنصـره إلاـ أنه كـان يتربص نهـايه الخليفه دون أن تسـجل عليه الأمصار والثوار موقفاً لجانب الخليفه تحسـباً لما يطمح أن يصل إليه.

وإن الخليفه سـجل هـذا التوانی والتباطؤ علی معاويه كما سـننقله فی المروی عن أحداث كان يرقبها معاويه مبتعداً عنها ما وسـعه ذلك، حتی إذا ما سـقط الخليفه قتيلًا – نتيجه أفعال ولاته وسوء تصـرفاتهم، وتوانی الخليفه عنها- علق معاويه قميصه علی أعواد بدمشق حاثاً أهله والشوام للطلب بثأره، وهم الذين قال معاويه عنهم: إنّهم لا يميزون بين الناقه والجمل.

كتاب الخليفه

وكتب عثمـان إلی أهـل الشام عامه، وإلی معاويه وأهل دمشق خاصه: «أما بعـد فإنی فی قوم طال فيهم مقامی، واسـتعجلوا القـدر فیّ، وقـد خيرونی بين أن يحملونی علی شـارف من الإبـل إلی دخل. وبين أن أنزع لهم رداء الله الـذی كسانی. وبين أن أقيـدهم ممن قتلت، ومَن كان علی سـلطان يخطئ ويصـيب فياغوثاه ياغوثاه، ولا أمير عليكم دونی، فالعجل العجل يا معاويه، وأدرك ثم أدرك، وما أراك تدرك»(۱).

لقـد أرسـل الخليفه عثمـان بن عفـان يسـتنجد معـاويه ويطلب منه أن يجـد السـير ليخلصه ممن أحاط به، ولكنه أبطأ ودخل علی الخليفه وترك جنـده علی بعـد مـا من المـدينه، وأتی- معـاويه- عثمانـاً؛فقـال له – عثمـان- إنمـا أردت بـذلك أن أُقتل وتكون الطالب بثأری؛ وفعلاً بعد عودته إلی جنده أتاه الناعی بمقتل الخليفه.

۱– الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوری، تحقيق شيری: ۱/۵۵.

إن معـاويه لما وصـله كتاب عثمان تريث فی الإجابه والرد معتبراً أنه لن يسـتطيع رد ما قضاه الله، وإنّ عثمان مقتول لا محاله، فلما أبطأ معاويه أرسل إلی يزيـد بن أسد بن كرز وإلی أهل الشام يسـتنفرهم ويعظم حقه عليهم فقام وسار إليه وتابعه ناس كثير حتی إذا كانوا بوادی القری بلغهم قتل عثمان فرجعوا(١)؛ فليتأمل فی هذا متأمل!!(٢).

١- الامامه والسياسه: ١/٥٧ .

٢- انظر: تاريخ الطبری : ٥/١١٥- ١١٦.

مواقف

موقف عائشه من الخليفه

عزمت عـائشه على الحـجّ، وكـان بينهـا وبين عثمـان قبـل ذلـك كلامـ، وذلك أنّه أخّر عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضـبت، ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتك، وضـيّقت رعيتك، وسـلّطت الأشرار من أهل بيتك، لا سقاك الله الماء من فوقك، وحرمـك البركه من تحتك. أما والله، لولا الصلوات الخمس لمشـى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يـذبحونك كما يذبـح الجمل، فقال لها عثمان:

{ضَـرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا امْرَأَهَ نُوحٍ وَامْرَأَهَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَـيْئَاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}(۱).

وكانت عائشه تحرّض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول:

«أيّها الناس، هذا قميص رسول الله – صلى الله عليه وآله – لم يبل وبليت سنّته، اقتلوا نعثلًا، قتل الله نعثلًا»(۲).

وقال مروان بن الحكم لها:

ص: ۱۰۰

۱– سوره التحريم الآيه: ۱۰.

۲– الاستغاثه، على بن أحمد الكوفى، وفاته عام ۳۵۲ه‍–: ۲/۹، كشف الغمه، على ابن عيسى الاربلى: ۲/۱۰۸، خرجه عن الفتوح، بتفاوت فى الألفاظ.

«یـا أمّ المؤمنین، لو أنّک قمت فأصـلحت بین هـذا الرجل وبین الناس لکان أعظم لأجرک، فقالت: الآن تقول هـذا وقـد أوجبت الحجّ علی نفسی، لا والله لا أقمت(۱)».

وفی تاریخ الیعقوبی: وصار مروان إلی عائشه فقال: یا أم المؤمنین! لو أقمت لأصلحت بین هذا الرجل و بین الناس؟

قالت: قـد فرغت من جهازی، و انا اریـد الحج. قال: فیدفع الیک بکل درهم انفقته درهمین، قالت: لعلک تری أنی فی شک من صاحبک؟ أما والله لوددت أنه مقطع فی غره من غرائری وأنّی أطیق حمله فأطرحه فی البحر(۲).

وجعل مروان یتمثّل بهذا البیت:

ضرّم قیس علی البلاد دما

إذا اضطرمت یوم به أحجما

فقالت عائشه:

قد فهمت ما قلت یا مروان.

ثمّ إنّهـا خرجت تریـد مکّه، فلقیهـا ابن عبّـاس فقالت له: یا ابن عباس، إنّک قـد أوتیت عقلًا وبیاناً، فإیّاک أنْ تَرد الناس عن قتل هـذا الطـاغی عثمـان، فإنّی أعلم أنّه سـیشأم قومه کما شأم أبو سـفیان قومه یوم بـدر. ثمّ ترکت عثمان علی ما هو فیه من الحصار والشدّه(۳).

۱- الفتوح: ۲/۴۲۱. وانظر الامامه والسیاسه، ابن قتیبه: ۱/۷۲. وتاریخ الطبری:۳/۴۴۷.

۲- تاریخ الیعقوبی:۲/۱۷۶.

۳- الفتوح :۲/ ۴۲۲.

وإذا ما يسأل سائل عن إقرار أَمّ المؤمنين وإصرارها في محاوراتها مع مروان وابن عباس أن لا يرد الناس عن الخليفه - وبتعبيرها الطاغيه- والتي تفصح عن تحريض وأمر بالقتل؟ فهل يجد المسلم جواباً مقنعاً في خروجها تقود بَنِيها في الجمل ضد الشرعيه أو ما ستقوله لابن أُم كلاب فيما بعد، أم يشفيه ما يردده المؤرخون - وهو انحياز- وأهل الحديث والتراجم والسير؟ بأن ما كان من الصحابه في خروجهم - وبتعبير فقهي بغيهم على أمير المؤمنين- اجتهادات بين متأول أخطأ وآخر مصيب، ولكل أجر على قدر مشقته؟!!

وعند عوده عائشه من مكه بعد مقتل عثمان، لقيّها عبيد ابن أمّ كلاب سألته عن حال عثمان والناس، فأخبرها بمقتله، وأنّ الناس قد بايعوا عليّاً، فقالت:

ما كنت أبالي أنْ تقع السماء على الأرض، قتل عثمان والله مظلوماً، وأنا طالبه بدمه.

فقال لها عبيد: إنّ أوّل من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر! فقالت عائشه: قد والله قلت، وقال الناس، وآخر قولي خير من أوّله.

فقال عبيد: عذر والله ضعيف يا أمّ المؤمنين، ثمّ قال:

منك البداء ومنك الغير

وأنت أمرت بقتل الامام

ومنك الرياح ومنك المطر

وقلت لنا أنّه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله

وقاتله عندنا من أمر(١)

وكان لعائشه موقف سابق آخر حول مقتل الرجل المصرى الذى قتله والى الخليفه بمصر عبد الله بن أبى سرح، وطلبت منه أنْ يقيم عليه الحد ويُنْصِفَ الناس لِمَا سفك من دم مسلم بغير حقّ.

إنَّ هذه التداعيات والمواقف المضطربه تُعد مظهراً لسياده الرأى وتغيب النص والتحاكم إلى الرأى دون المرجعيه الإسلاميه، وإنَّ جمله من المأثور عن أمير المؤمنين بهذا الخصوص توضح أنَّ تلك المواقف والتداعيات وأنْ تسترت برداء الدين فهى تعبير عن ضغائن أو نفعيه وهدف مضمر متجه نحو التسلط والسلطه..

الوليد بن عقبه والى الكوفه

عزل عثمان سعد بن أبى وقّاص عن ولايه الكوفه وولى الوليد بن عقبه مكانه - وهو أخو عثمان لأمّه - وقد أخذ عليه الناس سوء فعاله وشكوه للخليفه. ومنها:

١- صلّى الصبح أربعاً وسألهم إنْ أرادوا مزيداً.

٢- إدخاله لساحر يهودى إلى المسجد ليعمل له بعض الشعوذه والسحر وما إليها من أعمال الشيطان، وكان جماعه من أهل الكوفه حضوراً منهم جُندب بن كعب الأزدى، فجعل يستعيذ بالرحمن من فعل الشيطان، ثمَّ جرد سيفه وقتل اليهودى، وقال لليهودى: إنْ كنت صادقاً فى نفسك فأحى نفسك. فسجنه الوليد وأمر فى اليوم الثانى بقتله، وقد هرّبه السجّان لِمَا رأى من صلاحه وعبادته،

١- الامامه والسياسه :١/ ٥١ - ٥٢.

فقتل الوليد السجّان بدلاً عنه، فذهب وفد من الكوفه إلى الخليفه لشكايته وعزله(١).

سعيد بن العاص

ولّاه الخليفه على الكوفه بعد عزل الوليدوإقامه الحدّ عليه لشربه الخمر، وكان قد أساء السيره فأخذ عليه الناس مآخذ، ثمّ طردوه من الكوفه وتولّى من بعده أبو موسى الأشعرى باختيار أهل الكوفه.

ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرّفاته:

١- ضربه لهاشم بن عتبه المرقال وهو من خيار المسلمين، ثمّ إنّه حرق داره.

٢- لما كان بينه وبين جماعه من وجهاء الكوفه وخيارهم، ودعواه بأنّ (السواد كلّه بستان لقريش) فما نشاء منه أخذناه وما نشاء تركناه، ثم قال:

«ولو أنّ رَجُلًا قدّم فيه رِجْلًا لم ترجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقطعتها. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أم غيرك؟

فقال سعيد بن العاص: لا، بل أنا أقوله.

فقال الأشتر: أتريد أنْ تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيافنا بستاناً لك ولقومك؟! والله، ما يصيبك من العراق إلّا كما يصيب رَجُلًا من المسلمين(٢).

وتبرز هذه الحواريه جدل الرأى – يمثله والى الخليفه– والمرجع، الذى يتمثل فى

١- الفتوح :٢/ ٣٨١، الكامل فى التاريخ :٣/ ۴٢.

٢- تاريخ الطبرى:۵/ ٣٢٨ . الفتوح :٢/ ٣٨۵.

محاججه مالک الأشتر الذی یستظل کلامه باستخدام المفهوم المرجعی تجاه الرأی المبتنی علی أفضلیه قوم الخلیفه وو الیه علی الکوفه غیر المستند إلی النص. کما أنَّ لمالکٍ مرکزاً وجاهاً یوازی،بل یضاهی - مع تجاوزات الوالی وخروجاته - ما لوالی الخلیفه من سلطه وقوه ومرکز فی الکوفه وبین أهلها، ویُظهر ذلک الأحداث التی تعقب هذه الحادثه بإبعاد وطرد سعید من الکوفه، وبالتالی یتولی أبو موسی الأشعری الکوفه لا باختیار الخلیفه، بل بطلب ورغبه الکوفیین فیه بقیاده الأشتر.

وکان سعید بن العاص قد أرسل إلی الخلیفه کتاباً یتضح من خلال مصداق ما أشرنا إلیه آنفاً:

«فإنّی أخبر أمیر المؤمنین أنّی لا أملک من الکوفه شیئاً مع الأشتر النخعی، ومعه قوم یزعمون أنّهم القرّاء وهم السفهاء».

وردّ علیه الخلیفه: فقد بلغنی کتابک تذکر فیه أنّک لا تملک من الکوفه شیئاً مع الأشتر، ولعمری إنّک تملک منها العریض الطویل، ثمّ أمره بنفیهم وتسییرهم إلی الشام(١).

ثُمَّ إنَّ سعیداً ذهب إلی المدینه لمقابله الخلیفه، وعند عودته خرج له جماعه من أهل الکوفه وطردوه وأرسلوا للخلیفه أنْ یجعل علیهم أبا موسی الأشعری، فوافق الخلیفه - مکرهاً - وأقرّه علی ولایه الکوفه بدلاً عن سعید بن العاص(٢).

وإنّ الخلیفه کتب إلی سعید بن العاص بعد أنْ عاد الأشتر ومن معه من الشام أنْ

١- تاریخ الطبری :٥/ ٣٢٢.

٢- تاریخ الطبری: ٥/ ٣٣٩.

يسيّرهم إلى حِمْص، وكتب إلى الأشتر: أمّا بعد، فإنّى قد سيّرتكم إلى حِمْص، فإذا أتاكم كتابى هذا فاخرجوا إليها، فإنّكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً، والسلام.

فلمّا قرأ الأشتر الكتاب، قال:

«اللهمّ أسوأنا نظراً للرعيّه، وأعملنا فيهم بالمعصيه، فعجّل له النقمه»

وكان الذين سيّرهم عثمان إلى حِمْص والشام من أشراف أهل العراق وخيار الصحابه، وهم: مالك بن الحرث الأشتر، وثابت بن قيس النخعى، وكميل بن زياد النخعى، وزيد بن صوحان العبدى، وصعصعه بن صوحان، وجُندَب بن زهير الغامدى، وجُندَب بن كعب الأزدى، وعروه بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعى»(١).

سعد بن أبى وقّاص وعثمان

لمّـا بلغ فعلُ سعيد بن العاص بهاشم المرقال سعد بن أبى وقّاص - وهو عمّ هاشم- غضب وأقبل ومعه وجوه المهاجرين إلى الخليفه، فقال:

«يا أمير المؤمنين، لماذا وثب عاملك سعيد بن العاص على ابن أخى هاشم فضربه وأحرق داره بالكوفه؟ والله، لا برحت أو انتصفت منه أو لتكونن ههنا أشياء، فقال عثمان: اصنع ما بدا لك يا سعد، فوالله إنك لتعلم ما لى فى ذلك من ذنب !!!(٢).

وقد تواترت الكتب على الخليفه من الأمصار، وهو على موقفه السابق من ولاته

ص: ١٠٦

١- تاريخ الطبرى: ٥/ ٣٣١-٣٣٢.

٢- الفتوح: ٢/ ٣٨٣-٣٨٤.

وعـدم إنصـاف النـاس منهم أو عزلهم، ممّـا ألبّ عليه النـاس واجتمعت كلمتهم وموقفهم ضـدّ ولاـه الخليفه، حتّى تحوّلت تلك المواقـف والأحـداث ضـد الخليفه نفسه، وهـو لم يغيّر ولم يبـدل مـا أحـدثه أو أحـدثه ولاـته، والنـاس كـانوا يطمعون فى عـدل وإنصـاف الخليفه ولم يحظوا بـذلك، ممّـا دفع بالنـاس إلى الـذهاب إلى المـدينه والالتقـاء بالصـحابه طالبين منهم التوسّط لـدى الخليفه ليغيّر مواقفه وسياسته ويعزل ولاته.

ص: ۱۰۷

اجتماع الولاه مع الخليفه

أرسل عثمان إلى جميع عمّـاله فأشخصهم إليه من جميع البلاد ليشاورهم فى أمره وما طُلب إليه، وما بلغه عنهم، فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم:

«إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلىّ أنْ أعزل عمّالى، وأنْ أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهدوا رأيّكم وأشيروا علىّ».

عبد الله بن عامر

رأيى لك يا أمير المؤمنين أنْ تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأنْ تُجَمرهم - تحبسهم - فى المغازى حتّى يذلوا لك، فلا يكون همّه أحدهم إلاّ نفسه وما هو فيه من دَبْرَهِ دابته وَقَمْل فروه(۱).

سعيد بن العاص

قال: لاـ والله يا أمير المؤمنين، ما دعا الناس أنْ نقموا عليك إلاّـ الحمام والفراغ، وذلك أنّ العرب اليوم جلست فى المحافل وتحدّثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدوّ حتّى لا يرجع أحدهم،إذا رجع إلى من-زله قد أهمّته نفسه لا يتفرّغ لعيب الأمراء(۲).

۱- تاريخ الطبرى، (۸) مجلدات، مؤسسه الأعلمى- بيروت(بدون تاريخ): ۳/۳۷۳.

۲- - الفتوح :۲/ ۳۸۹.

إنّ سعید بن العاص قال لعثمان:

«إنّ لکل قوم قاده متی تهلک تفرقوا ولا یجتمع لهم أمر. أی أنّه یشیر علی الخلیفه بقتل خیار المسلمین ووجهائهم.

فقال عثمان: إنّ هذا الرأیُ، لولا ما فیه!!!(۱)

عبد الله بن أبی سرح

قال:

«أری یا أمیر المؤمنین أنّ الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف علیک قلوبهم».

معاویه بن أبی سفیان

قال: «یا أمیر المؤمنین، إنّک قد جمعتنا وذکرت أنّه قد کثرت الشکایات منّا وأنت قد ملکتنا رقاب الناس وجعلتنا أوتاداً فی الأرض، فخذ کلّ واحد منّا بما یلیه من عمله حتّی نکفیک ما قبله، ولا یکون ههنا شکایه أحد ولا ینقم أحد علیک».

فأمر الخلیفه عمّاله بالعوده إلی ولایاتهم وأمصارهم، فلم یزدادوا علی الناس إلاّ غلظه وحنقاً وجوراً فی الأحکام وعدولاً عن السنّه(۲).

وخرج أهل الکوفه علی سعید بن العاص بالسلاح فتلقّوه فردوه(۳).

۱- تاریخ الطبری :۵ /۳۴۰.

۲- الفتوح :۲/ ۳۸۹.

۳- طبقات ابن سعد :۵/ ۳۳.

على هامش اجتماع الخليفه بولاته

وبالتأمل في تلك الحوارات التي دارت بين الخليفه وولاته، لا نجد إلا تكريساً للرأي بوجوهه المتعدده - استحسان، قياس، مصلحه الخليفه وولاته- غياب تحكيم النص «القرآن والسنه المباركه»، فلا الخليفه يَذكر أو يُذكر، ولا فيهم مَنْ يحاول أنْ يتجه بالحوار إلى تخفيف شده متجه الاجتماع لأنصاف الرعيه، فلم يرعو أحد من الحاضرين فيميل نحو حلٍّ فيه تراض أو تناصف في المبحوث المتنازع فيه بين الرعيه - الجور والتعسف- والفرقاء المتحدين.

فما الذي يأمل بعد ذلك في سير الأحداث ومتجهها؟ فالنهايه المحتومه قررها الخليفه على نفسه وعلى رهطه فيما بعد، فمهد بذلك أن يكون كراهيه بني أميه سمه للمسلمين كافه، وعلى وفق ذلك تُقرأ مآلات الأحداث والظواهر التي تكتنف المجتمع الإسلامي حتى سقوط الدوله الأمويه عام «١٣٢ه-»، وما يؤول إليه أمر الرساله والأمه، من إبعاد لدورها، وتفكك الأمه وما ظهر في الفضاء الإسلامي من تناحر وحروب مزقت وحده الأمه فتداعت عليها الأمم، ك- «تداعي الأكله على قصعتها»(١)، وهونبوءه سابقه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حدث بها صحابته، وهم شهود وفاعلين في الحالتين السماع منه صلى الله عليه وآله، وفي تجسماتها في الواقع.

نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفه

وهنا نورد قسماً من هذه الكتب ليتّضح موقف أهل الأمصار من الولاه وعدم

١- قال النبي لصحابته (ص): ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكله إلى قصعتها)) . ميزان الاعتدال، الذهبي : ٢/ ٢٩٥، ح ٣٧٩٢.

عدائهم للخليفه، ولم يكن فى دواخلهم خروج عن الطاعه أو خلع لولايه الخليفه.

كتاب أهل الكوفه

اجتمع نفر من أهل الكوفه منهم: يزيد بن قيس الأرحبى، ومالك بن حبيب اليربوعى، وحجر بن عدى الكندى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، وزياد ابن حفيظه التميمى، وعبد الله بن الطفيل البكائى، وزياد بن النضر الحارثى، وكرام ابن الحضرمى المالكى، ومعقل بن قيس الرياحى، وزيد بن حصن السُنبسى، وسليمان بن صُرد الخزاعى، والمسيب بن نجيه الفزارى، ورجال كثير من قرى أهل الكوفه ورؤساؤهم، فكتبوا إلى عثمان:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملأ المسلمين من أهل الكوفه. سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذى لا إله إلاّ هو، أمّا بعد: فإنّنا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحه لك واعتذاراً وشفقه على هذه الأمه من الفرقه، وقد خشينا أنْ تكون خلقت لها فتنه، وأنّ لك ناصراً ظالماً - أى الولاه- وناقماً - عامّه المسلمين- عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمه أنت جنيتها بأحداقك.

يا عثمان، فاتقِ الله والزم سنّه الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفى صلحائنا، وقَسْمَ فيئنا بين أشرارنا، والاستبدال عنّا واتخاذك بطانه من الطلقاء وابناء الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما فى كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشرّ وأهله، وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منّا، وكان القريب

والبعید عندک فی الحق سواء.

فقد قضینا ما علینا من النصیحه لک، وقد بقی ما علیک من الحقّ، فإنْ تبت من هذه الأفاعیل نکون لک علی الحقّ أنصاراً وأعواناً، وإلاّ فلا تلوم نفسک، فإنّنا لن نصالحک علی البدعه وترک السنّه، ولن نجد عند الله عذراً أنْ ترکنا أمره لطاعتک، ولنْ نعصی الله فیما یرضیک، هو أعزّ فی أنفسنا وأجلّ من ذلک. نشهد الله علی ذلک وکفی بالله شهیداً، ونستعینه وکفی بالله ظهیراً، راجع الله بک إلی طاعته، یعصمک بتقواه من معصیته، والسلام(1).

کتاب کعب بن عبیده النهدی إلی الخلیفه

وکان کعب من المتعبّدین، ولمّا بلغه اجتماع القوم وإرسالهم کتاباً إلی الخلیفه، قال:

«والله لأکتبنَّ إلی عثمان کتاباً باسمی واسم أبی - وکعب هذا، کان أبو بکر أرسله إلی بنی نهد فی عند ردّتهم فأسلم منهم جماعه- بلغ من عنده ما بلغ! ثم کتب إلیه:

بسم الله الرحمن الرحیم، لعبد الله عثمان أمیر المؤمنین من کعب بن عبیده.

أمّا بعد فإنّی نذیر لک من فتنه، متخوّف علیک فراق هذه الأمّه، وذلک أنّک قد نفیت خیارهم، وولّیت أشرارهم، وقسمت فیأهم فی عدوّهم، واستأثرت بفضلهم، ومزقت کتابهم، وحمیت قطر السماء ونبت الأرض، وحملت بنی أبیک علی رقاب الناس حتّی قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم، ولعمری لئن فعلت ذلک فإنّک تعلم

۱- الفتوح :۲/ ۳۹۰.

أنّک إذا فعلت ذلک وتکرّمت فإنّما من فیئنا وبلادنا، والله حسیبک یحکم بیننا وبینک، وإنْ أنت أبیت ولم تفعل، فإنّنا نستعین الله ونستجیره من ظلمک لنا بکره وعشیاً، والسلام(۱).

رسول أهل الکوفه والخلیفه

أرسل الکوفیّون وکعب بن عبیده کتبهم مع العن-زی، فقدم المدینه ودخل علی الخلیفه وسلّم علیه ثمّ ناوله الکتاب الأوّل - وعنده نفر من أهل المدینه- فلمّا قرأه عثمان ارتدّ لونه وتغیّر وجهه، ثمّ قال:

«من کتب إلیَّ هذا الکتاب؟

فقال العنزی: کتبه إلیک ناس من صلحاء أهل الکوفه وقرائها وأهل الدین والفضل.

قال عثمان: کذبت إنّما کتبه السفهاء وأهل البغی والحسد، فأخبرنی من هم؟

فقال العنزی: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذن والله أوجع جنبک وأطیل حبسک.

فقال العنزی: والله، لقد جئتک وأنا أعلم أنّی لا أسلم منک.

فقال عثمان: جرّدوه!

فقال العنزی: وهذا کتاب آخر فاقرأه قبل أنّ تجرّدنی، فقال عثمان: آتِ به، فناوله إیّاه، فلمّا قرأه قال: مَن کعب بن عبیده هذا؟ قال العنزی: إیه، قد نسب لک نفسه، قال عثمان: فمن أی قبیله هو؟ قال العنزی: ما أنا مخبرک عنه إلاّ ما أخبرک عن نفسه.

۱- الفتوح :۲/ ۳۹۱.

فأمر عثمان بالعنزى فجرّدوه من ثيابه ليضرب.

فقال عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه: لماذا يُضرب هذا الرجل؟ إنّما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رساله حملها، فَلم يجب عليه فى هذا ضرب، فقال عثمان: أفترى أنْ أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس.

فخلّى سبيله وانصرف إلى الكوفه وأخبرهم بصنع عليّ رضوان الله عليه،فعجب أهل الكوفه من ذلك ودعوا لعليّ بخير وشكروه على فعله(۱).

موقف الزبير وطلحه

أقبل طلحه والزبير حتّى دخلا على عثمان، ثمّ تقدّم الزبير إليه وقال:

«يا عثمان، ألم يكن فى وصيه عمر بن الخطّاب أنْ لا تحمل آل بنى معيط على رقاب الناس إنْ وليت هذا الأمر؟ وقال أيضاً: ولِمَ استعملت الوليد بن عقبه على الكوفه، ومعاويه على الشام؟ ثمَّ قال للخليفه: لماذا تشتم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ولست بخيرهم؟ وما لك ولابن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه؟ وعمّار أمرت بضربه حتّى أصابه الفتق؟ وما لك ولأبى ذر حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله سيّرته حتّى مات غريباً طريداً؟

ثمَّ قال الزبير: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرّقت بينهم؟

وكان الخليفه يردّ ويُعلْل ذلك بعلل وأسباب لا تنهض بأن يُفعل بأصحاب

۱- الفتوح :۲/ ۳۹۲.

الرسول صلى الله عليه وآله- وخصوصاً الأخيار منهم هكذا، وليس للخليفه أنْ يولّى هؤلاء ويسلّطهم على رقاب المسلمين وقد أفسدوا وأحدثوا، فضلاً عمّا ورد فى بعضهم عن الرسول صلى الله عليه وآله- من إهدار الدم واللعن.

ثمّ تكلّم طلحه بن عبيد الله فقال:

«يا عثمان، إنّ الناس قد سفّهوك وكرهوك لهذه البدع والأحداث التى أحدثتها ولم يكونوا يعهدونها، فإنْ تستقم فهو خير لك، وإنْ أبيت لم يكن أحد أضرّ بذلك فى الدنيا والآخره منك.

فغضب عثمان ثمّ قال: ما تَدعُونى ولا تَدعُون عتبى، ما أحدثت حدثاً ولكنّكم تفسدون علىَّ الناس، هلمّ يا ابن الحضرميّه (أم طلحه) ما هذه الأحداث التى أحدثت؟ فقال طلحه: إنّه قد كلّمك علىّ من قبلى، فهلّا سألته عن هذه الأحوال التى أحدثت فيجيبك بها، ثمّ قام طلحه فخرج من عند عثمان.

وقد كان الامام على عليه السّلام قال للخليفه: يا عثمان، إنّ الحقّ ثقيل مرٌّ وإنّ الباطل خفيف، وأنت رجل إذا صُدِقت رضيت وإذا كذبت سخطت، وقد بلغ الناس عنك أمور تركها خير لك من الإقامه عليها، فاتّقِ الله يا عثمان وتب إليه ممّا يكره الناس منك(١).

الوفد المصرى فى المدينه

وتزامناً مع طرد سعيد بن العاص من الكوفه، كان قد توجّه من مصر جماعه من الوجهاء إلى المدينه يشتكون عاملهم، ودخلوا المسجد النبوّى فرأوا عدّه من المهاجرين

١- الفتوح: ٥/ ٣٩٣-٣٩٥.

والأنصار، وسألوهم عن الأمر الذی دعاهم للحضور، فقالوا: لقد جئنا استنکاراً لبعض الأعمال التی صدرت عن عاملنا.

وصیه الامام علی علیه السّلام للوفد المصری

(لا تتعجلوا فی أمرکم، واخبروا الامام بما تریدون مشافهه وقولوا: إنّ العامل - عبد الله بن أبی سرح- کان یفعل ما یشاء، بحسب رأیه ولیس حسب أوامر الخلیفه، واخبروه بکلّ الأمور التی تنکروها علیه. ثمّ هو - الخلیفه- یعاتبه ویستدعیه فیحصل مطلوبکم. أمّا إذا لم ینکر علیه وترکه فی مکانه، حینئذٍ تأمّلوا فی وجه المصلحه وما یجب أن تفعلوه).

والتمسوه أنْ یکون شاهداً، فقال لهم:

إنّ هناک شاهداً أقوی منّی سیکون معکم، وهو الله جلّ جلاله، فاذهبوا ودعونی(۱).

وفی (تاریخ الطبری) عن سیف وغیره أن أهل مصر خرجوا بزعم ودعوی الحجّ، وکاتبوا سواهم مَن کان فی الأمصار الأخری حول إساءات ولاه عثمان(۲)، وفی (البدایه والنهایه)(۳) إنّ عثمان طلب من الامام علیّ علیه السّلام وبعض الصحابه أنْ یذهبوا إلی المصریّین ویردّوهم ویضمنوا لهم أنّ الخلیفه سیلبّی طلباتهم... إلی غیر ذلک من

۱- الفتوح :۵/ ۴۰۴.

۲- تاریخ الطبری: ۳/۳۷۸، وما بعدها، طبعه الأعلمی(۸) مجلدات.

۳- البدایه والنهایه: ۷/ ۱۷۷- ۱۷۸.

الروايات.

وربّما من خلال سياق الأحداث والمنقول التاريخى يستظهر أرجحيّه ما رواه ابن أعثم، وإنّ وفد المصريين جاء مطالباً بحقوق مشروعه، خصوصاً إذا ما يلاحظ المتابع مجريات الأحداث فى الكوفه، وموقف الخليفه من أبى ذر وابن مسعود والمنفيين من الكوفه وغيرهم من الأخيار والصحابه والقرّاء.

وإنّ الخليفه أرسل إلى الامام علىّ عليه السّلام وطلب منه أنْ يلقى الوفد.

حوار الوفد مع الخليفه

ولخّص المحاورون من الوفد طلباتهم فى نقاط بعد أنْ وعظوا الخليفه ودعوه لشكر نعمه الله عليه ووجوب تقوى الله تعالى، وإنّهم جاءوا بسبب الأعمال الغير المرضيه التى صدرت من ولاته. والنقاط هى:

١ - إنّك قرّبت الحكم بن العاص وقد نفاه الرسول صلى الله عليه وآله إلى الطائف لاستهزائه بالرسول صلى الله عليه وآله.

٢ - إحراقك لأجزاء من المصحف.

٣ - احتجازك لماء المطر الذى هو رزق الله لعباده وإعطائه لأقربائك، ومنعت الناس منه.

٤ - نفيك لجماعه من الصحابه بغير حقّ من بلدهم وفصلهم عن أهلهم وعشيرتهم، بينما يقول الله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}(١)

١- سوره البقره: ٨٤.

٥ - إنّک تطیع النـاس ظاهراً ثمّ تسـتبد برأیک، بینما حکم الشـرع فی حقّ من یعصـی الله بأنْ لا یطاع، فإنْ أنت أطعت الله تعالی واتبعت أوامره فنحن نطیعک ونتبع أوامرک ونعظّم حرمتک، کما هو الحال بین الولد وأبیه وأمّه. وأمّا إذا رفضت الأفعال الحسنه وتابعت سـیرک علی هـذا النحو فلن نطیعک ولن نُنْفـذ أوامرک وسـتکون العاقبه هلاکنا وهلاکک، فاتّقِ الله واعتقـد بأنّک عبد وسـتحاسب علی النقیر والقطمیر، والله مطلّع علی أحوال عباده وإلیه سـیرجعون جمیعاً، وبمقدار سـلطه الإنسان ومسؤولیّته سیکون سؤاله، بینما سیکون حساب الضعفاء أقل صعوبه(١).

٦ - طلبوا من الخلیفه أنْ یقتصَّ من ابن أبی سـرح؛ لأنـّه قتـل رجلاً ـ منهم بـدون جرم وجنـایه، ولم یقرّه الخلیفه، وقـد أشـرنا إلی موقف عائشه من ذلک سابقاً.

موقف الخلیفه من هذه الأحداث

١ - أرسـل إلی عمّـار بعض خـواصّه، وطلب منه المصـالحه أو أنْ یقتصَّ منه، فـأبی عمّـار وصـاح فی وجوه الموفـدَین من طرف عثمان: لن یخدعنی عثمان، وقد فعل ما فعله بی من الضـرب والإهانه. کما عزم الخلیفه علی نفیه - کما أشـرنا سابقاً- لولا موقف الامام علیّ علیه السّلام وبنی مخزوم.

٢ - أرسل الخلیفه إلی عبد الله بن عمر یستشیره فی أمر القوم واجتماعهم وما یریدونه من خلع الخلیفه.

فقال عبد الله بن عمر: إنْ تطعهم فإنّک تعلم أنّک لست خالداً فی الدنیا.

١- الفتوح: ٢/ ٤٠٥.

قال: أعلم ومهما عشت فلابد أنْ أذهب.

فقال عبد الله: هل الجنّه والنار بيدهم أم لا؟

فقال عثمان: لا(۱).

فقال عبد الله بن عمر: فلا أرى أنْ تسنَّ هذه السنّه فی الإسلام(۲). احفظ القمیص الذی ألبسک الله إیّاه ولا تنزعه!!

الخلیفه والامام علیّ علیه السّلام

أرسل الخلیفه إلی علیّ فدعاه، فلمّا جاءه

قال: یا أبا الحسن، إنّه قد کان من الناس ما قد رأیت، کان منی ما قد علمت، ولیست آمنهم علی قتلی، فارددهم عنّی، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أنْ أعتبهم – أعطیهم الرضا– من کلّ ما یکرهون، وأنْ أعطیهم الحقّ من نفسی ومن غیری وإنْ کان فی ذلک سفک دمی.

فقال له علیّ: الناس إلی عدلک أحوج منهم إلی قتلک، وقد کنت أعطیتهم فی قدمتهم الأولی عهداً من الله لترجعن عن جمیع ما نقموا، فرددتهم عنک، ثمّ لم تفِ لهم بشیء، فلا تغرّنی هذه المرّه من شیء فإنّی معطیهم علیک الحقّ.

قال عثمان: نعم، فاعطهم، فوالله لأفینَّ لهم.

فخرج علیّ إلی الناس، فقال: أیّها الناس، إنّکم إنّما طلبتم الحقَّ فقد أعطیتموه، وإنّ عثمان قد زعم أنّه منصفکم من نفسه ومن غیره.

۱- الفتوح :۲/ ۴۰۸-۴۰۹.

۲- الطبقات الکبری، ابن سعد :۳/ ۶۶.

قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا(۱).

وطلب عثمان من الامام عليّ عليه السّلام أنْ يضرب بينه وبينهم أجلًا يكون فيه مهله; لأنّ الخليفه لا يقدر على ردّ ما كرهوا فى يوم واحد.

فقال له عليّ: ما حضر بالمدينه فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك(۲).

فمطالب المسلمين لم تكن وليده هذه اللحظه وحضورهم المدينه، بل قد سبق ذلك رسائل وكتب ووفود إلى الخليفه والصحابه؛ لذا كان ردّ الامام عليه السّلام أنّه من حضر فلا أجل فيه، ومَنْ غاب فأجله وصول أمرك.

وفى (الفتوح) إنّ الامام عليّاً عليه السّلام ومعه وجوه القوم وأشرافهم دخلوا على الخليفه وطلبوا منه أنّ يكتب بذلك كتاباً.

فقال عثمان:

اكتبوا ما أحببتم وادخلوا فى هذا الضمان من أردتم، فكتبوا:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله عثمان بن عفّان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصره والكوفه وأهل مصر، أنّ لكم عليّ أنْ أعمل فيكم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّه نبيّه صلى الله عليه وآله، وأنّ المحروم يعطى والخائف يؤمن والمنفى يردّ، وأنّ المال يردّ على أهل الحقوق، وأنْ يُعزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أهل مصر ويولّى عليهم من يرضون).

فقال أهل مصر: نريد أنْ تولى علينا محمّد بن أبى بكر، فقال

۱- الطبرى: ۵/ ۳۸۱-۳۸۲.

۲- تاريخ الطبرى: ۵/ ۳۸۲.

عثمان: لكم ذلک، ثمَّ أثبتوا فی الكتاب: «وأنّ علیّ بن أبی طالب ضمین للمؤمنین بالوفاء لهم بما فی هذا الكتاب، شَهِدَ علی ذلک الزبیر بن العوام، وطلحه بن عبید الله، وسعد بن أبی وقاص، وعبد الله بن عمر، وزید بن ثابت، وسهل ابن حنیف، وأبو أیوب خالد بن زید. وكتب فی ذی الحجّه سنه خمس وثلاثین»(۱).

تولیه محمّد بن أبی بكر

وولّی عثمان محمّد بن أبی بكر بدلاً من عبد الله بن سعد بن أبی سرح، وخرج الوفد إلی مصر ومعهم كتاب الخلیفه، وأمیرهم معهم، حتّی إذا كانوا علی مسیره ثلاثه أیّام من

المدینه، وإذا هم بغلام أسود علی بعیر له یخبط خبطاً عنیفاً فقالوا:

«یا هذا، أربع قلیلاً، ما شأنک؟ كأنّک هارب أو طالب، من أنت؟

قال: أنا غلام أمیر المؤمنین وجّهنی إلی عامل مصر، فقال له رجل منهم: یا هذا، فإنّ عامل مصر معنا، فقال: لیس هذا الذی أرید، فقال لهم محمّد بن أبی بكر: أنزلوه عن البعیر، فحطّوه، فقال له محمّد: أصدقنی، غلام من أنت؟ قال: أنا غلام أمیر المؤمنین - وفی روایه یقول: مرّه أنا غلام أمیر المؤمنین، ومرّه غلام مروان(۲)-، قال: فإلی من أُرسلت؟ قال: إلی عبد الله بن سعد عامل مصر، قال: وبماذا أرسلت؟ قال: برساله، قال محمّد بن أبی بكر: أفمعک كتاب؟ قال: لا.

ففتّشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثیابه حتّی عروه فلم یجدوا معه شیئاً، وكانت علی راحلته إدواه فیها ماء فحرّكوها فإذا فیها شیء یقلقل،

۱- الفتوح :۲/ ۴۱۱.

۲- العقد الفرید :۴/ ۲۸۸.

فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فقال كنانه بن بشر التجيبى: والله، إنّ نفسى لتحدّثنى أنّ فى هذه الإدواه كتاباً، فقال أصحابه: ويحك، ويكون كتاب فى الماء؟

قال: إنّ الناس لهم حيل، فشقّوا الإدواه فإذا فيها قاروره مختومه بشمع، وفى جوف القاروره كتاب، فكسروا القاروره وأخرجوا الكتاب فقرأه محمّد بن أبى بكر»(۱).

نصّ كتاب الخليفه إلى والى مصر

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان بن عفّان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد.

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء فاضرب عنقه صبراً. وأمّا علقمه بن عديس البلوى وكنانه بن بشر التجيبى وعروه بن سهم الليثى فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ودعهم يتشحطون فى دمائهم حتّى يموتوا، فإذا ماتوا فاصلبهم على جذوع النخل. وأمّا محمّد بن أبى بكر فلا يُقبل منه كتابه، وشدّ يدك به واحتل فى قتله، وقرّ على عملك حتّى يأتيك أمرى إنْ شاء الله تعالى)(۲).

أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله والكتاب

ولمّا قدم محمّد ومن معه إلى المدينه جمع أصحاب النبىّ - صلى الله عليه وآله- وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصّته، فلم يبقَ بالمدينه أحد إلّا حنق على عثمان، واشتدّ حنق بنى

۱- تاريخ الطبرى :۵/ ۳۸۳.الفتوح :۲/ ۴۱۱.

۲- الفتوح :۲/ ۴۱۲.

هذيل خاصّه عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل عمّار بن ياسر، وكذا غفار لأجل أبی ذر رضوان الله عليه.

ثمّ ذهب القوم إلى الخليفه فقالوا:

(ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟

قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذی وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت ولا لی علم بما تقولون! قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه ختمك، قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فانتقش عليه.

قالوا: لا ـ نعجل عليك، وإنْ كنّا قد اتهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أرانی إذن فی شیء إنْ كنت أستعمل من هويتهم وأعزل من كرهتم، الأمر إذن أمركم!

قالوا: والله لتفعلنَّ أو لتُعزلَنَّ أو لتُقتَلنَّ، فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سرىالاً سربلنيه الله. فحصروه أربعين ليله)(1).

ثمَّ إنّ الناس:

(سألوا عثمان أنْ يدفع لهم مروان، فأبى، قالوا: لا نبرئ عثمان إلاّ أنْ يدفع لنا مروان حتّى نمتحنه ونعرف أمر الكتاب، فإنْ يك عثمان

١- تاريخ الطبری :٥/ ٣٨٣.

كتبه عزلناه، وإنْ يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى الأمر)(۱).

الخليفه يطلب النصره

ولمّـا أحسَّ الخليفه أنّ النـاس ليسوا بتاركيه أو يخلع نفسه أو يسـلّم مروان ويعزل ولاته، أرسل إلى عمّاله يسـتحثّهم على القـدوم إلى المـدينه ومناصـرته وتخليصه ممّـا هو فيه من الحصـار، وتـآزر المهـاجرون والأنصار والمسـلمون من مختلف الأمصار ضـدّه، فكتب إلى ولاته نسخه واحده.

۱- العقد الفريد :۴/ ۲۸۹.

نصّ كتاب الخليفه إلى ولاته

بسم الله الرحمن الرحيم

«أمّا بعد: فإنّ أهل البغى والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفه وأهل مصر وأهل المدينه قد أحاطوا بدارى، ولم يرضهم شىء دون قتلى أو خلعى سرباﻻً سربلنيه ربِّى، ألا ـ وأنّى ملاقٍ ربِّى، فأعنّى برجال ذوى نجده ورأى، فلعلّ ربّى يدفع بهم عنّى بغى هؤلاء الظالمين الباغين علىّ والسلام»(١).

موقف ولاه الخليفه

ولمّا بلغ كتاب الخليفه إلى ولاته كانت مواقفهم متفاوته فى الجدّ تجاه إنقاذ الخليفه ونصرته، واختلفت المرويّات وتباينت فى هذا الاتجاه.

معاويه بن أبى سفيان

جاء معاويهَ بكتاب الخليفه المسوّر بن مخرمه، فقرأه ثمّ قال: يا معاويه، إنّ عثمان مقتول فانظر فيما كتبت به إليه، فقال معاويه:

(يا مسور، إنّى مصرح أنّ عثمان بدأ فعمل بما يحبّ الله ويرضاه، ثمّ غيّر فغيّر الله عليه، أفيتهيأ لى أنْ أرد ما غيّر الله عزّ وجلّ)(٢).

١- الفتوح :٢/ ٤١٦.

٢- الفتوح :٢/ ٤١٧.

إنّ معاويه لمّا أتاه كتاب عثمان تربّص به،فأرسل عثمان إلى يزيد بن أسد ابن كزر البجلى وبأهل الشام يستغيث بهم، فاستنفر الناس وندبهم، ولمّا وصلوا إلى وادى القرى جاءهم خبر مقتل عثمان فرجعوا(۱).

وأمّا عبد الله بن عامر والى البصره فإنّه لمّا أتاه كتاب عثمان قرأه على أهل البصره واستحثّهم لنجدته، ولكنّ لم يجبه أحد. وروى غير ذلك.

عمرو بن العاص والخليفه

دخل عمرو بن العاص على عثمان مسلّماً، فقال له عثمان: يا بن العاص، وأنت أيضاً ممّن تولّيت على الناس فيما بلغنى، وتسعى فى الساعين علىّ حتّى قد أضرمتها وأسعرتها، ثمّ تدخل مسلماً علىّ!!

فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنّه لا خير لى فى جوارك بعد هذا، ثمّ خرج من ساعته حتّى نزل بأرض فلسطين(۲)، وكان يقول: كنت أحرّض على الخليفهِ الراعىَ فى غنمه والمارّ. وكان والياً على مصر وعزله عثمان وولّى مكانه عبد الله بن أبى سرح.

موقف الامام على عليه السّلام

كان للامام عليه السّلام دور بارز فى الأحداث، خصوصاً عندما قدمت وفود الأمصار، وما كان من إحداثات أحدثها الخليفه وولاته؛ فكان الوسيط ومتكلّم القوم وناقل مطالبهم للخليفه، وضمين الخليفه أنْ ينصف القوم ويفى لهم بما نقموا عليه. وقد دخل

۱- تاريخ الطبرى : ۳/۴۰۲، طبع دار الأعلمى ((۸ مجلدات)).

۲- الفتوح :۲/ ۴۱۷ - ۴۱۸.

الامام علیه السّلام مرّه علی الخلیفه وقال له:

(إنّ الناس ورائی، وقد استسفرونی بینک وبینهم، ووالله ما أدری ما أقول لک، ما أعرف شیئاً تجهله، ولا أدلّک علی شیء لا تعرفه، إنّک لتعلم ما نعلم. ما سبقناک إلی شیء فنخبرک عنه، ولا خلونا بشیء فنبلّغکه، وقد رأیت ورأینا، وصحبت رسول الله - صلی الله علیه وآله- کما صحبنا، وما ابن أبی قحافه ولا ابن الخطّاب أولی بعمل الحقّ منک، وأنت أقرب إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وشیجه رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ینالا، فالله الله فی نفسک، فإنّک والله ما تبصر من عمی ولا تعلم من جهل، وإنّ الطریق لواضحه، وإنّ أعلام الدین لقائمه، وإنّ السنن لنیّره لها أعلام، وإنّ البدع لظاهره لها أعلام.

وإنّ شرّ الناس عند الله امام جائر ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّه مأخوذه وأحیا بدعه متروکه، وإنّی سمعت رسول الله - صلی الله علیه وآله- یقول:

«یؤتی یوم القیامه بالامام الجائر ولیس معه نصیر ولا عاذر، یلقی فی نار جهنّم فیدور فیها کما تدور الرحی، ثمّ یربط فی قعرها». وإنّی أنشدک الله أنْ لا تکون امام هذه الأمّه المقتول، فإنّه کان یقال: یُقتل فی هذه الأمّه امام یفتح علیها القتل والقتال إلی یوم القیامه، ویلبس أمورها علیها، ویثبت الفتن فیها فلا یبصرون الحقّ من الباطل، یموجون فیها موجاً، فلا تکوننّ لمروان سیقه یسوقک حیث شاء بعد جلال السنّ وتقضی العمر)(۱).

وکان الامام علیّ علیه السّلام قد استأذن عثمان فی الخروج من المدینه إلی (ینبع) فأذن له،

ص: ۱۲۷

۱- نهج البلاغه، محمّد عبده :۱/ ۳۰۳ - ۳۰۴.

ثمّ أرسل إليه عثمان أنْ يعود إلى المدينه، فعاد الامام عليه السّلام، ثمّ أرسل إليه ابن عبّاس أنْ يخرج من المدينه فقال الامام عليه السّلام لابن عبّاس:

«يا بن عبّاس، ما يريد عثمان إلّا أنْ يجعلنى جملًا ناضحاً بالقَرَب، أُقبل وأُدبر، بعث إليّ أنْ اخرج، ثمّ بعث إليّ أنْ اقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أنْ اخرج، والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أنْ أكون آثماً»(۱).

ويقول الامام عليه السّلام فى أماكن أخرى موضّحاً موقفه إزاء عثمان والأحداث:

«وكنت رجلًا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه»(۲).

وفى مكان آخر يقول عليه السّلام:

«فإنْ كان الذنب إليه إرشادى وهدايتى له، فربّ ملوم لا ذنب له»(۳).

ثم يقول عليه السّلام:

«لو أمرت به لكنت قاتلًا، أو نهيت عنه لكنت ناصراً... وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الإثره، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع فى المستأثر والجازع»(۴).

وقد صوّر الامام عليه السّلام الواقع والظروف الموضوعيّه التى كانت سائده قبل مقتل

۱- نهج البلاغه :۱/ ۴۶۷.

۲- نهج البلاغه:۲/ ۲.

۳- نهج البلاغه:۲/ ۳۴.

۴- نهج البلاغه :۱/ ۷۶.

الخليفه، بقوله عليه السّلام:

واضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابدفقراً أو غنيّاً بدّلَ نعمه الله كفراً.

وعنـدما منع طلحه - أثنـاء حصـار عثمـان- وسواه من وصول المـاء إلى الخليفه، كـان الامـام عليه السّـلام قـد أرسل ثلاث قُرَب، وأرسل الحسن والحسـين، عليهماالسّلام يدافعان عن الخليفه(١). وقد اشـتّد حصار المسـلمين على عثمان، وهو لا يعطى من نفسه شيئاً، ممّا اضطرّ المحاصرون إلى تسوّر داره وقتله.

واختلفت الروايـات فيمن باشـر قتله، وفى أيّـام معـاويه والأمـويّين، كـان كـلّ معـارض يقـع فى أيـديهم يتهمونه بقتـل الخليفه أو المشاركه فى قتله.

وبقى الخليفه ثلاـثه أيّـام لم يُـدفن، ومنعوهم أنّ يـدفنوه فى البقيع، ودفن فى (حش كوكب) ويقال: إنّها مقبره لليهود، وقـد دفن ليلاً وقد قُتل لثمانى عشره ليله مضت من ذى الحجّه سنه خمس وثلاثين(٢).

١- تاريـخ الطبرى : ٣/٤١٧، طبعه مؤسـسه الأعلمى، بيروت، لبنـان، روى أن الامـام (ع) جاء بنفسه ليوصل إليه الماء.وانظر : غيره من التواريخ، أحداث عام ٣٥ه-

٢- تاريخ الطبرى :٥/ ٤٣٢ و٤٣٥، الفتوح :٢/٤٣٦.

الفصل الثالث

اشاره

ص: ۱۳۰

بیعه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّایَ فَلْتَه، وَلَيْسَ أَمْرِی وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّی أُرِيدُكُمْ لِلهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِی لِانْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونی عَلی أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لَانْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ، وَلَاَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِه حَتَّی أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً».

الامام علی علیه السّلام.

ص: ۱۳۲

مفاهيم

الخلافه:

لغه: خلف فلان خلافاً إذا كان خليفته ،يقال: خلف فی قومه ، وفی التن-زیل العزیز: {وقال موسی لأخیه هارون اخلفنی فی قومی}(۱)، واستخلفه جعله خلیفه.

والخلیفه الذی یُستخلف من سابقه..

والخلافه: الإماره، ویستدل الزجاج بقوله تعالی: {یا داود أنا جعلناک خلیفه فی الأرض}(۲) علی جواز أن یقال للأئمه خلفاء الله فی أرضه(۳).

ویری الماوردی: هی موضوع خلافه النبی صلی الله علیه وآله فی أمور الدین والدنیا.

أما ابن خلدون فیقول هی: حمل الکافه علی مقتضی النظر الشرعی فی مصالحهم الأخرویه والدنیویه الراجعه إلیها، إذ أحوال الدنیا ترجع کلها عند الشرع إلی اعتبارها بمصالح الآخره، فهی فی الحقیقه خلافه عن الشرع فی حراسه الدین وسیاسه الدنیا(۴).

۱- الأعراف: ۱۴۲.

۲- - سوره ص: ۲۶

۳- لسان العرب، ابن منظور : ۴/۱۸۲-۱۸۳.

۴- مقدمه ابن خلدون: ۱۶۶.

وإن الخلافه هی: المؤسسه السیاسیه التی «أسست ونمت فی الظروف الاجتماعیه والسیاسیه- القبلیه - التی وجدت فیها»(۱).

و یجد القارئ للتاریخ الإسلامی أنَّ اعتراضاً سجله الامام علی علیه السّلام لما أرادوا إکراهه علی بیعه أبی بکر؛ حین قال له عمر: بایع أوادخل فیما دخل فیه الناس؛ فقال الامام علیه السّلام: أنتم أحق بالبیعه لی، وأنا أحق منکم بهذا الأمر(۲).

فکانت الخلافه وفقاً لذلک بادره اجتهادیه من قبل بعض الصحابه؛ فلم یرد نص قرآنی ولا مؤید من السنه الشریفه علی استخلاف أی من الخلفاء الثلاثه - أبی بکر وعمر وعثمان- فضلاً عن عدم احتجاج أی منهم بما ورد فی حقه لیُعول علیه فی أحقیته بالخلافه؛ لا فی السقیفه، ولا فیما بعد أی فی الشوری(۳).

إن الحدیث عن بیعه الامام علی علیه السّلام یستدعی البحث عن الکیفیه التی تمت بها البیعه، وکیفیه انتقال الخلافه إلیه، ومن ثم التعرف علی الأسباب التی أدت إلی أن تؤول الخلافه إلیه دون سواه، ولم یزل من جیل الصحابه الأول بقیه؟ وإن ثَمّه تساؤلاً یثار عن الأسباب التی أدت إلی مقتل الخلیفه الثالث؟ وبعیده، یقال:أیضاً ما هو موقف الصحابه وأهل المدینه من الخلیفه المقتول؟ إلی استفهامات کثیره متجه أو غیر إتجاهیه فی الوقت ذاته.

۱- نظام الحکم فی الاسلام، د. محمد النبهان : ۴۲۹.

۲- انظر: الامامه والسیاسه: ۱/۲۹.

۳- یراجع : تاریخ الطبری: ۲/۴۴۵ «السقیفه»، وما بعدها و ۳/۲۹۲، وما بعدها «قصه الشوری».

وقد اختلف السلف من أهل السير والأخبار فی کیفیه بیعه أمیر المؤمنین علی بن أبیطالب علیه السّلام.

سأل أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله علیاً: أن یتقلد لهم وللمسلمین، فأبی علیهم، فلما أبَوا وطلبواإلیه تقلد ذلک لهم(۱).

وفی روایه ابن أعثم، إنّ علی بن أبی طالب رضی الله عنه خرج إلی السوق وکان ذلک لثمانی عشره لیله خلت من ذی الحجه فاتبعه الناس حتی إذا دخل فی حائط - بستان- وأمر أن تغلق الباب؛ فدخل علیه أصحاب الرسول صلی الله علیه وآله والمسلمون وألحوا علیه بقبول البیعه، فبایعه طلحه ومن ثم الزبیر بن العوام، ثم بایعه الناس(۲)؛ فکانت بیعه الامام علی ابن أبی طالب علیه السّلام فی ۱۸ / ذی الحجه / من عام ۳۵ ه-، وتکون بیعته وفقاً لروایه فی تاریخ الطبری فی نفس الیوم الذی قتل فیه عثمان((۳)). وهو الأرجح والأشهر ول-ه مدعمات وقرائن مرویه بطرق متعدده(۴)، فعن ابن عباس أنه شهد مقتل الخلیفه بعدما أدی مناسک الحج وعاد إلی المدینه بعد خمسه أیام. وکذا أن عبد الرحمن بن عدیس(۵) قد أنهی حجه وعاد إلی المدینه بعد إن أدی مناسک الحج.

۱- تاریخ الطبری: ۳/۴۵۰.

۲- الفتوح :۲/۳۸۱.

۳- - تاریخ الطبری : ۳/۴۲۲.

۴- الفتوح، ابن أعثم الکوفی:۲/۳۸۲، تاریخ الطبری :۳/۴۲۳، وما بعدها.

۵- عبد الرحمن بن عدیس صحابی، وممن بایع تحت الشجره، وهو الأرجح وفقاً للقرائن والمقارنه بین النصوص فی المصادر الثلاثه، وغیرها من المصادر، انظر: کتاب السنه، عمرو بن أبی عاصم الضحاک، وفاته عام ۲۷۸ه-، المکتب الاسلامی، بیروت، ط۳، ۱۴۱۳ه-، المصنف، ابن أبی شیبه، دار الفکر، ط۱، ۱۴۰۹ه- : ۷/۴۹۲. أبو الشموس عبد الرحمن ابن عدیس البلوی؛ ولم تزد المصادر علی ذکر اسمه واسم أبیه ولقبه. انظر: الطبقاتالکبری، ابن سعد : ۷ /۵۰۹.الجرح والتعدیل الرازی وفاته عام(۳۲۷) دار إحیاء التراث، الطبعه الأولی: ۱۳۷۲: ۵/۲۴۸

وتمت بيعه الامام عليه السّـلام بُعيـد مقتل عثمان بن عفان. قد عم الاستياء وكراهه سلوك ولاه عثمان، لما كان منهم من مواقف تجاه العامه والخاصه، ولما أحدثوا من أمور تنافى مبادئ الإسلام، وإن الخليفه لم يتخذ موقفاً حازماً تجاه ما جرى ويجرى باسمه، ولم يأخذ بنظر الاعتبار ما عم المسـلمين فى الأمصار من ولاته، ولم يكن الموقف الأخير من قبل وفود الأمصار وأهل المدينه غير متوقع حيث آل الأمر إلى مقتل الخليفه، بل الأحداث السابقه والممتده لفتره ليست بالقصيره كانت تُنبئ بما حصل، والمتابع لتأريخ هذه الفتره الزمنيه يجد أن موقف الأمصار و أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله من مهاجرين و أنصار تجاه خلافه ثالث الخلفاء قد اتخذ مراحل هى:

التنبيه والشكايه أما مباشره أو برساله ترسل إلى الخليفه، ينقلها إليه أحد صحابه الرسول صلى الله عليه وآله.

مراجعه كبار الصحابه للخليفه حول ما أحدثه ولاته، وحول موقفه المتأنى منهم.

رفض عام للولاه الأمويين من قبل المسلمين عامه والصحابه خاصه.

طرد بعض الولاه لعدم اتخاذ الخليفه منهم موقفاً واضحاً كما فى الموقف من سعيد بن العاص والى الكوفه.

إرسال الأمصار وفود إلى الخليفه، حتى روى إنه بلغ تعداد بعض الوفود أربعمائه

ص: ۱۳۶

شخصاَ وأخرى بلغ الألف، وليس للخليفه موقف تجاه ما يجرى.

وكـان أخر مطلب أجمع وأجتمع عليه أصـحاب الرسول صـلى الله عليه وآله والمسـلمون فى الأمصار، الاقتصاص من عبـد الله بن أبى سرح، وتسليم مروان بن الحكم.

فكـانت تلـك الخطوات التى اتبعها المسـلمون من الأمصار المختلفه وكـذا المهاجرون والأنصار. ولكن الموقف السـلبى من قبل الولاـه تجاه المسـلمين وتعسـفهم وجورهم وعـدم حزم الخليفه تجاه هـذه الأمور أدى أخيراً إلى ثوره كان مقتل الخليفه إحـدى نتائجها الأولى.

ص: ۱۳۷

الامام على عليه السّلام استشراف المستقبل

كان للامام على عليه السّلام موقف خاص تجاه الخلافه والبيعه، وبه تفسر كثير من الشكالات التى تثار فى هذا المنحى؛ لذا نجده لم يبادر إلى قبول ما دعاه إليه - تولى الأمر بلا شرط - الصحابه والمسلمون الذين اجتمعوا من مختلف الأمصار الإسلاميه؛ والذين توجهوا إليه بعد مقتل عثمان واضطراب الوضع فى المدينه. وكان الامام على عليه السّلام يستشرف مستقبل الناس إزاء الأحداث والظواهر التى ستكتنف المجتمع الإسلامى، ويرى أن الأمور التى ستتوالى، أمور ليس من السهل التفاعل معها والانتهاء إلى قول فصل فيها، لان العقول والنفوس دون أن تكون بمستواها ولا يطيقها إلا الذى مُلئ إيماناً إلى مشاشه(١)، أو إلا الذى سمع أن عماراً مائز حق وتقتله الفئه الباغيه، ولا يطاوع الشرعيه حتى يرى عماراً قد خضب بدم الشهاده؛ فيستل سيفه آنئذ ويصطف إلى جنب على بن أبى طالب عليه السّلام، ويكون الزمن دار دورته. فهى إذن تحتاج

١- قال الرسول الأعظم (ص):«عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه»، و عن عائشه «إن عمار ابن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحه أذنه إيماناً»، المصنف، ابن أبى شيبه: ٥٢٢، البدايه و النهايه، ابن كثير: ٧/ ٣٤٥، على التوالى.

إلى طاعه وانقياد، وإنَّ الرأى والاجتهاد واللجاجه تؤدى قطعاً إلى الفرقه والتشرذم والتكتل النفعى، هكذا كان الموروث الذى تجذر خلال حكم الخليفه الثالث. وما تنبأ به على كان واقعاً حياً يوم شَد المصحف المرفوع الناس إليه، فبُنى مستقبل الأمه والإسلام على الرأى والقياس الذى عمل به الحكمان وجعلا المصحف خلف ظهريهما.

ص: ١٣٩

خلافه أمیر المؤمنین علیه السّلام

ولما تولی أمیر المؤمنین علیه السّلام زمام الأمور بعد أن تمت له البیعه بأغلبیه المهاجرین والأنصار بدریین وعقبیین تهیأ للذهاب إلی الکوفه(۱) معداً العده لبناء قاعده ومرکز ینطلق منه للخارجین علیه (القاسطین)(۲)، ومن امتنع عن الالتحاق بالجماعه ویعمل علی شقها.ولما یخرج بعد من المدینه أتته رسائل من أخیار أهل مکه والمدینه، تنبهه إلی خروج عائشه وطلحه والزبیر إلی البصره طالبین بدم عثمان الذی ما جرأ الناس علیه إلا هم، کما ثبت ذلک من حوارات الأحنف بن قیس، وعمرو بن سعید مع عائشه ومروان وهم فی الطریق إلی البصره، فحین سأل سعید مروان عن مقصده فقال: للطلب بدم عثمان، فقال سعید: هؤلاء قتلته علی أعجاز الإبل مشیراً إلی قاده حرب الجمل، فضلاً عما دار من نقاشات أخری مع شخصیات بصریه أو من الصحابه مع طلحه والزبیر، وأم المؤمنین عائشه، فضلاً عما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فی کتبه ورسائله

ص: ۱۴۰

۱- الامامه والسیاسه، ۱/۵۳.وفیه، أتاه کتاب أخیه عقیل، وفی المصادر الأخری، أتته رساله من أم سلمه، وأخری من أم الفضل- زوج العباس بن عبد المطلب- انظر الأخبار الطوال، فیما یتعلق بهذا المطلب «وقعه الجمل "» أیضاً .

۲- معاویه ومن معه، فقد أطلق علیهم النبی (ص) هذا الاصطلاح.

وحواراته من اتهام أصحاب الجمل بقتل الخليفه(۱).

ولابد من التنبيه إلى موقف الامام علیه السّلام من المبایعین والبیعه: لما هرع المسلمون إلیه، وإزدحموا علیه وبسطوا یده فقبضها وسحبوها فأمسکها؛قال لهم: إن أجبتکم حملتکم علی ما أعلم؛فإنا مستقبلون أمراً لا تحمله العقول ولا تقوم له القلوب، أی أن الامام علیه السّلام أدرک ما سیواجه من أحداث یصعب علی غیر الواعی لمبادئ الرساله النهوض والثبات أن یتحملها، وأن یجد فی دخیلته المبرر الشرعی لقتال زوج الرسول (عائشه) وصاحب السیف الذی طالما أجلی الکرب عن وجه الرسول صلی الله علیه وآله، أو من قطع إصبعه فی معرکه کان النصر فیها للرساله الإسلامیه.

لذا کان الامام علیه السّلام یرسم لهم منهجه وطریقته فی التعامل مع أحداث سیلدها ظرفها لا یعلمها إلا قلیل، ولا یتجاوزها مفلحاً إلا قلیل؛ {وَقَلِیلٌ مَا هُم}(۲).

وفعلاً کان ما أخبر به أمیر المؤمنین علیه السّلام، والذی کان یری أن[عدم قتال الناکثین، والقاسطین، والمارقین؛ کفر بما أنزل الله علی محمد صلی الله علیه وآله].وإن النبی صلی الله علیه وآله هو الذی قال له:تقاتل علی التأویل کما قاتلت علی التنزیل.وهو أیضاً الذی أمره وبعض أصحابه علی قتال الناکثین والقاسطین والمارقین، وقد جاء ذلک فی حدیث عمار بن یاسر، وأبی أیوب الأنصاری، وأبی سعید الخدری، وحدیث علی نفسه.ومن المدعمات الروائیه، والنقلیه، عن الرسول صلی الله علیه وآله: روی ابن عباس قال: قال: رسول الله صلی الله علیه وآله: (لیت شعری أیتکن صاحبه الجمل الأریب تسیر حتی تنبحها کلاب

۱- تاریخ الطبری : أحداث عام «۳۶ ه-»، «وقعه الجمل».

۲- سوره ص الآیه: ۲۴.

الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»(۱).

وعن أبی سعید الخدری قال أمرنا رسول الله صلی الله علیه وآله بقتال الناکثین والقاسطین والمارقین فقلت یا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علی بن أبی طالب معه یقتل عمار بن یاسر، ونقل بألفاظ مختلفه وطرق متعدده.وعن أبی سعید الخدری به وقد روی مسلم فی صحیحه من حدیث داود بن أبی هند والقاسم بن الفضل وقتاده عن أبی نضره عن أبی سعید قال: قال رسول الله: تمرق مارقه عند فرقه المسلمین یقتلها أولی الطائفتین بالحق(۲).

۱- علل بن أبی حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدریس بن مهران الرازی أبو محمد، وفاه المؤلف ۳۲۷، تحقیق محب الدین الخطیب، دار المعرفه، بیروت، ۱۴۰۵: ۲/۴۲۶، البدایه والنهایه، ابن کثیر:۶/۲۱۸.
۲- البدایه والنهایه : ۶/۲۱۶.

عمار والشرعيه

حوارات

اشاره

«أمر فيه السيف لا أعرفه».

عبد الله بن عمر

اشاره

أتى عمار بن ياسر أمير المؤمنين عليه السّلام بعدما تمت البيعه له يستأذنه الذهاب إلى عبد الله بن عمر، فإن عبد الله ممن تخلف عن البيعه فلم يمانعه الامام عليه السّلام وأذن له بلقائه، وكان عمار يطمع فيه أن يخف معهم لقتال الناكثين والخارجين على الشرعيه، فقد عُرف عن ابن عمر قوله «يرى أن لا يبيت إلا وفى عنقه بيعه»، وعليه أحتج بهذا معاويه يوم طلب من عبد الله بن عمر أن يبايع ليزيد ابنه، إلا أن ذلك غاب عن ذهن عبد الله فى يوم على وذكره «لورعه» فذهب لمبايعه الحجاج، وابن عمر يرى علياً أحق أهل الشورى بالخلافه؛ وفى ذلك العجب العجاب.

الحواريه الأولى

اشاره

عمار بن ياسر: يا أبا عبد الرحمن - يخاطب ابن عمر- إن المهاجرين والأنصار قد بايعوا علياً.وإن فضلناه عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف فى أهل الصلاه، وقد علمت أن على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالحجاره، وإنّ علياً لم يقتل أحداً من أهل الصلاه ؛فيلزمه حكم القاتل.

ص: ١٤٣

فقال ابن عمر:

يا أبا اليقضان، إن أبی جمع أهل الشوری، الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، فكان أحقهم بها علی، غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن ما أحب أن لی الدنيا وما عليها وأنی أظهرت أو أضمرت عداوه علیّ؟

فأنصرف عنه عمار(۱).

الدلاله الأولی

لابـد للإنسان المسـلم من بيعه فی عنقه، بهذه بايع ابن عمر الحجاج الثقفی، وهی داله أخری علی موقف قريش من بيعه علی ابن أبی طالب عليه السّلام.

الدلاله الثانيه

إن أحق أهل الشوری بها علی بن أبی طالب عليه السّلام، فلم إذن لم يبايعه ابن عمر، وفيها داله؛ إنّ علياً لم يكره أحد علی بيعته، فليتأمل فيما نسبه التاريخ علی إكراه طلحه والزبير فهما أول من بايع.

الحواريه الثانيه

لولا ما فی يدی لبايعت علياً

محمد بن مسلمه الأنصاری

محمد بن مسلمه:

اشاره

مرحباً بک يا أبا اليقضان علی فرق ما بينی وبينک، والله لولا ما فی

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوری : ۱/۵۲.

یـدی من رسول الله صـلی الله علیه – وآله– وسـلم لبایعت علیاً، ولو أن الناس کلهم علیه لکنت معه، ولکنه یا عمار کان من النبی أمر ذهب فیه الرأی.

عمار: کیف؟

قال – محمد– قال رسول الله صلی الله علیه – وآله– وسلم إذا رأیت المسلمین یقتتلون أو إذا رأیت أهل الصلاه.

فقال عمار: فإن کان قال لک إذا رأیت المسـلمین؛ فوالله لا تری مسـلمین یقتتلان بسـیفیهما أبداً، وإن کان قال لک أهل الصـلاه فمن سـمع هـذا معک، أنما أنت أحد الشاهدین، فترید من رسول الله قولاً بعد قوله یوم حجه الوداع: دماؤکم وأموالکم حرام إلا بحدث، فتقول: یا محمد، لا نقاتل المحدثین.

محمد: حسبک یا أبا الیقضان(۱).

الدلاله الأولی:

یتضـح من مقوله محمـد بن مسـلمه أن هناک اختلاف فی الرأی بین أبی الیقضان الـذی ملئ إیماناً إلی مشاشه، وبین محمـد بن مسلمه «علی فرق فیما بینی وبینک»، وعمار موالی لعلی وذائب فیه حتی مشاشه.

الدلاله الثانیه:

أورد عمار إشکالات علی ما رواه بن مسلمه، وفی الأخیر نراه لا یدحض روایته، بل ویکذبهاویحاول محمد أن ینهی الحوار، فلم تکن الحرب بین مسلمین ؛فإنهما حسب عمار

۱– الامامه والسیاسه :۱/ ۵۲.

لا يقتتلان، وبهذا تنافی مع الروایه وإسقاط لها، وعمار أثبت وقوله أرجح لما شهد له الرسول صلی الله علیه وآله وأبویه بالجنه، فلا یصدر منه ما یخل بذلک، وقاتل عمار فی النار ولا یدخل المسلم النار، {ومن یقتل مؤمن متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فیها} القرآن العزیز(۱).

الحواریه الثالثه

أعطنی سیفاً یقول هذا مسلم وهذا کافر.

سعد بن أبی وقاص

إلتقی عمار بن یاسر بسعد بن أبی وقاص، فأظهر - أی سعد - الکلام القبیح(۲) - فی نص ابن قتیبه- فأنصرف عنه عمار، وسعد کان قد طلب من أمیر المؤمنین علیه السّلام سیفاً ناطقاً یمیز الکافر عن المسلم حتی یکون إلی جنبه ویقاتل معه الناکثین والقاسطین والمارقین، وتلک حواریه رابعه تتجلی فیها مقوله الرسول صلی الله علیه وآله لعلی - فی الصحیح- إن الأمّه ستغدر بک بعدی(۳). صدق رسول الله صلی الله علیه وآله.

موقف أمیر المؤمنین

لم یعبه أمیر المؤمنین علیه السّلام لموقف الممتنعین عن بیعته، وإن أشار علیه بعض أصحابه أن یحضهم باللسان، فإن امتنعوا أدبهم بالحبس؛ فرض وقال علیه السّلام:

«بل أدعهم ورأیهم الذی هم علیه»(۴).

۱- سوره النساء: ۹۳.

۲- الامامه والسیاسه : ۱/۷۳.

۳- شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ۴ / ۱۰۷، فصل فی ذکر المنحرفین عن علی.

۴- الأخبار الطوال، أبی حنیفه الدینوری : ۱۴۳.

تقییم عمار لمعاویه

کان لعمار دور بارز یوم صفین وهو ابن ثلاث وتسعین، وقال مخاطباً الناس محرضاً لهم علی قتال القاسطین، معاویه وجنده:

یا أهل الإسلام! أتریدون أن تنظروا إلی من عادی الله ورسوله وجاهدهما، وبغی علی المسلمین، وظاهر المشرکین، فلما أراد الله أن یظهر دینه، وینصر رسوله، أتی النبی فأسلم، وهو والله فیما یری راهب غیر راغب، وقبض الله رسوله صلی الله علیه وآله وإنا والله لنعرفه بعداوه المسلم، وموده المجرم؟ ألا ـ وإنه معاویه، فالعنوه، لعنه الله، وقاتلوه فإنه ممن یطفئ نور الله، ویظاهر أعداء الله(۱).

حواریه الاربعه

ادخلتنی فی ضیق بعد السعه

ابن عباس لعثمان

إنّ جمله من المنقول التاریخی یؤکد أنّ هناک تجاوزاً وخرقاً لمبادئ الرساله الإسلامیه وتعدی علی الأمه، ومن هذه المنقولات ما روی فی حوارات مع الخلیفه الثالث، وطلبه النصح من بعض الصحابه، فضلًا عما کان یعکسه اجتماع الخلیفه بولاته قبل حصاره من آلیه لتعامل الولاه مع الأمه وموقف اللین وعدم الاکتراث واللامبالاه من قبل الخلیفه.

وهذا ما قاله معاویه للخلیفه فی هذه الجلسه:

فرقهم – أی الصحابه أو الأعم منهم من المسلمین– عنک فلا یجتمع منهم اثنان

۱– صفین، نصر بن مزاحم:۲۳۴.مطبعه المدنی،القاهره، ط ۱، ۱۳۸۲ه–.والطبری ۶/۹.

فی مصرٍ واحدٍ، واضرب علیهم البعوث والندب، حتی یکون دبر بعیر أحدهم أهم علیه من صلاته. وبُعیدها کان قد دار هذا الحوار بین الخلیفه وابن عباس:

أمسک عثمان ابن عباس، فقال له عثمان:

یا بن عمی، ویا بن خالتی، فإنّه لم یبلغنی عنک فی أمری شیء أحبه ولا أکرهه علی ولا لی، وقد علمت أنک رأیت بعض ما رأی الناس، فمنعک عقلک وحلمک من أن تظهر ما أظهروا، وقد أحببت أن تعلمنی رأیک فیما بینی وبینک فأعتذر، قال ابن عباس: فقلت یا أمیر المؤمنین: إنک قد ابتلیتنی بعد العافیه، وادخلتنی فی الضیق بعد السعه، ووالله إن رأیی لک أن یجل سنک، ویعرف قدرک، وسابقتک، والله لوددت إنک لم تفعل ما فعلت مما ترک الخلیفتان قبلک، فإن کان شیئا ترکاه لما رأیا أنه لیس لهم، علمت أنه لیس لک کما لم یکن لهما، وإن کان ذلک لهما فترکاه خیفه أن ینال منهما مثل الذی نیل منک ترکته لما ترکاه له، ولم یکونا أحق بإکرام أنفسهما منک بإکرام نفسک، قال: فما منعک أن تشیر علی بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: وما علمی أنک تفعل ذلک قبل أن تفعل؟

قال: فهب لی صمتاً حتی تری رأیی.

قال: فخرج ابن عباس(۱).

عمرو بن العاص

کان الرسول صلی الله علیه وآله قد أمره علی سریه وجّهها إلی الشام، وکان الرسول أیضاً أرسله إلی والی عمان برساله، حیث أسلم الأخیر وأقرّه الرسول صلی الله علیه وآله علی ولایته،

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه: ۱/۴۸ - ۴۹.

وفی زمن عمر تولّی فتوح فلسطین والأردن وولاه عمر إیاها بعد موت یزید بن أبی سفیان، ثم إنّ عمر جمع بلاد الشام کلها لمعاویه واستدعی عمرو بن العاص إلی المدینه، وکان هو الذی فتح مصر فی عهد عمر، فکان الوالی علیها إلی أن عزله عثمان وولّی بدلاً عنه ابن أبی سرح العامری، فاعتزل عمرو وأقام فی فلسطین، وربما أتی المدینه یثیر الناس علی عثمان وینفخ فی نار الفتنه، فکتب إلیه معاویه یستقدمه - بعد مقتل الخلیفه الثالث – قُبیل وقعه صفین.

وروی ابن عبد البر الأندلسی أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاه بکی فقال له ابنه عبد الله: لِمَ تبکی، اجزعاً من الموت؟ قال:لا والله ! ولکن لما بعده فقال له:قد کنت علی خیر، فجعل یذکره صحبته الرسول صلی الله علیه وآله وفتوحه الشام فقال له عمرو:ترکت أفضل من ذلک شهاده أن لا إله إلا الله، إنی کنت علی ثلاثه أطباق لیس فیها طبق إلا عرفت نفسی فیه، کنت أول شیء کافراً، فکنت أشد الناس علی رسول الله صلی الله علیه وآله؛ فلو مت یومئذ لوجبت لی النار، فلما بایعت رسول الله صلی الله علیه وآله کنت أشد الناس حیاء منه، فلما ملئت عینی من رسول الله حیاء منهن، فلو مت، قال الناس:هنیئاً لعمرو! أسلم وکان علی خیر ومات علی خیر أحواله، فترجی ل-ه الجنه، ثم بلیت بعد ذلک بالسلطان وأشیاء، فلا أدری أعلی أم لی؟ فإذا متُّ فلا تبکین علیَّ باکیه، لا ینعنی مادح وشدّوا علیَّ أزاری فإنی مخاصم(۱) مات سنه ۴۳ ه-، وله نیف وثمانین سنه(۲).

۱- الاستیعاب فی معرفه الأصحاب، ابن عبد البر:۲/۴۳۵.

۲- الاستیعاب فی معرفه الأصحاب، ابن عبد البر:۲/ ۴۳۵.

عن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

قاتله – أي قاتل عمار – وسالبه في النار. فقيل لعمرو سمعت هذا من رسول الله وها أنت قاتله(۱).

سيكولوجيه عمرو بن العاص في التعامل

كتب معاويه إلى عمرو بن العاص يستقدمه إلى الشام كوزير ومشير، فقد ألم بمعاويه ما لا طاقه له بدفعه عنه: «مبعوث الخليفه يأمره بإعلان بيعته ودخوله فيما دخل فيه الناس» وقيصر الروم يتهدده، فرأى في عمرو مخلصاً مما هو فيه إذا ما انضم إليه وشاركه موقفه؛ فكتب إليه يستنصره: أما بعد، فقد كان من أمر علي، وطلحه، والزبير، ما قد بلغك، وقد سقط علينا مروان ابن الحكم في رافضه البصره !وقدم عليَّ جرير بن عبد الله في بيعه علي! وقد حبست نفسي عليك، فاقدم على بركه الله..!!

إن عمراً حين أتاه كتاب معاويه استشار ولديه: عبد الله، ومحمداً، وقال لهما:

يا ابني. أنه كان مني في أمر عثمان فلتات لم استقلها بعد، وقد كان هروبي بنفسي حين ظننت أنه مقتول، ما قد احتمله معاويه عني!

فأشارا عليه: أما عبد الله فذكره بمواقفه أيام النبي صلى الله عليه وآله وأنه كان راض عنه وكذلك أبو بكر وعمر مضيا راضيان عنه، فلو بقيت على اعتزالك خيراً لك، واما محمد فأشار إلى مكامن الطموح في نفس أبيه، وأشار عليه بأن يشارك معاويه أمره.

فقال عمرو لهما: أما أنت يا عبد الله فقد أشرت علي بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأشرت بما هو خير لي في دنيا!!

۱- أنساب:۱/ ۱۹۱.

ثم أمر عمرو وردان خادمه أن يرحل، ثم قال له: أحطط يا وردان. أرحل يا وردان وأخذ عمرو يكرر ذلك. فقال له: وردان لو شئت نبأتك عما فی نفسک!.

فقال عمرو: هات يا وردان!.

فقال: اعترکت الدنيا والآخره على قلبک! فقلت: مع على الآخره بلا دنيا(١)، ومع معاويه دنيا بغير آخره! فأنت واقف بينهما!.

فقال عمرو: ما أخطأت ما فی نفسی! فما ترى يا وردان؟

قال: أرى أن تقيم فی منزلک، فإن ظهر أهل الدين عشت فی عفو دينهم، وأن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنک!!

فقال عمرو: الآن حين شهرتنی العرب بمسيرى إلى معاويه !!. {أخذته العزه بالأثم}.

ثم ألتقى طموح معاويه مع طمع وتطلع عمرو واتفقا بعد بيعه عمرو لمعاويه بالخلافه وأن يناصره فی حربه على على عليه السّلام أن تكون مصر لعمرو، وبتدخل عتبه ابن أبی سفيان(٢)؛ فتمت الصفقه.

من أقوال عمرو لمعاويه

قال عمرو لمعاويه: أعطنی مصر! فتلکأ معاويه!وقال: ألم تعلم أن مصر کالشام؟

قال عمرو: بلى! ولکنها إنما تکون لی إذا کانت لک! وإنما تکون

۱- لا ـ يعرف مرتکز لهـذه المقوله، إلا ـ ما أخبر به النبی (ص) من إقبال بعض الصـحابه على الـدنيا، أی أنها وردت ذماً، وشاعت بعد عهد عثمان وترکزت بعد تولی معاويه.

۲- الامامه والسياسه، ابن قتيبه:۱/۱۰۰.

لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد بعث أهلها بطاعتهم إلى على!!

وقـال عمرو لمعـاويه أيضـاً:إن رجالـك لا يقومون لرجاله، ولا أقوم أنا ولا أنت له، فأنت تقاتله على أمر وهو يقاتلك على غيره، وأنت تريد البقاء وعلى يريد الفناء، وليس يخاف أهل الشام من على ما يخافه أهل العراق منك(۱).

وعن ابن طاوس عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أنه أخبره

قـال: لما قتل عمار بن ياسـر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال لا أدرى أكان معه أم أخبره أبوه فقال قتل عمار وقد قـال رسول الله صـلى الله عليه وآله تقتله الفئه البـاغيه، قـال: فقام عمرو فزعا يرتجع حتى دخل على معاويه فقال معاويه: ما شأنك فقـال: قتل عمار، فقال معاويه: قتل عمار فماذا، قال عمرو: سـمعت رسول الله يقول تقتله الفئه الباغيه، فقال له معاويه: دحضت فى بولك أنحن قتلناه إنما قتله على وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: سيوفنا(۲).

ص: ۱۵۲

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه:۱/۱۲۰.

۲- تاريخ ابن عساكر:۴۳/ ۴۳۱.

موقف معاويه من البيعه

توجه المسلمون بعد مقتل الخليفه الثالث إلى بيت الامام على عليه السّلام طالبين منه أن يمد يده حتى يبايعوه؛ لأنهم رأوا أنه ليس من الصحيح أن يبلغ أهل الأمصار مقتل الخليفه، ولا أحد قد شغل مكانه، وتولى مهام الامامه(۱)؛ هكذا كانوا يحاورون الامام كى يبسط يده للبيعه، إلا أن على بن أبى طالب عليه السّلام وضع نصب أعينهم احداثاً، وأموراً لا بد لها من مخاض وولاده تحملها بين ثناياها الأيام المقبله، (لا تقوم لها القلوب)، وهو يقبض يده ويسحبها، وهم يأخذونها إليهم ويبسطوها، حتى أذعن لهم وطلب منهم أن تتم بيعته فى المسجد على مرأى ومسمع من المسلين كافه «أنصار ومهاجرين، ومن قدم من أمصار الدوله»(۲).

وعلى ذات التقليد الذى انتهجه من سبقه من الخلفاء، أرسل الامام على عليه السّلام إلى الآفاق يبلغهم ببيعه الأنصار والمهاجرين له، فمن أجاب كتابه وأخذ البيعه للخليفه الجديد اقره الخليفه على ولايته، كما هو موقف الخليفه من أبى موسى الأشعرى فى الكوفه والأشعث بن قيس وعبد الله بن جرير البجلى، وأرسل بعثمان بن حنيف إلى البصره، لأن واليها عبد الله بن عامر انضم إلى معاويه هارباً من ولايه البصره.

ص: ۱۵۳

۱- تاريخ الطبرى : أحداث عام «۳۵ه-».

۲- تاريخ الطبرى:۵/أحداث عام «۳۵ه- ».

أمـا والى الشام معاويه بن أبى سـفيان، فكان قـد ألبس الشام وأهله – السواد - ثوب الحـداد على الخليفه المقتول، ونشـر قميصـه وأصـابع زوجته، وحشـد الرأى العـام الشـامى على الأخـذ بثـأر الخليفه من على بن أبى طـالب فهو الـذى قتله، فلابـد من محاربته وقتـاله، ومع عـدم النباهه التى اتصف بها الشاميون والتقبل المتسـرع تعبـداً بقول الولاه، اسـتطاع معاويه من اكتساب الشـرعيه لأنه ولى القتيـل - وإن كان ابناء عثمان هم الأولى بـذلك وهم أحياء- وقـد طلب منه الضـحاك أبرز شخصـيه شاميه أن يطالب بـدم الخليفه وإلا أخرجوه من الشام - وبالتالى امتنع عن البيعه وامتنع بالشاميين عنها، فماطل مبعوث الخليفه عبد الله بن جرير البجلى - ومن تبعه من رسل الخليفه - وبقى فى الشام فتره تجاوزت أشـهراً، ولـم يجبه بشـىء، وأفاد هو من هـذه المماطله فى كسب بعض المنـاوئين لعلى والمبغضـين له، فاسـتمال عمرو ابن العـاص إلى جـانبه، وهو من قـد عرف بـالمكر والخـديعه وحب الـدنيا وحب الرئاسه فاشترط على معاويه أن يطعمه «مصر» مقابل أن يكون إلى جانبه فى محاربه الشرعيه، النص التاريخى:

«قال معاويه لعمرو: يا أبا عبد الله، إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربه وقتل الخليفه، وأظهر الفتنه، وفرق الجماعه، وقطع الرحم. قـال عمرو: إلى من؟ قـال: إلى جهـاد على، قـال: فقـال عمرو: والله يـا معـاويه ما أنت وعلى بعكمى(١) بعير، مالك هجرته ولا فقهه

ص: ۱۵۴

١- عَكَمَ المتَاعَ يَعْكِمُه عَكْماً: شـدَّه بثوب، وهو أَن يبسُـطَه ويجعلَ فيه المتاعَ ويَشُـدَّه ويُسَـمَّى حينئذ عِكْماً. و العِكامُ: ما عُكِمَ به، وهو الحَبْلُ الـذى يُعْكَمُ عليه، لسان العرب: ۱۲/۴۱۵، وفى مختار الصحاح: ۱/۱۸۸، العِكْم بالكسـر العِدل وعَكَم المتاع شدَّه وبابه ضرب و العِكَامُ بالكسر الخيط الذى يُعْكم به.

وعلمه.. والله إن له مع ذلک حـداً وجداً، وحظا وحظوه، وبلاء من الله حسـنا، فما تجعل لی إن شايعيک على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حکمک. قال: مصر طعمه. قال: فتلکأ عليه معاويه»(۱).

قبل رفع المصحف

کادت وقعه صـفين أن تنهی تطاول الجيش الشامی،وأسـطوره دهاء معاويه ومکر ابن العاص،وبالتالی تبعـد معاويه ومن آزره عن سـاحه الفعـل بالنسـبه للتجربـه الإسـلاميه، وتعـود بالأـمه إلی سـابق عهـدها وتعـاد للتجربـه زاهر أيامهـا وتعيش الأـمه العـدل والمساواه،وأخيراً لا ظهور لفرقه الخوارج ولا ترويج لأفکارها ولکان لنظام الحکم الإسـلامی صوره بمعالم أخری غير التی نُقلت إلينا عن طريق المدون التاريخ والمسرد التراجمی للأعلام وغيرها من المصادر.

وإن اختلف المؤرخون فی تاريخ وقعه صـفين إلا أن المقطوع فيه،هو أنها تلت وقعه الجمل بأشهر وکانت الأخيره قد حدثت عام سته وثلاثين هجريه.

وبُعيـد أن بُويع أمير المؤمنين عليه السّـلام بالخلافه، واسـتخلافه أحدهم على المدينه وآخر على مکه توجه إلی الکوفه وفی أثناء مسيره کانت رساله أم الفضل - من السابقات إلی الإسلام أسلمت مع أم المؤمنين خديجه «رض» - قد وصلته تحذره فيها خروج عائشه والزبير وطلحه ومن سار معهم من مکه إلی البصره.

فتوجه بمن معه إلی البصره وبعث بابن عباس والحسن بن علی عليه السّلام وعمار بن

۱- وقعه صفين، ابن مزاحم المنقری: ۳۷.

یاسر إلی الکوفه یستمد والیه (أبا موسی الأشعری) الجند، بید أن أبا موسی سعی لتثبیط الناس عن الالتحاق بالخلیفه ویحذرهم (الفتنه التی القاعد فیها خیر من القائم....)، وهو صحابی أیضاً،وحصلت سجالات ومشاده بینه وبین عمار ومن ثم مع ابن عباس، حتی عزل من ولایه الکوفه، والتحق الرکب الکوفی مع الامام الحسن علیه السّلام متوجهاً إلی البصره لیکون له موقف مشرف فی الدفاع عن مبادئ الرساله والخلیفه الشرعی. وتنتهی وقعه الجمل بمقتل طلحه علی ید مروان بن الحکم والزبیر علی ید ابن جرموز الذی یقتل هو ایضاً فی النهروان ویقتل آلاف حول الجمل من الطرفین وتعود، عایشه إلی المدینه، ویتوجه أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی الکوفه لیعسکر بالنخیله ثم ینطلق بمن معه نحو الشام وینزل فی صفین، وبعد العذر والإنذار یحارب معاویه وجیش الشام الذی هُیئ للخروج ولقتال الخلفیه بعذر وتعلیلات لا واقع لها إلا أن تفسر بالنفعیه والقتال من أجل السلطان لیس إلا. وهکذا کانت تحرکات معاویه حیث بایعت الأمه واجتمعت کلمتها علی علی ابن أبی طالب علیه السّلام، بُعید مقتل الخلیفه الثالث، بثوره کبری قادها الصحابه فی المدینه. وکانت الجمل أولی حروب الامام التی خاضها علی الخارجین علیه - الناکثین- وأسفرت عن مقتل قادتها وسقوط الکثیر ممن شارک فیها قتیلاً وهزیمه الباقین، وکان للأحداث التی أعقبت وقعه صفین مساهمه فاعله فی تغییر مسار الدوله والمجتمع الإسلامی وشکلت منعطفاً خطیراً فی تاریخ الأمه عموماً وتاریخ الرساله الإسلامیه فیما بعد خصوصاً؛ حیث قد أعقبها مستجدات وملابسات علی مستوی الاعتقاد وفتح باب الاجتهاد (القیاسی) علی مصراعیه مقابل «النص» وابتدع منهج خاص لتداول السلطه، مما کان له أثره الفاعل فی منعطف آخر علی

مستوى الفكر الإسلامى وبنيه العقل، ونكوص فى الواقع التطبيقى على امتداد القرون التى تلت عام (۳۸ه-).

وللقارئ أن يسأل ما هى دوافع (أهل المصحف) من الخروج على الشرعيه، ومن تأليب الرأى الشامى بصوره عامه، ورأى بعض ابناء الخلفاء وسواهم من الأنصار وان كان عددهم محدوداً ضد الخليفه المنتخب بأغلبيه ساحقه، فضلاً عن أن الانتخاب تم على وفق الشروط التى أقرت خلافه سابقيه، وبيعه الامام عليه السّلام أقرب فى جميع مفاصلها إلى روح الشورى وحريه الاختيار، فقد أشر على البيعات السابقه، وأخذ على طريقتها مآخذ، وكانت بعد العهد أو تماميه بيعه أحدهم يُدعى الناس، لمبايعه الخليفه المنصوب، وحتى أن عثمان عهد لعبد الرحمن بن عوف سراً، وأرسل إليه بالكتاب، إلا أن عبد الرحمن غضب وحلف أن لا يكلم عثمان، وفعلاً لم يكلمه حتى مات.

ولم يذكر إكراه من الخليفه لأحد معارضيه أو من لم يعطه صوته؛ كما هو حال عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمه وسعد بن أبى وقاص...، بيد أن المنقول التاريخى فى ما يخص بيعه من سبق الامام على عليه السّلام قد أشار إلى إكراه أو تعريض أو تهديد أو...!!

۱- بيعه السقيفه.

الف - تهديد الزبير وأخذ سيفه منه وكسره.

ب - اقتلوا سعداً قتله الله(۱).

ج - دفع الخليفه الثانى المقداد فى صدره، وإن عمر بن الخطاب، هو الذى وقم المخالفين لبيعه أبى بكر، وتوعد من لجأ إلى بيت فاطمه من الهاشميين وأخرجهم. ولولاه

۱- تاريخ الطبرى، أحداث عام ۱۱/ هجريه. فقد نقل هذه القضايا.

لم يثبت لأبى بكر أمر ولا قامت له قائمه(۱).

۲- موقف الخليفتين بُعيد بيعه السقيفه من الامام على عليه السّلام، وتخلفه ولم يبايع إلا بعد سته أشهر على الأصح حسب عباره الطبرى(۲).

۳- وقف عمار بعد بيعه عثمان والتهديدات التى صدرت تجاهه.

۴- تصريح عبد الرحمن بن عوف للامام على عليه السّلام بعد بيعه الخليفه الثالث، بايع ولا تجعل على نفسك سبيلاً، وكان يخاطب الامام علياً عليه السّلام(۳).

وصحيح أن بعض خلص الصحابه قد طلبوا من الامام عليه السّلام أن يسمح لهم أن يذهبوا إلى الأشخاص الذين توقفوا عن بيعته، وقد ذهب عمار لمحاوره بعضهم والوقوف على الأسباب التى تقف وراء موقفهم هذا. وكانت بينه وبينهم حوارات.

من كتب الامام عليه السّلام لمعاويه

«إِنَّهُ بَايَعَنِى الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْر و عُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وإنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُل وَسَمَّوْهُ اماماً كَانَ ذلِكَ لله رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْن أَوْبِدْعَه رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى وَلَعَمْرِى، يَا مُعَاوِيَهُ، لَئِنْ نَظَرْتَ

۱- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ۱/ ۱۷۴، باب/ ۳.

۲- تاريخ الطبرى، (أحداث عام ۱۱ ه-). السقيفه.

۳- تاريخ الطبرى: أحداث عام [۲۳-۲۴].

بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّی أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّی كُنْتُ فِی عُزْلَه عَنْهُ، إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّی ; فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلاَمُ».

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنی مِنْكَ مَوْعِظَهٌ مُوَصَّلَهٌ، وَرِسَالَهٌ مُحَبَّرَهٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِیء لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ،وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَی فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَر لاَغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً».

«وأما قولُك: (إنّا بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل)، فكذلك نحنُ، ولكنْ ليس أُميّه كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبی طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللّصيق، ولا المُحقّ كالمُبطل، ولا المؤمن كالمُدغل. ولبئس الخلَف خلَفاً يتّبع سلَفاً هَوی فی نار جهنّم. وفی أيدينا بعدُ فضلُ النبوّه التی أذللنا بها العزيز، ونَعَشْنا بها الذليل. ولمّا ادخل اللهُ العربَ فی دينه أفواجاً، وأسلمت هذه الأمهُ طوعاً وكَرْهاً، كنتم ممّن دخل فی الدين: إمّا رغبه، وإمّا رهبه، علی حين فاز أهل السَّبقِ بسَبقِهم، وذهب المهاجرونَ الأوّلونَ بفضلهم »(۱)

كتابه عليه السّلام إلی جرير بن عبد الله البجلی لما أرسله إلی معاويه

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِی فَاحْمِلْ مُعَاوِيَهَ عَلَی الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بَالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْب مُجْلِيَه، أَوْ سِلْم مُخْزِيَه، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلاَمُ»(۲).

۱- شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحديد: ۱۵/۱۷۷، وشرح النهج لابن ميثم البحرانیّ ۴: ۳۸۹.

۲- تاريخ مدينه دمشق، ابن عساكر : ۵۹/۱۳۵.شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحديد: ۳/۸۷.

وقعه الجمل

الناكثون

النكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعه وغيرها. وفى حديث على كرم الله وجهه: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

النكث: نقض العهد، وأراد بهم أهل وقعه الجمل(۱).

وقعه الجمل: سُمّيت واصطلح عليها ب- (وقعه الجمل)؛ لأنّ عائشه -وهى التى قادت المعركه- كانت على جمل فى هودج، وقد أُلبس هودجها الدروع والنسائج الحديد(۲).

وكان لعقر وقتل الجمل دور فى الإيذان بنهايه الوقعه، وانـدحار وانهزام أصحاب الجمل بعـد اعتزال الزبير وقتله وقتل طلحه بن عبيد الله، وقال الامام علىّ عليه السّلام لأصحابه:

(ولو عقر فقط لم تثبت لهم ثابته).

وكان حدوثها فى جمادى الآخره سـنه ست وثلاثين هجريّه، وبعد تولّى الامام عليه السّـلام الخلافه بأشـهر.ولقد حصـلت ودارت رحى حرب الجمل فى البصره فى موضع يسمّى

۱- لسان العرب، ابن منظور:۱۴ /۲۷۸.

۲- الفخرى : ۸۸.

(الخُرَيبَه)(١).

المدعمات الروائيّه والنقليّه:

عن الرسول صلى الله عليه وآله:

عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليت شعرى أيتكنَّ صاحبه الجمل الأربب، تسير حتّى تنبحها كلاب الحوأب؟ يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»(٢).

وللحديث طرق عديده، ونقل بألفاظ مختلفه ومتعدّده(٣).

أمّ سلمه تحذّر عائشه:

طلبت عائشه من أمّ سلمه - وهى زوج الرسول صلى الله عليه وآله وأمّ المؤمنين، وقد أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله بأنّها على خير يوم جمع الرسول صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمه والحسن والحسين، وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً(۴) - أنْ تخرج معها إلى البصره، لأنّ عثمان قتل مظلوماً، وقد أخبرها بذلك ابن عمّها وزوج أختها - أىْ طلحه والزبير- فلم تخرج أمّ سلمه معها، بل أخبرتها أنّ واجبها أنْ تقرّ فى البيت الذى ضرب عليه حجابها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. ثمّ قالت لها:

لو أنّ الرسول عارضك فى بعض الطرق فما أنت قائله له، وقد وضع

١- الأخبار الطوال، ابن قتيبه : ١۴۶.

٢- البدايه والنهايه، ابن كثير:۶ /٢١٨.

٣- المعيار والموازنه، أبو جعفر الاسكافى : ٢٨،سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى: ١٠/١۵١.

۴- كتاب سليم بن قيس، وفاته عام ٩۵ه-،تحقيق محمد باقر الأنصارى: ٢٠٠.مسند أبى يعلى الموصلى: ١٢/۴۵١.

الجهاد عن النساء؟ ولكنها لم تتّعظ ولم ترجع، بل علت الجمل وخرجت محاربه للخليفه الشرعی الذی بایعه أصحاب محمدصلی الله علیه وآله(۱).

وعن عائشه نفسها أنّها لمّا نبحتها کلاب الحوأب قالت:

ردّونی، وما أرانی إلّا راجعه، قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: لا تکونی التی تنبحک کلاب الحوأب(۲).

فأیّ مدعم وقرینه تفصح عن أنّ القوم ناکثون وخارجون علی شرعیّه الخلیفه والامام نصاً وبیعه، إجماعاً واجتماعاً؟

وفی یوم کان الخلیفه عثمان فی المسجد، أخرجت عائشه قمیص الرسول -صلی الله علیه وآله- وقالت:

هذا قمیص رسول الله لم یبل وقد أبلی عثمان سنّته، فاقتلوا نعثلاً فقد کفر(۳)، فقال عثمان: ربّی اصرف عنّی کیدهن إنَّ کیدهن عظیم.

تشخیص موقف عائشه:

لقد حدّد الامام علیه السّلام موقف عائشه من الخلیفه فی قوله علیه السّلام:

وکان من عائشه فیه فلته غضب(۴).

۱- تاریخ الطبری: ۳/۴۵۰.

۲- مصنف ابن أبی شیبه : ۸/۷۰۸. جواهر المطالب فی مناقب الامام علی (ع)،ابن الدمشقی: ۲/۲۹.

۳- الفخری فی الآداب السلطانیه، ابن طباطبا، /۸۷، وفی غیره: فجر.

۴- شرح النهج، محمّد عبده، ح۲/۲.

إشارات الامام علىّ عليه السّلام:

إنَّ الامام عليه السّلام لمّا بايعه طلحه، قال:

ما أخلقه أنْ ينكث. ولمّا دخل عليه طلحه والزبير واستأذناه

بالذهاب للعمره، قال عليه السّلام: إنّما أرادا الغدره. وأمّا فلانه - أىْ عائشه - فأدركها رأىُ النساء، وضغن غلا فى صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيرى ما أتت إليه(١).

تشخيص موقف طلحه:

قال الامام علىّ عليه السّلام:

«والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أنْ يُطالب بدمه؛لأنّه مظنّته، ولم يكن فى القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر، ويقع الشك. ووالله ما صنع فى أمر عثمان واحده من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما - كما كان يزعم - لقد كان ينبغى له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغى له أن يكون من المنهنهين عنه، المعذرين فيه. ولئن كان فى شك من الخصلتين، لقد كان ينبغى له أن يعتزله، ويركد جانبا، ويدع الناس معه. فما فعل واحده من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره»(٢)

فقد كان طلحه يوم قتل عثمان متنكراً يرمى بسهامه على دار عثمان.

١- شرح النهج، محمد عبده: ٢/٢٨٣.

٢- شرح نهج البلاغه،ابن أبى الحديد:١٠/٣.

جيش الامام عليه السّلام

ولقد شهد الوقعه مع الامام علىّ عليه السّلام ثمانمائه من الأنصار، وأربعمائه ممّن شهد بيعه الرضوان مع النبىّ صلى الله عليه وآله(۱)، ثم انضم إليه فى الطريق الكثير من بنى أسد وطىء، ثم جاءه مدد أهل الكوفه.

جيش أهل الجمل

تآلف فيه مع طلحه والزبير بعض ولاه عثمان الذين عزلهم الامام علىّ عليه السّلام كعبد الله بن عامر ومروان بن الحكم، والباقون أغلبهم من عوام الناس ممن لا سابقه له، وكان الذين خرجوا معها - عائشه- من مكّه حوالى ستمائه رجل، ثم انضم إليهم آخرون من أهل البصره(۲).

دوافع الحرب

يُرجع ابن طباطبا السبب فى خروج طلحه والزبير وسواهما، إلى أنَّ الامام عليّاًعليه السّلام لمّا بُويع سار بالناس بالعدل والمساواه ولم يفضّل أحداً على أحد، حتّى أنَّ أخاه - عقيل بن أبى طالب- طلب منه أنْ يزيده فلم يجبه إلى ذلك، وقال له: انتظر عطائى(۳).

فأبدى البعض من الصحابه عدم الارتياح لموقفه فى التسويه والعدل، وأتاه طلحه والزبير فقالا: إنّه قد نالتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جفوه، فاشركنا فى أمرك! فقال: أنتما

۱- العقد الفريد، ابن عبد ربّه: ۴/۳۱۳.

۲- البدايه والنهايه، ابن كثير: ۷/۲۴۲.

۳- الفخرى: /۸۶.

شریکای فی القوّه والاستقامه، وعونای علی العجز والأود(۱).

وقد طلب جماعه من بنی أمیّه – ولاه الخلیفه عثمان – من الامام علیه السّلام أنْ یترک لهم ما بأیدیهم من مال وغیره ولا یطالبهم بشیء ممّا کان لهم أیّام عثمان، فقال علیه السّلام: والله، لو وجدته قد تُزوج به النساء، ومُلک به الإماء، لرددته(۲).

إنّ مواقف الامام علیه السّلام یوم بدر وأحد کان لها الأثر البارز فی انحراف بعض الناس عنه، فهو الذی قتل صنادید قریش وأغلبهم کان من الأمویّین، وهو قاتل مرحب الیهودی، وهو أخو محمّد بن مسلمه الصحابی(۳)؛ ولذا فالامام علیه السّلام یقول: وما ذنبی لمحمّد بن مسلمه إلاّ أنّی قاتل أخیه مرحب.

فاجتمع الفرقاء علی نکث البیعه والخروج لقتال الخلیفه، فکانت وقعه الجمل.

الرسول صلی الله علیه وآله والناکثون

إنّ الرسول صلی الله علیه وآله أخبر عن کثیر من الحوادث المستقبلیّه، والتی ستلدها الأیّام بعد رحیله، ومن هذه الحوادث وقعه الجمل وأصحابها وقادتها، وأشار الرسول صلی الله علیه وآله إلی ظلمهم لعلیّ بن أبی طالب علیه السّلام وخروجهم علیه.

فعن الزبیر قال:

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: لتقاتلنّه – أی علیّاً– وأنت ظالم له. وهو

۱- تاریخ الیعقوبی: ۲/۱۸۰.

۲- شرح النهج، محمّد عبده: ۱/۴۶.

۳- الامامه والسیاسه:۱/۵۲-۵۳.

الحديث الذى احتجّ به الامام على عليه السّلام، على الزبير فاعتزل الحرب، وبرّر الزبير لولده عبد الله اعتزاله من الحرب لمّا ذكّره الامام عليه السّلام بهذاالحديث. ونقل بألفاظ مختلفه(۱).

وعن قتاده قال:

لمّا ولّى الزبير يوم الجمل بلغ ذلك عليّاً، فقال: لو كان ابن صفيّه يعلم أنّه على حقّ ما ولّى(۲).

خروج بعض نساء النبى صلى الله عليه وآله

عن أمّ سلمه (رضوان الله عليه) قالت:

ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله خروج بعض أُمّهات المؤمنين فضحكت عائشه، فقال لها: انظرى يا حميراء أنْ لا تكونى أنت(۳). لذا لمّا نبحتها كلاب الحوأب فى طريقها إلى البصره، قالت: ردّونى.

إشارتان

۱- عن عليّ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ سرّه أنْ ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّه فلينظر إلى زيد بن صوحان، وقد قتل زيد فى الجمل مع عليّ عليه السّلام.

۱- البدايه والنهايه، ابن كثير: ۶/۲۱۹.

۲- يراجع البدايه والنهايه: ۶/۲۱۸.

۳- البدايه والنهايه: ۶/۲۱۸.

۲- عن ابن مسعود قال:

إذا اختلف النـاس كان ابن سـميّه - أىْ عمّار بن ياسـر- مع الحقّ. وكان مع الامام علىّ عليه السّـلام فى حروبه حتّى قُتل (رضوان الله عليه) فى صفّين(۱).

ص: ۱۶۷

۱- البدايه والنهايه: ۶/۲۲۰.

سير الأحداث وتتابعها

فى المدينه المنوّره بعد اتّساق البيعه لأمير المؤمنين عليه السّلام حيث بايعه أهل الحرمين ومن حضر المدينه من الأمصار، بعث ولاته إلى الأمصار، فرفض معاويه الدخول فيما دخل فيه الناس، وخرج رهط من الشام فرأوا سهل بن حنيف وهو والى الامام علىّ عليه السّلام على الشام فردّوه. وفى البصره قام عبد الله بن عامر - لمّا بلغه مبايعه الناس لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام- خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس، إنّ خليفتكم عثمان بن عفّان قُتِلَ مظلوماً وبيعته فى أعناقكم، ونصرته ميتاً كنصرته حيّاً، ولى عليكم اليوم ما كان لى بالأمس، وقد بايع الناس عليّاً، ونحن اليوم طالبون بدم عثمان، فأعدّوا للحرب عدّتها؛ فوثب إليه حارثه بن قدامه السعدى، فقال له: يا ابن عامر، إنّك لن تملكنا عنوه، ولن نولّيك عن مشوره، إنّما بطاعه غيرك، وقد قتل عثمان بحضره المهاجرين والأنصار فلم يغيروا على قاتله، وقد بايع الناس عليّاً، فإنْ أقرّك على عملك أطعناك، وإنْ عزلك عصيناك، والسلام(١)

ثمّ نزل عبد الله بن عامر من المنبر، وخرج فى جوف الليل هارباً نحو المدينه، فلقيه طلحه والزبير فقالا:

لا مرحباً بك يا مضيع ولا أهلاً تركت البصره والأموال وأتيت مكّه فزعاً من علىّ بن أبى طالب - رضوان الله عليه-! هلّا لا أقمت بالعراق حتّى وافيناك بها؟

ص: ١٦٨

١- الفتوح: ٢/٤٤٩.

الکوفه

کان أبو موسی الأشعری والیاً علی الکوفه لعثمان، وقد أقرّه علیها الامام علیه السّلام حین أشار علیه الأشتر أنْ یقرّه علیها. ولمّا بلغ أبو موسی بیعه المهاجرین والأنصار للامام علیّ علیه السّلام عمد إلی تثبیط الناس، وقال لهم: إنّ بیعه عثمان لا تزال فی عنقی(۱)، کما هی فی أعناقکم، ثمّ أجبروه علی بیعه الامام علیّ علیه السّلام.

خطبه أبی موسی الأشعری

أیّها الناس: إنّ أصحاب رسول الله الذین صحبوه فی المواطن أعلم بالله ورسوله ممّن لم یصحبه، وإنّ لکم حقّاً علیّ أُؤدّیه إلیکم، إنّ هذه الفتنه النائم فیها خیر من الیقظان، والقاعد خیر من القائم، والقائم فیها خیر من الساعی، والساعی خیر من الراکب، فاغمدوا سیوفکم حتّی تنجلی هذه الفتنه.

وکان أبو موسی قد أمر أهل الکوفه بعدم مناصره أمیر المؤمنین علیه السّلام، وقال للنّاس:

أمّا سبیل الآخره ففی أنْ تلزموا بیوتکم، وأمّا سبیل الدنیا فالخروج مع من أتاکم- یعنی عمّار بن یاسر ومحمّد بن أبی بکر - فأطاعوه فی ذلک(۲)، ثمّ قال أبو موسی: فثبطوا أیّها الناس، واجلسوا فی بیوتکم إلاّ عن قتله عثمان بن عفان(۳)!! وبذلک قام أبو موسی

۱- تاریخ الطبری: ۵/۵۱۲.

۲- الامامه والسیاسه: ۱/۶۲.

۳- تاریخ الطبری: ۵/۵۱۴.

ومشی ودخل فی الفتنه التی نهی عنها الناس من أخمص قدمیه حتی أَذنیه، کما دعا الناس لنصره عائشه.

خطبه عمّار بن یاسر

فقام عمّار بن یاسر، فحمد الله وأثنی علیه، ثمّ قال:

أیّها الناس، إنّ أبا موسی ینهاکم عن الشخوص إلی هاتین الجماعتین، ولعمری ما صدق فیما قال، وما رضی الله من عباده بما ذکر، قال عزّ وجلّ:

{وَإِنْ طَائفَتَیانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَی الأُخْرَی فَقَاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلَی أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا}(۱).

وقال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّی لاَ تَکُونَ فِتْنَهٌ وَیَکُون الدِّینُ للهِ}(۲) فلم یرضَ من عباده بما ذکر أبو موسی من أنْ یجلسوا فی بیوتهم ویخلّوا بین الناس، فیسفک بعضهم دماء بعض، فسیروا معنا إلی هاتین الجماعتین واسمعوا من حججهم، وانظروا من أولی بالنصره فاتبعوه، فإنْ أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورین وقد قضیتم حقّ الله، وإنْ بغی بعضهم علی بعض نظرتم إلی الفئه الباغیه فقاتلتموها حتّی تفیء إلی أمر الله، کما أمرکم الله وافترض علیکم(۳)

۱- سوره الحجرات الآیه: ۹.

۲- سوره البقره الآیه: ۱۹۳.

۳- الامامه والسیاسه: ۱/۶۳.

كتاب الامام عليه السّلام إلى أهل الكوفه

أمّا بعد: فإنّى أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سامعه كمن عاينه، إنّ الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلًا من المهاجرين أقلّ عيبه وأكثر استعتابه – إزاله سبب عتبه ومحاوله إرضائه- وكان هذان الرجلان طلحه والزبير أهون سيرهما فيه اللهجه(۱) والوجيف، وكان من عائشه فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، وبايعنى الناس غير مستكرهين، وهما أوّل من بايعنى على ما بويع عليه من كان قبلى، ثمّ استأذنا إلى العمره فأذنت لهما، فنقضا العهد، ونصبا الحرب، وأخرجا أمَّ المؤمنين من بيتها ليتّخذاها فتنه، وقد سارا إلى البصره، اختياراً لأهلها، ولعمرى ما أياى تجيبون، ما تجيبون إلّا الله. وقد بعثت ابنى الحسن، وابن عمّى عبد الله بن عبّاس، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد، فكونوا عند ظنّنا بكم، والله المستعان(۲).

كتاب أمّ المؤمنين أمّ سلمه (رضوان الله عليها)

وروى المؤرّخون(۳) أنَّ الامام عليّاً عليه السّلام بعد أنْ اتسّقت له الأمور سار بمن تبعه قاصداً الكوفه، وفى الطريق ورد عليه كتاب أمّ سلمه، وكتاب من أمّ الفضل بنت الحارث،

تخبرانه بأمر طلحه والزبير وعائشه وخروجهم إلى البصره.

۱- اللسان والاغراء.

۲- الامامه والسياسه: ۱/۶۳.

۳- مروج الذهب، المسعودى:۲ /۳۵۸ . وانظر تاريخ الطبرى : ۳/۴۷۰.

نصّ الكتاب

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أمّ سلمه بنت أبى أميّه، سلام عليک ورحمه الله وبركاته.

أما بعد: فإنَّ طلحه والزبير وعائشه وبنيها بنى السوء وشيعه الضلال خرجوا مع ابن الجزّار عبد الله بن عامر إلى البصره، يزعمون أنَّ عثمان بن عفّان قتل مظلوماً وأنَّهم يطلبون بـدمه، والله كافيكم وجاعل دائره السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله، لو لا ما نهى الله عزّوجلّ عنه من خروج النساء من بيوتهن، وما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله عند وفاته، لشخصت معک، ولكنْ بعثت بأحبّ الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وإليک ابنى عمر، والسلام.

وكان لعمر بن أبى سلمه فضل وعباده وعقل(١).

كتاب أمّ الفضل بنت الحارث

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أمّ الفضل بنت الحارث.

أما بعـد: فإنَّ طلحه والزبير وعائشه قد خرجوا من مكّه يريدون البصـره، وقد اسـتنفروا الناس إلى حربک، ولم يخف معهم إلاّ من كان فى قلبه مرض، ويد الله فوق أيديهم. والسلام(٢).

كتاب زيد بن صوحان إلى عائشه

كتبت عائشه إلى زيد بن صوحان كتاباً طلبت فيه أنْ يثبّط الناس عن عليّ، وأنْ

١- الفتوح: ٢/٤٥٥- ٤٥٦.

٢- الفتوح: ٢/٤٥٦.

يكون فى مكانه حتّى يقدمون عليه أو يأتيه أمرها، فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشه أمّ المؤمنين، سلام عليك.

أما بعد: فإنّك أُمرتِ بأمر وأُمرنا بغيره، أُمرتِ أنْ تقرّى فى بيتك، وأُمرنا أنْ نقاتل حتّى لا تكون فتنه، فتركت ما أُمرتِ به، وكتبتِ تَنْهينا عمّا أُمرنا به، والسلام(١).

ثأركم على أعجاز الإبل

خرج مروان بن الحكم مع عائشه وطلحه والزبير إلى البصره، ولقيهم سعيد بن العاص وجماعه من الأمويّين الذين هربوا من المدينه بعد مقتل عثمان، وبيعه الامام علىّ عليه السّلام، ودار حوار بين سعيد و مروان، وسعيد وطلحه والزبير، فاعتزل سعيد ومن معه، وهربوا إلى الشام.

قال سعيد لمروان:

أينْ تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل - يعنى طلحه والزبير

١- العقد الفريد: ٤/٣١٧- ٣١٨. وروى الطبرى بسنده عن أبو مخنف عن مجالد بن سعيد قال: لما قدمت عائشه رضى الله عنها البصره، كتبت إلى زيد بن صوحان من عائشه ابنه أبى بكر أم المؤمنين حبيبه رسول الله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن على. فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشه ابنه أبى بكر الصديق حبيبه رسول الله أما بعد فأنا ابنك الخالص؛ إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا أول من نابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه. الطبرى: ٣/٢٢.

وعائشه-؟!

قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتله عثمان جميعاً.

وخلا سعيد بطلحه والزبير، فقال: إنْ ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقانی.

قالا: لأحدنا أيّنا اختاره الناس.

قال: بل اجعلوه لولد عثمان، فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم(۱)؟!

ثمَّ لمّا كانت وقعه الجمل رمى مروان بن الحكم طلحه بسهم مسموم فأصاب ركبته، ثم مات بسببه، وقال مروان: لا أطلب بعد هذا اليوم بثأر عثمان(۲).

أهل الجمل: التخطيط والتحرّک

واجتمع طلحه والزبير وعائشه وأجمعوا على المسير من مكّه، وأتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم إلى البصره، ووعدهم الرجال والأموال.

فقال سعيد بن العاص لطلحه والزبير:

إنَّ عبد الله بن عامر قد فرّ من أهلها - أىْ البصره - فرار العبد الآبق وهم فی طاعه عثمان، ويريد أنْ يقاتل بهم عليّاً وهم فی طاعه عليّ، وخرج من عندهم أميراً، ويعود إليهم طريداً، وقد وعدكم الرجال والأموال، فأمّا الأموال فعنده، وأمّا الرجال فلا رجل. ثمّ استقرّ رأيهم على المسير إلى البصره.

۱- تاريخ الطبری: ۵/۴۷۸-۴۷۹.
۲- أنساب الأشراف، البلاذری: ۳/۴۳.

اطمئنان مروان من علی

وذکروا أن مروان بن الحکم لما بویع علی هرب من المدینه، فلحق بعائشه بمکه.

فقالت له عائشه: ما وراءک؟ فقال مروان: غلبنا علی أنفسنا. فقال له رجل من أهل مکه: إیاک وعلیا فقد طلبک، ففر من بین یدیه. فقال مروان:لم؟ فوالله ما یجد إلی سبیلاـ أما هو فقد علمت أنه لا یأخذنی بظن، ولا ینصب إلا علی الیقین، وایم الله ما أبالی إذا قصر علی سیفه ما طال علی من لسانه. فقال الرجل: إذا أطال الله علیک لسانه طال سیفه. قال مروان: کلا إن اللسان أدب، والسیف حکم(۱).

مروان والبیعه لطلحه والزبیر

وأشار مروان بن الحکم علی طلحه والزبیرأنْ یدعوا الناس إلی البیعه، فقال لهما:

أیّها الشیخان، ما یمنعکما أنْ تدعوا الناس إلی بیعه مثل بیعه علیّ، فإنْ أجابوکما عارضتماه ببیعه کبیعته، وإنْ لم یجیبوکما عرفتما ما لکما فی أنفس الناس.

فقال طلحه: یمنعنا أنَّ الناس بایعوا علیّاً بیعه عامّه، فبم ننقضها؟

وقال الزبیر: ویمنعنا أیضاً من ذلک:

۱- تثاقلنا عن نصره عثمان.

۲- وخفّتنا إلی بیعه علیّ.

ورجع سعید بن العاص إلی من-زله، واجتمعت کلمتهم علی المسیر.

قال طلحه للزبیر: إنّه لیس شیء أنفع ولا أبلغ فی استماله أهواء

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه الدینوری، تحقیق الشیری: ۱/۷۳.

الناس من أنْ نُشخص لعبد الله بن عمر، فأتياه فقالا: يا أبا عبد الرحمن، إنّ أَمّنا عائشه خفّت لهذا الأمر رجاء الإصلاح بين الناس، فاشخص معنا فإنّ لك بها أُسوه، فإنْ بايعنا الناس فأنت أحقّ بها.

فقال ابن عمر: أيّها الشيخان، أتريدان أنْ تخرجانى من بيتى، ثمَّ تلقيانى بين مخالب ابن أبى طالب؟ إنّ الناس إنّما يُخدعون بالدينار والدرهم(۱).

وقدم عليهم من اليمن يعلى بن منبه، وكان عاملاً ـ لعثمان، فأخرج أربعمائه بعير، ودعا إلى الحملان، فقال الزبير: دعنا من إبلك هذه، واقرضنا من هذا المال، فأقرض الزبير ستين ألفاً، وأقرض طلحه أربعين ألفاً(۲).

فقال الوليد بن عقبه: إنّ عثمان بن عفّان قد كان استعان بمعاويه لينصره وقد حوصر فلم يفعل، وتربّص حتّى قتل؛لذلك يتخلص له الشام، أفتطمع أنْ يسلمها إليكم؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم بغيرها. ثمّ اعتزلهم الوليد بن عقبه وأَنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

قولا لطلحه والزبير خطئتما

بقتلكما عثمان خير قتيل(۳)

كتب أهل الجمل إلى البصره

ولمّا استقرّ رأى طلحه والزبير ومن شايعهم على التوجّه إلى البصره، سأل الزبير

۱- الامامه والسياسه: ۱/۵۷.

۲- الامامه والسياسه:۱ /۵۷.

۳- الفتوح: ۲/۴۵۳.

عبد الله بن عامر عن رجال البصره؟ قال:

ثلاثه، كلّهم سيّد مطاع، كعب بن مسوّر، والمنذر بن ربيعه، والأحنف بن قيس. فكتب طلحه والزبير إلى هؤلاء يُعلمانهم بقدومهما إلى البصره طالبين بدم الخليفه المظلوم، يحثانهم على النصره. والقتال معهما للثأر.

فلمّا وصلت كتبهما إلى القوم، قام زياد بن مضر، والنعمان بن شوال، وغزوان، فقالوا:

ما لنا ولهذا الحيّ من قريش؟ أيريدون أنْ يخرجونا من الإسلام بعد أنْ دخلنا فيه، ويدخلونا في الشرك بعد ما خرجنا منه؟! قتلوا عثمان، وبايعوا عليّاً، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم(۱).

كتاب كعب بن مسور

وكتب كعب إلى طلحه والزبير:

أما بعد: فإنّا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان، فجاء أمر الغير فيه بالسيف، فإنْ يك عثمان قُتل ظالماً، فما لكما وله؟ وإنْ كان قتل مظلوماً، فغيركما أولى به. وإنْ كان أمره أشكل على من شهده، فهو على من غاب عنه أشكل.

كما وكتب أيضاً الأحنف بن قيس، وأشار المنذر في كتابه إليهما إلى أنّ عثمان

(قد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، وبدا لكم هذا الرأي؟).

فلمّا «قرآ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا»(۲).

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه، تحقيق شيرى: ۱/۸۰.

۲- الامامه والسياسه : ۱/۵۸.

کلمه لعبد الله بن خلف

أتی عبد الله بن خلف طلحه والزبیر قبل مسیرهما إلی البصره، فقال لهما: إنّه لیس أحد من أهل الحجاز کان منه فی عثمان شیء إلّا وقد بلغ أهل العراق. وقد کان منکما فی عثمان من التجلیب والتألیب ما لا یدفعه جحود، ولا ینفعکما فیه عذر، وأحسن الناس فیکم قولاً من أزال عنکما القتل وألزمکما الخذل. وقد بایع الناس علیّاً بیعه عامّه، والناس لاقوکم غداً، فما تقولان؟

فقال طلحه:

نُنکر القتل، ونقرّ بالخذل، ولا ینفع الإقرار بالذنب إلّا مع الندم علیه، ولقد ندمنا علی ما کان منّا.

وقال الزبیر:

بایعنا علیّاً والسیف علی أعناقنا، حیث تواثب الناس بالبیعه إلیه دون مشورتنا، ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علینا الدیّه، ولا عمداً فیجب القصاص.فقال عبد الله بن خلف: عذرکما أشد من ذنبکما(۱).

قتله عثمان معک

ولمّا نزل طلحه والزبیر وعائشه ب- (أوطاس) من أرض خیبر، أقبل علیهم سعید بن العاص ومعه المغیره، فنزل وتوکّأ فأتی عائشه، فقال - سعید بن العاص- لها:

أین تریدین یا أمّ المؤمنین؟

قالت: أرید البصره. قال: وما تصنعین بالبصره؟

قالت: أطلب بدم عثمان!

قال: فهؤلاء قتله عثمان معک. ثمّ أقبل علی مروان فقال له: وأنت أین ترید أیضاً؟ قال: البصره.

۱- الامامه والسیاسه: ۱/۵۹.

قال: وما تصنع بها؟

قال: أطلب قتله عثمان.

قال: فهؤلاء قتله عثمان معک، إنَّ هذين الرجلين – طلحه والزبير– قتلا عثمان.

وسبق أنْ أشرنا إلی قول سعيد بن العاص حول قتله عثمان، وأنّهم علی أعجاز الإبل، وإنّ مروان خارج معهم لعلّه يثأر لعثمان، وفعلاً إنّه رمی طلحه وأصابه بسهم.

ثم إنّ المغيره قال لهم:

إنْ كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان(۱).

طلحه وأهل البصره

ولمّا نزل أهل الجمل البصره، خطب طلحه بالناس، فقال:

يا أهل البصره، توبه بحوبه – والحوبه الهم والحزن(۲) إنّما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله، فغلب السفهاء الحكماء حتّی قتلوه.

فقال الناس لطلحه: يا أبا محمّد، قد كانت كتبک تأتينا بغير هذا من ذمه والتحريض علی قتله.

ثمّ أتی عبد الله بن حكيم التميمی بكتب كتبها طلحه إليهم يؤلّبهم فيها علی عثمان، فقال له حكيم:

۱– الامامه والسياسه: ۱/۶۰.

۲– لسان العرب: ج۳/۳۷۵.

أتعرف هذه الكتب؟

قال: نعم.

قال: فما حملك على التأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم؟

فقال: لم أجد فی أمر عثمان شيئاً إلاّ التوبه والطلب بدمه(۱).

الناكثون و والی البصره

ولمّا قرب أهل الجمل من البصره، خرج إليهم عثمان بن حنيف الأنصاری - وهو والی الامام عليه السّلام علی البصره - فی شيعه علیّ بن أبی طالب رضوان الله عليه، وهَمَّ بمحاربتهم، ثم إنّه كره القتال، ومشی بعضهم إلی بعض وسألوا الصلح إلی أنْ يقدم علیّ بن أبی طالب رضوان

الله عليه، علی أنْ يكون المال ودار الأماره فی يد عثمان بن حنيف، فرضی الطرفان بذلك وكتبوا بينهم كتاباً(۲).

وفی (أنساب الأشراف) و (الطبری) وغيرهما، إنّه قد نشبّ بينهما قتال، وكثرت القتلی، فجنحوا إلی الصلح والموادعه وكتبوا كتاب الصلح بينهم(۳).

۱- أنساب الأشراف، البلاذری: ۳/۲۸.

۲- الفتوح، ابن أعثم الكوفی: ۲/۴۵۸.

۳- يراجع أنساب الأشراف ج۳ /۲۶، وتاريخ الطبری: ج۵/۴۹۴.

نصّ كتاب الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه طلحه والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين.

إنّ عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما فى يده، وإنّ طلحه والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما فى أيديهما، حتّى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن مسور من المدينه، ولا يضارّ واحد من الفريقين الآخر فى مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضه، بينهم عيبه مفتوحه حتّى يرجع كعب بالخبر، فإنْ رجع بأنّ القوم أكرهوا طلحه والزبير فالأمر أمرهما، وإنْ شاء عثمان خرج حتّى يلحق بطيته، وإنْ شاء دخل معهما. وإنْ رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان، فإنْ شاء طلحه والزبير أقاما على طاعه عليّ، وإنْ شاء اخرجا حتّى يلحقا بطيتهما، والمؤمنون أعوان الفالح منهما(١).

ومن خلال السياق للمنقول التاريخى فى (أنساب الأشراف) و (الامامه والسياسه) و (الفتوح) يُرجّح أنْ يكون ما أورده البلاذرى وابن قتيبه الدينورى هو الأصح وما يتناسب وسير الأحداث، وما كان من نقض الصلح من قبل أهل الجمل وهجومهم على عثمان بن حنيف ومن كان يصلّى معه، وقتل حرّاس بيت المال، وما فعلوا بعثمان بن حنيف حيث نتفوا شعره، وضربوه ثمّ حبس. ولم يذكر البلاذرى أنّه أُرسل إلى عليّ عليه السّلام كتاب، بل إنّهم ينتظرون قدومه عليه السّلام.

١- تاريخ الطبرى: ٥/۴٩۶.

قال ابن قتيبه:

إنّه لمّا اختلف القوم اصطلحوا على أنّ لعثمان بن حنيف دار الإماره ومسجدها وبيت المال، وأنْ ين-زل أصحابه حيث شاءوا من البصره، وأنْ ين-زل طلحه والزبير وأصحابهما حيث شاءوا حتّى يقدم عليّ، فإنْ اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإنْ تفرقوا يلحق كلّ قوم بأهوائهم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمه نبيّه، وأُشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً.

فانصرف عثمان، فدخل دار الإماره، وأمر أصحابه أنْ يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم، وافترق الناس(١).

نقض العهد

وتناظر طلحه والزبير، فقال طلحه: والله، لئن قدم عليّ البصره ليأخذن بأعناقنا. فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطآ أصحابهما على ذلك، حتّى إذا كانت ليله ريح وظلمه جاءوا إلى ابن حنيف وهو يصلى بالناس العشاء الآخره، فأخذوه وأمروا به فوطئ وطأً شديداً، ونتفوا لحيته وشاربيه، فقال لهما:

إنّ سهلاً حيّ بالمدينه، والله لئن شاكنى شوكه ليضعنَّ السيف فى بنى أبيكما - يخاطب بذلك طلحه والزبير- فكفّا عنه وحبساه(٢).

١- الامامه والسياسه: ١/٦٥.

٢- أنساب الأشراف: ٣/٢٦

الإغاره على بيت المال

إنّ طلحه والزبير بعثا عبد الله بن الزبير فی جماعه إلی بیت المال، وعلیه قوم یکونون أربعین، ویقال:

أربعمائه، فامتنعوا من تسلیمه دون قدوم علیّ، فقتلوهم ورئیسهم أبا سلمه الزّطی، وكان عبداً صالحاً(۱).

وقد قتل أیضاً قبل یوم الجمل حكیم بن جبله فی سبعین من قومه، وقتل أخوته الثلاثه؛ لأنّه عاهد عثمان بن حنیف أنّ دمه مضمون ولو لم یكن أمیراً علیهم لوجب ذلك علیه لمكانته من الرسول صلی الله علیه وآله، وكان یحثّ قومه علی قتال أهل الجمل(۲).

۱- أنساب الأشراف: ۳/۲۶.

۲- الامامه والسیاسه: ۱/۶۵.

أهم إحداثات أهل الجمل:

۱- تأليب الناس فی مکّه وفی سواها علی الخلیفه علیّ بن أبی طالب، وإظهارهم نکث بیعته والتوجّه إلی البصره.

۲- التصرّف بأموال المسلمین التی هرب بها عبد الله بن عامر - والی عثمان سابقاً - من البصره.

۳- نقض کتاب الصلح الذی کتبوه مع عثمان بن حنیف والی الامام علیّ علیه السّلام علی البصره.

۴- ضرب عثمان بن حنیف ونتف شعره وحبسه.

۵- قتل حرّاس بیت المال فی البصره والاستیلاء علی ما فیه عنوهً وغدراً لما نقضوا ما اتفقوا علیه من انتظار قدوم علیّ علیه السّلام إلی البصره، ولکنّهم بیّتوا له وهجموا علی عثمان وهو یصلّی.

ومع کلّ ذلک وما صدر منهم، إلّا أنّ الامام علیّاً علیه السّلام أجّلهم ثلاثه أیّام، وکاتبهم وراسلهم وأرسل إلیهم من یحدّثهم ویذکرهم الألفه والجماعه وإنهما بایعا طائعین، ولم یحدث علیّ أمراً، ولم یخالف سُنّهً ولا کتاباً.

قراءه أخرى لمواقف أهل الجمل

الزبير:

قال الامام علىّ عليه السّلام:

يزعم أنه - يعنى الزبير - قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعه وادّعى الوليجه، فليأت عليها بأمر يُعرف، وإلاّ فليدخل فيما خرج منه(۱).

وخاطب طلحه والزبير قائلًا:

لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا- تخبرانى أىّ شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه، وأىّ قسم استأثرت عليكما به، أمْ أىّ حقّ دفعه إلىَّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه(۲)؟

فإنْ كنتما بايعتمانى طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإنْ كنتما بايعتمانى كارهين، فقد جعلتما لى عليكما السبيل بإظهاركما الطاعه وإسراركما المعصيه(۳).

ثم إنّ الامام عليّاً عليه السّلام يحدّد فى كلام له أسباب اجتماع الناكثين وخروجهم عليه، قال عليه السّلام:

۱- شرح النهج، محمّد عبده : ۱/۴۲.

۲- شرح النهج: ۱/۴۱۹.

۳- شرح النهج: ج ۲/۱۱۱.

ألاّ وإنّ الشيطان قد ذمر حزبه، واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه.

والله ما أنكروا عليّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم نصيبهم منه، ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعه إلاّ عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أُمّاً قد فطمت، ويحيون بدعه قد أُمِيتت(۱).

وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان(۲)، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينه، ثمّ يُلزم كلّ أمرئ بقدر ما احتمل(۳).

وأرسل الامام عليه السّلام ابن عبّاس إلى الزبير وأوصاه أنْ يقول له:

يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا(۴).

تصويره عليه السّلام لخروجهم عليه

فخرجوا يجرّون حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرّ الأمه عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصره، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس

۱- شرح النهج، ابن أبي الحديد: ۱/۳۰۳.
۲- انظر أنساب الأشراف: ۳/۲۵.
۳- شرح النهج، محمّد عبده: ۲/۱۱۱.
۴- شرح النهج، محمّد عبده: ۱/۷۶.

رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما، فى جيش ما منهم رجل إلّا وقد أعطانى الطاعه وسمع لى بالبيعه طائعاً غير مكره(۱).

ثمّ يخاطب طلحه والزبير قائلًا:

فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما فإنّ الآن أعظم أمركما العار، من قبل أنْ يجتمع العار والنار(۲).

وفى موضع آخر يشير إلى أنّه استتابهما وتأنّى حتّى بدء القتال معهم، فقال عليه السّلام:

ولقد استبتهما قبل القتال، واستأنيت بهما امام الوقاع، فغمطا النعمه وردّا العافيه(۳).

قتل جيش برجل

ويوضح الامام علىّ عليه السّلام ما فعلوا بشيعته وأنصاره، وما لقى واليه على البصره. ثمّ يؤكّد الامام عليه السّلام أنَّ له أنْ يقيدهم - بقتل جيش أهل الجمل كلّه - لقتلهم رجل مسلم بلا ذنب ولا جرم. فيقول عليه السّلام:

فقدموا على عاملى بها - أى البصره - وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفه صبراً، وطائفه غدراً.

فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلًا واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه،(لحل لى قتل ذلك الجيش كلّه)، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دَعْ ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين

۱- شرح النهج محمد عبده : ۱/۳۱۹.
۲- شرح نهج البلاغه : ۲ /۱۱۱.
۳- شرح النهج، محمّد عبده:۱ /۲۵۶.

مثل العدّه التی دخلوا بها علیهم(۱).

لقـد أتلعـوا أعنـاقهم إلی أمر لم یکونـوا أهله فَوقصوا دونه(۲). فعفـوت عـن مجرمکم، ورفعت السـیف عن مـدبرکم، وقبلت من مقبلکم(۳).

کتب الامام علیه السّلام لقاده حرب الجمل

کتابه إلی طلحه والزبیر:

أمّا بعـد: فقـد علمتم أنّی لم أرد الناس حتّی أرادونی، ولم أبایعهم حتّی أکرهونی، وأنتم ممّن أرادوا بیعتی، ولم تبایعوا (لسـلطان غالب، ولا لغرض حاضـر) ... ودفعکم هـذا الأمر قبل أنْ تدخلوا فیه کان أوسع لکم من خروجکم منه بعد إقرارکم، وأمّا قولکم: أنّی قتلت عثمـان بن عفّـان، فبینی وبینکم مَنْ تخلف عنّی وعنکم من أهـل المـدینه ثمّ یلزم کـلّ أمرئ بمـا یحتمـل، وهؤلاـء بنو عثمان بن عفّان فلیقرّوا بطاعتی ثمّ یخاصموا قتله أبیهم إلیّ.

وبعـد فما أنتم وعثمان قتل مظلوماً! کما تقولان، أنتما رجلان من المهاجرین، وقد بایعتمونی ونقضـتم بیعتی، وأخرجتم أمّکم من بیتها الذی أمرها الله تعالی أن تقرّ فیه – والله حسبکم– والسلام(۴).

ص: ۱۸۸

۱– شرح النهج، محمد عبده: ۱/۳۱۹.

۲– شرح النهج : ۲/۴۳۸.

۳– شرح النهج: : ۲/۳۶.

۴– الفتوح: ۲/۴۶۵.

كتاب الامام عليه السّلام إلى عائشه:

وكتب الامام عليّ - عليه السّلام- إلى عائشه:

أما بعد: فإنّك خرجت عاصيه لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس؟ تطالبين بدم عثمان، ولعمرى لمن عرّضك للبلاء وحملك على المعصيه أعظم إليك ذنباً من قتله عثمان وما غضبْتِ حتّى أغْضَبْتِ، وما هجْت حتّى هيّجتِ، فاتقى الله، وارجعى إلى بيتك(١).

وفى تاريخ ابن أعثم: فطلبتِ! - زعمتِ - بدم عثمان، وعثمان رجل من بنى أميّه وأنت امرأه من بنى تيم بن مرّه(٢).

وقد كتبت عائشه:

جلّ الأمر عن العتاب، والسلام(٣).

وإنّ طلحه والزبير قد أجاباه:

يا أبا الحسن، قد سرت مسيراً له ما بعده، ولست براجع وفى نفسك منه حاجه، ولست راضياً دون أنْ ندخل فى طاعتك، ونحن لا ندخل فى طاعتك أبداً، واقض ما أنت قاضٍ، والسلام(٤).

١- الامامه والسياسه: ١/٦٦- ٦٧.

٢- الفتوح: ٢/٤٦٥.

٣- الامامه والسياسه: ١/٦٧.

٤- الفتوح: ٢/٤٦٥- ٤٦٦.

خطبه الامام علیه السّلام یوم الجمل

وجمع الامام علیّ علیه السّلام الناس قبل نشوب القتال، فخطبهم خطبه بلیغه، وقال:

أیها الناس، إنّی قد ناشدت هؤلاء القوم کیما یرجعوا ویرتدعوا فلم یفعلوا ولم یستجیبوا، وقد بعثوا إلیّ أنْ ابرز إلی الطعان واثبت للجلاد،وقد کنت وما أهدد بالحروب ولا أدعی إلیها وقد أنصف القاره من راماها. ولعمری، لئن أبرقوا وأرعدوا فقد عرفونی ورأونی، ألا! وإنّ الموت لا یفوته المقیم ولا یعجزه الهارب، ومن لم یمت یقتل، وإنّ أفضل الموت القتل، والذی نفس علیّ بیده لألف ضربه بالسیف أهون علیّ من موته علی الفراش. ثم رفع یده إلی السماء وهو یقول: اللهمّ إنّ طلحه بن عبید الله أعطانی صفقه بیمینه طائعاً ثمّ نکث بیعته، اللهمّ فعاجله ولا تمیّطه. اللهمّ إنّ الزبیر بن العوام قطع قرابتی ونکث عهدی وظاهر عدّوی ونصب الحرب لی وهو یعلم أنّه ظالم، فاکفنیه کیف شئت وأنّی شئت(۱).

وقد سأل الناس الامام علیه السّلام بعد أنْ کلّم طلحه والزبیر، فقال علیه السّلام:

إنّ شأنهما لمختلف، أمّا الزبیر فقاده اللجاج، ولن یقاتلکم، وأمّا طلحه فسألته عن الحقِّ فأجابنی بالباطل، ولقیته بالیقین، ولقینی بالشکّ، فوالله ما نفعه حقّی، ولا ضرّنی باطله، وهو مقتول غداً فی الرعیل الأوّل(۲).

۱- الفتوح : ۲/۴۶۸.

۲- الامامه والسیاسه: ۲/۶۸۱.

لم يكونوا أنصار عثمان

وروى أنَّ الامام الحسن بن علىّ عليه السّلام خطب يوم الجمل وقبل التحام الجيشين - ردّاً على مزاعم ابن الزبير- فحدّد هويه من يقاتلون،وإنّهم أهل باطل وليسوا بأنصار عثمان بن عفّان، قال عليه السّلام:

فأمّا زعمه أنّ عليّاً قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأنّ أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتنى عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحه راكد رأيته على باب بيت ماله وهو حىّ، فإنَّ أعظم حجّه أبيه الزبير أنّه زعم أنّه بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعه، وأمّا تورّد أهل الكوفه على أهل البصره فما يعجب من أهل حقّ وردوا على أهل باطل، ولعمرى ما نقاتل (أنصار عثمان)، ولعلى أنْ يقاتل أتباع الجمل. والسلام(١).

معاويه والناكثون

لما بلغ معاويه بن أبى سفيان خروج الزبير وطلحه وعائشه كتب إلى الزبير محرضاً له ومظهراً تأييده له، بل يخبره أن بايع له، وقد جاء فى كتابه: «أما بعد فقد بايعت لك أهل الشام؛ فأجابوا واستوثقوا كما يستوثق الجلب؛ فدونك الكوفه والبصره لا يسبقك إليها ابن أبى طالب، فإنه لاشىء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحه بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان أظفركما الله، وخذل مناوئكما»(٢)؛ فمخيله معاويه فضائها رحب لايحد مكراً وغدراً، فإن

١- الفتوح: ٢/۴۶۶-۴۶٧.

٢- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد : ١/٢٣١.

ظهرا فهما أوهون علیه إذا ما أراد أن یواجههما، وإن غلبهما علی، فهو بـذلک کاسب الود القرشـی المضاد فی کلها لعلی. هکـذا کان یقرأ معاویه الأحداث نافذاً منها مؤلفاً بینها؛کی ینتهی بها أو تنتهی به إلی غایه یسعی إلیها (تولّی الأمر).

انصراف الزبير:

ولمّا لم يجد الامام عليه السّلام أيَّ تغير فى موقف أتباع الجمل، ورأى تعبأتهم وتهيّأهم للقتال، خرج فوقف بين الصفّين ثمّ نادى بأعلى صوته:

أين الزبير بن العوام؟، فليخرج إلى.

فقال الناس: يا أمير المؤمنينّ، أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج فى الحديد؟!

فقال رضوان الله عليه: ليس علىّ منه بأس، فامسكوا. قال: ثمّ نادى الثانيه أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إلى.

فخرج إليه الزبير، ونظرت عائشه فقالت:

واثكل أسماء! - زوج الزبير- فقيل لها: يا أمّ المؤمنين، ليس على الزبير بأس، فإنّ عليّاً بلا سلاح فأطمئنت(١).

ثم قال الامام علىّ عليه السّلام:

يا زبير، قف بنا حجزه، فتواقفا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال:

ويحك يا زبير، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لى: أما إنّ ابن عمّتك (أى الزبير) هذا سيبغى عليك ويريد قتالك ظالماً؟

١- الفتوح: ٢/٤٦٩.

قال الزبير: اللهمّ بلی، فخرج من العسکر متوجّهاً إلی المدینه، فقتله ابن جرموز بوادی السباع(۱).

وقد رویت هذه الحادثه بألفاظ مختلفه فی المصادر الأخری إلّا أنّها تتفق علی قول رسول الله- صلی الله علیه وآله- للزبیر: یا زبیر، إنّک تقاتل علیّاً وأنت له ظالم(۲).

الزبیر وعائشه:

ثمّ رجع الزبیر إلی عائشه وهی واقفه فی هودجها، فقالت:

ما وراؤک یا أبا عبد الله؟

فقال الزبیر: ورائی والله ما وقفت موقفاً قطّ، ولا شهدت مشهداً من شرک ولا إسلام إلّا ولی فیه بصیره، وأنّی الیوم لَعَلِّی فی شک من أمرک، وما أکاد أبصر موضع قدمی!

فقالت عائشه: لا والله، ولکنّک خفت سیوف ابن أبی طالب، أما إنّها طول حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلک(۳).

ولعبد الله بن الزبیر محاوره مع أبیه تضمّنت نفس المضمون والدلاله(۴).

الامام علی علیه السّلام وطلحه بن عبید الله:

ص: ۱۹۴

۱- أنساب الأشرف: ۳ /۴۹. (موضع الوادی بین البصره ومکه وعلی بعد خمسه أمیال من البصره). شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ۹ / ۱۱۴.

۲- الامامه والسیاسه:۱ /۶۸. ویراجع الفتوح:۲ /۴۶۹ - ۴۷۰.

۳- الفتوح:۲ /۴۷۰. شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید، ۲ / ۱۶۷.

۴- أنساب الأشراف : ۳/۵۲.

إنّ الامام عليّاً عليه السّلام نادى طلحه بعد انصراف الزبير، فقال:

يا أبا محمّد، ما جاء بك؟

قال: أطلب دم عثمان.

قال عليّ: قتل الله أولانا بدم عثمان(۱).

قال طلحه: فخلّ بيننا وبين من قتل عثمان، أما تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّما يحلّ دم المؤمن فى أربع خصال، زانٍ فيرجم، أو محارب لله، أو مرتد عن الإسلام، أو مؤمن قتل مؤمناً عمداً. فهل تعلم أن عثمان أتى شيئاً من ذلك؟

فقال عليّ: لا.

قال طلحه: فأنت أمرت بقتله.

قال عليّ: اللهم لا.

قال طلحه: فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين، فإنْ رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس، وإنْ رضوا غيرك كنت رجلًا من المسلمين.

قال عليّ: أولم تبايعنى يا أبا محمّد طائعاً غير مُكره؟ فما كنت لأترك بيعتى.

قال طلحه: بايعتك والسيف على عنقى.

قال عليّ:

ألم تعلم أنّى ما أكرهت أحداً البيعه، ولو كنت مُكرِهاً أحداً لأكرهت سعداً - ابن أبى وقّاص - وعبد الله بن عمر ومحمّد بن مسلمه، أبواالبيعه واعتزلوا، فتركتهم. ثمّ قال: إنما كان لكما ألاّ ترضيا قبل الرضى وقبل البيعه، وأمّا الآن فليس لكما غير ما رضيتما به، إلّا أنْ

۱- مروج الذهب، المسعودى: ۲/۳۶۴.

تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث، فإنْ كنت أحدثت حدثاً فسمّوه لی. وأخرجتم أمّكم عائشه وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أرضی هذا لرسول الله أنْ تهتكوا ستراً ضربه عليها، وتخرجوها منه؟

فقال طلحه: إنّما جاءت للإصلاح.

قال عليّ: هی لعمر الله إلی من يصلح لها أمرها أحوج. أيها الشيخ، اقبل النصح وارض بالتوبه مع العار قبل أنْ يكون العار والنار(۱).

وفی المسعودی: إنّ الامام عليّاً عليه السّلام قال لطلحه:

أما سمعت رسول الله صلی الله عليه وآله يقول: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»! وأنت أوّل من بايعنی ثم نكثت، وقد قال الله عزّ وجلّ: {وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}(۲).

فقال: أستغفر الله، ثمّ رجع.

فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحه، ما أُبالی رميت ههنا أم ههنا، فرماه فی أكحله فقتله(۳).

بدء القتال

إنّ الامام عليّاً عليه السّلام قبل بدء القتال مع أهل الجمل – وكانوا قد قتلوا أحد أصحابه – دعا بمصحف، ونادی فی أصحابه:

أيّها الناس، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلی ما فيه؟

۱– الامامه والسياسه: ۱/۷۰.

۲– سوره الفتح: ۱۰.

۳– مروج الذهب: ۲/۳۶۴–۳۶۵.

فوثب غلام من مجاشع يقال له مسلم، عليه قباء أبيض فقال:

أنا آخذه يا أمير المؤمنين،فقال له علىّ: يا فتى، إنّ يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى فتقطع، ثمّ تُضرب عليه بالسيف حتّى تقتل.

فقال الفتى: لا صبر لى على ذلك.

ثمّ نادى علىّ الثانيه والمصحف فى يده.

فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فهذا قليل فى ذات الله.

ثمّ أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء، هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم. قال: فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بشماله فقطعت، فاحتظن المصحف بصدره، فضرب على صدره حتّى قتل رحمه الله(۱).

فقال علىّ: الآن حلّ قتالهم.

وقالت أمّ الفتى - مسلم - بعد ذلك ترثيه:

لا هم إنّ مسلماً دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وأُمّهم قائمه تراهم يأتمرون الغىّ

لاتنهاهم قدخضبت من علق لحاهم(۲)

عدد من حضر وقعه الجمل

اختلفت المرويّات فى عدد جند الامام علىّ عليه السّلام، وعدد جند المرأه كما اختلفوا فى قتلى الفريقين أيضاً بين مقلّ ومكثر.

۱- الفتوح:۲ /۴۷۲-۴۷۳.

۲- تاريخ الطبرى : ۵ /۵۴۶.

وقد ذكروا أنّ من حضر مع الامام علیّ عشرون ألفاً، وأما عائشه فكانت فی ثلاثین ألفاً ویزیدون(۱).

بیعه أهل البصره

وبعد أنْ انتهت المعركه، دخل الامام علیّ علیه السّلام البصره، فبایعه أهلها علی رایتهم، حتّی الجرحی والمستأمنه، ثم إنّه علیه السّلام ولّی عبد الله بن عبّاس البصره(۲).

كتاب الامام علیه السّلام إلی عامله بالكوفه

وكتب علیّ بالفتح إلی عامله بالكوفه:

من عبد الله علیّ أمیر المؤمنین.

أما بعد: فإنّا التقینا فی النصف من جمادی الآخره بالخُرَیبَه - فناء من أفنیه البصره - فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنه المسلمین وقتل منّا ومنهم قتلی كثیره(۳).

ترحیل عائشه إلی المدینه

وأمر الامام علیّ علیه السّلام ابن عبّاس أنْ یذهب إلی عائشه، فیقل لها:

أنْ ترتحل إلی المدینه، وفعلاً جُهّزت، وأمر الامام علیّ علیه السّلام أنْ یُرسل معها أربعین امرأه - وفی روایه (سبعین)- وأنْ یتزیین بزی رجال، علیهم عمائم، فجعلت عائشه تقول فی طریقها: فعل بی علیّ

۱- الفتوح:۲ /۴۸۷.

۲- أنساب الأشراف : ۳ /۶۲.

۳- تاریخ الطبری: ۵/۵۷۹.

وفعل، ثمّ وجّه معی رجالاً یردّونی إلی المدینه! فسمعتها امرأه منهن فحرّکت بعیرها حتّی دنت منها ثمّ قالت: ویحکی یا عائشه، أما کفاک ما فعلت حتّی إنّک الآن تقولین فی أبی الحسن ما تقولین! ثّم تقدّمت النسوه وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشه، واستغفرت(۱).

وکان لبعض الصحابه - عمّار بن یاسر - محاوره وحدیث مع عائشه، وکذا إنَّ محمّد بن أبی بکر جاءها لائماً لما کان منها، وترکها لبیتها ومجیئها محاربه لأمیر المؤمنین علیه السّلام(۲).

ثم إنّ الامام علیّاً علیه السّلام بعد مبایعه أهل البصره له وتأمیره لعبد الله بن عبّاس علی البصره وزیاد علی خراجها، قصد الکوفه بمن معه.

۱- الفتوح: ۴۸۶/۲-۴۸۷.

۲- راجع تاریخ الیعقوبی، ومروج الذهب، وتاریخ الطبری (وقعه الجمل) حول محاورات عمّار ومحمّد بن أبی بکر وابن عبّاس مع عائشه.

سیره الامام علیه السّلام مع أهل الجمل

١- أنْ لا یحمل علی جریح.

٢- أنْ لا یُتبع هارب.

٣- أنْ لا تهاج امرأه.

۴- أن یأخذ السلاح الذی قوتل به، وما کتب علیه اسم السلطان یرجع إلی بیت المال.

۵- أن لا تُسبی النساء والأطفال.

ثمّ کانت سیرته حجّه اتبعها فقهاء المسلمین وعلماؤهم، حتّی قیل: لو لا قتال علیّ أهل القبله ما عرفنا حُکم قتالهم.

ومن خلال تتبّع المنقول التاریخی فی المصادر المختلفه یتحصل:

١) إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یحدث أمراً أو یبدل سُنّهً.

٢) لم یکتب له أو یحاججه أیّ من أهل الجمل قبل خروجهم علیه.

٣) ثبت من خلال أحداث ومواقف مختلفه أنّ أوّل من بایع الامام علیّاً علیه السّلام طلحه مختاراً لا مُکرها، وکذا الزبیر بن العوام لم یُکره علی البیعه.

۴) عدم إکراه الامام علیه السّلام لبعض الصحابه، کسعد بن أبی وقّاص، ومحمّد بن مسلمه، وزید بن حارثه، وغیرهم، ولم یُکره عبد الله بن عمر علی بیعته، دلیل یضاف علی عدم إکراه طلحه والزبیر.

۵) إنّ أصحاب الجمل لهم اليد الطولى فی مقتل الخليفه؛ لذا طلب الامام عليه السّلام منهم أنْ يقرّ له ولد عثمان باليعه ومن ثمّ يتحاكمون إليه، وإنّه سيقتصّ ممّن شرک فی دم عثمان بن عفّان.

۶) إنّ الامام عليه السّلام أتّهم قاده الجمل بقتل عثمان بن عفّان.

۷) لم يبدأ الامام القتال حتّى قتلوا جماعه من أصحابه وشيعته، وحتّى أعذر وأنذر، ولما لم يستجيبوا له قاتلهم؛ لأنّه كان يرى عدم قتالهم (كفر بما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله).

۸) وإنّ معاويه فی أحد كتبه إلى الامام علیّ عليه السّلام يقول:

(ولا حجّتک علیّ كحجتک على طلحه والزبير، كانا بايعاک فلم أبايعک أنا)(۱).

وفی قول معاويه تأكيد لبيعه طلحه والزبير، ومن يبايع ليس له أنْ ينقض إلّا بحدث من الخليفه أو تبديل، فيجوز خلعه ومبايعه غيره؛ وهذا ما لم يُشر إليه المنقول التاريخی.

۱- العقد الفريد: ۴/۳۳۳.

القاسطون

وقعه صفين

بعد مقتل قاده الجمل وما أصيبوا به من هزيمه نكراء، ومبايعه أهل البصره؛ توجه الامام على عليه السّلام إلى الكوفه بمن كان معه ممن خرجوا من المدينه أو التحقوا به عليه السّلام خلال مسيره إلى البصره؛ وعند دخوله الكوفه بدء بالتعبئه وحث المسلمين من مهاجرين وأنصار، وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لقتال القاسطين، معاويه وأهل الشام ومن انضم إليهم، وإنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذى أطلق عليهم هذه التسميه: "القاسطون ".

وقد أتضح سابقاً - خلافه عثمان - أن أحد الأسباب التى أثارت المسلمين على عثمان بن عفان، فساد ولاته وسوء تصرفاتهم، لذا كانت أولى خطوات الامام فى الإصلاح الإدارى أمر بعزل ولاه عثمان، وتوليه أكفاء وثقات بدلاً عنهم، ولم يعبأ بمشوره ابن عباس، والمغيره فى إبقاء معاويه على ولايه الشام وما حولها(١)، ثم كان عصيان معاويه واعتزاله بالشام وأهلها، وكان قد وليها أيام الخليفه الثانى عمر بن الخطاب بعد وفاه أخيه يزيد بن أبى سفيان(٢)، وكان معاويه خرج إلى الشام فى بدايه

١- ضم عثمان الأجناد الأربعه، يراجع: تاريخ اليعقوبى: ٢/١٢٧- ١٧٨، وتاريخ الطبرى (٨- مجلدات): ٢/ ٥٨٥، ٣/ ٩٨ . طبعه مؤسسه الأعلمى- بيروت.

٢- أسلم يزيد يوم فتح مكه (سنه ٨هجريه)، وتوفى بالطاعون عام (١٨هجرى) فى خلافه عمر بن الخطاب. شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، وفاته عام ٣٦٣ه-: ١/٨٨.

خلافه أبی بکر وبقی فیها إلی أن مات سنه(۶۰) هجریه، أی انه حین تولی الامام علی علیه السّلام الخلافه کان قد مضی علی وجوده فی الشام حوالی (۲۰) عاماً أو تزید علی ذلک، مما ساعده فی تقویه مرکزه وأن یأتلف أهل الشام، ولم یتولی علیهم غیره خلال هذه الفتره مما عمق وجذر وجوده فیها، ولذا کان الشامیون أهل طاعه وسمع له، ثم إنّه قد صاهرهم فقوی نفوذه فی الشام وامتدت سلطته إلی فلسطین وغیرهما.

ویضاف إلی ذلک قله مخالطه أهل الشام لأهل الأمصار، الحجاز وغیرها ولیس فیهم المهاجر ولا الأنصاری، ومعاویه من مسلمه الفتح، فصحب ذلک قله معرفه أهل الشام بکثیر من الأمور المتعلقه بالرساله وتفصیلاتها مما مهد لمعاویه أن ینفصل بها ویمتنع عن بیعه الخلیفه الشرعی الامام علی علیه السّلام، ومن ثم الخروج علیه وقتاله، ولم یجد معارضه من الشامیین، بل وجد التأیید والطاعه والانقیاد له، علماً أنه لیس من أهل السابقه ولا من المهاجرین، بل شارک قریش مع أبیه وأخوته فی حروبها ضد الرسول صلی الله علیه وآله حتی فتحت مکه عام (۸ هجریه).

ولم یکن معاویه یتورع عن اتخاذ أیه وسیله تمکنه من السیطره والاستیلاء علی السلطه والخلافه، حتی روی أنه قد دعا إلی بیعته بعد مقتل عثمان، وکان یشیع فی أهل الشام أن علی بن أبی طالب، لا یصوم ولایصلی، وأنه قتل عثماناً وألب علیه، حتی أن أحد رجالات الشام فی بدایه معرکه صفین إلتقاه هاشم المرقال وکان یسب الامام علیه السّلام والصحابه، وقال لهاشم أن صاحبکم لا یصوم ولا یصلی، وحاوره هاشم حتی رجع ذلک الشخص عما کان یتبناه، واتضح له أن الامام علیه السّلام ومن معه من أصحاب الرسول صلی الله علیه وآله هم أهل الحق وأن معاویه قد أغری وخدع أهل الشام.

كما كان من وسائل معاويه محاولته شراء الذمم، فقد كاتب الكثير ممن كانوا مع الامام على عليه السّلام يمنيهم ويغريهم، ففشل مع الأغلب منهم، ونجح مع البعض ممن كانت همته الدنيا، كالأشعث بن قيس وغيره.

وكان الامام على عليه السّلام فى بدء مكاتباته لمعاويه يدعوه وأهل الشام إلى كتاب الله تعالى، كما دعاه إلى أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون كافه، ومن ثم صرح له الامام عليه السّلام أن يحاكم قتله عثمان، ولم يكن هم معاويه إلاّ السلطه والتسلط، ولم يستنكر عليه أهل الشام أمراً؛ ولما كانت وقعه صفين ودارت رحى الحرب ضد معاويه وكاد أن يفر، لولا خديعه عمرو ابن العاص برفع المصاحف، واختلاف وافتراق أصحاب الامام على عليه السّلام.

وقد سميت «وقعه صفين» بذلك لأنها حدثت فى موضع - صفين- بقرب الرقه على شاطئ الفرات من الجانب الغربى(١)، شرقى بلاد الشام(٢). وقد حدثت فى غره صفر عام ٣٧ ه-.

أطراف الصراع:

- الامام على عليه السّلام الخليفه الشرعى، ومعاويه بن أبى سفيان والى عثمان على الشام.

- جيش الامام على عليه السّلام، يكون من المهاجرين والأنصار - صحابه النبى صلى الله عليه وآله- وأهل البصره واليمن والكوفه وغالبيه المسلمين وكان تعداد جيش الامام عليه السّلام بين (٩٠

١- معجم البلدان، ياقوت الحموى: ٣/٥٧١.

٢- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٢٦٨.

-۱۲۰) ألف مقاتل. وقتل منهم خمسه وعشرون ألفاً، منهم سته وعشرون رجل من أهل بدر(۱).

- جيش معاويه (القاسطون): وكان أغلبه من أهل الشام وبعض قبائل اليمن الذين نزلوا الشام ولم يكن فيه إلّا مسلمه بن مخلد والنعمان بن بشير من الأنصار، ولم يذكر المؤرخون مشاركه لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله مع معاويه بن أبى سفيان.

وكان تعداد جيشه بين (۸۵ - ۹۰) ألف مقاتل(۲). وقد قتل فى المعركه منهم خمسون وأربعون ألفا.

ويذكر اليعقوبى أنه كان مع على من أهل بدر سبعون رجلاً ومن بايع تحت الشجره سبعمائه رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائه رجل.

قميص عثمان:

ولما قتل عثمان بن عفان، كتبت نائله بنت الفرافصه - زوج عثمان- إلى معاويه تخبره بكيفيه قتل عثمان وما آل إليه أمره، ثم أرسلت النعمان بن بشير الأنصارى إلى معاويه بقميص عثمان وعليه دمه، وعقدت شعر لحيته فى زر قميصه(۳)، ولما وصل النعمان إلى معاويه، جعل معاويه القميص على المنبر فى مسجد دمشق وجمع حوله أهل الشام وتباكى وأبكاهم مطالباً بدم الخليفه المقتول واشتد أهل الشام على معاويه

۱- معجم البلدان: ۳/۵۷۱.

۲- تاريخ المسعودى: ۳/۳۷۵، ويراجع البدايه والنهايه: ۷/۲۷۲.

۳- الامامه والسياسه: ۱/۴۵.

فدعوه للثأر والمطالبه بدم الخليفه وقتل من ساهم فی قتله(۱).

سیر الأحداث:

مبعوث الامام علیه السّلام إلی معاویه

لقد أرسل الامام علی علیه السّلام جریر البجلی إلی معاویه، وقال له:

أیت معاویه بکتابی فإن دخل فیما دخل فیه المسلمون وإلّا فانبذ إلیه، وأعلمه أنی لا أرض به أمیراً، وأن العامه لا ترضی به خلیفه.

فانطلق جریر حتی أتی الشام ونزل بمعاویه – فدخل علیه – وأخبره باجتماع الناس من أهل الحرمین ومصر وأهل الحجاز، والیمن وأهل العروض وعمان والبحرین والیمامه، فلم یبق إلاّ أهل هذه الحصون التی أنت فیها، لو سال علیها سیل من أودیته غرقها. ومن ثم قال جریر لمعاویه: وقد أتیتک أدعوک إلی ما یرشدک ویهدیک إلی مبایعه هذا الرجل. ودفع إلیه کتاب علی ابن أبی طالب(۲).

نص کتاب الامام علی علیه السّلام لمعاویه؛ وقد أرسله إلیه بعد وقعه الجمل:

بسم الله الرحمن الرحیم

أما بعد: فإن بیعتی بالمدینه لزمتک وأنت فی الشام؛ لأنه بایعنی القوم الذین بایعوا أبا بکر وعمر وعثمان. فلم یکن للشاهد أن یختار، ولا للغائب أن یرد.

وإنما الشوری للمهاجرین والأنصار، فإذا اجتمعوا علی رجل فسموه

۱– وقعه صفین، نصر بن مزاحم:۳۲.

۲– تاریخ الطبری: ۵/۶۰۰.

اماماً کـان ذلـک لله رضـا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه ردوه إلی ما خرج منه! فإن أبی قاتلوه علی اتباعه غیر سبیل المؤمنین، وولاه الله ما تولی ویصلیه جهنم وساءت مصیرا.

وإن طلحه والزبیر بایعانی ثم نقضا بیعتی؛ فجاهدتهما علی ذلک حتی جاء الحق وظهر أمر الله وهم کارهون.

فادخل فیما دخل فیه المسلمون؛ فإن أحب الأمور إلیّ فیک العافیه، إلاّ أن تتعرض للبلاء ...

وقـد أکثرت فی قتله عثمان فادخل فیما دخل فیه المسـلمون، ثم حاکم القوم إلی أحملک وإیاهم علی کتاب الله، فأما تلک التی تریدها فخدعه الصبی عن ثدی أمه، ولعمری لئن نظرت بعقلک دون هواک لتجدنی أبرأ قریش من دم عثمان(۱).

واعلم أنک من الطلقاء الذین لا تحل لهم الخلافه، ولا تعرض فیهم الشوری.

وقد أرسلت إلیک وإلی من قبلک جریر بن عبد الله وهو من أهل الإیمان والهجره، فبایع ولا قوه إلاّ بالله(۲).

وروی ابن أعثم، إنّ الامام علی علیه السّلام أرسل الحجاح بن عمر بن غزیه الأنصاری إلی معاویه بکتاب، فلما دخل علی معاویه قال له:

أظنک ممن قتل عثمان بن عفان!

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه، تحقیق د. طه الزینی: ۱/۸۵.

۲- وقعه صفین: ۲۹.العقد الفرید : ۴/۳۳۴-۳۳۳، ویراجع الفتوح: ابن أعثم: ۲/۵۰۶.، للمقارنه بین نص الکتاب فیهما.

فقال الأنصاری: وأظنك یا معاویه ممن استنصره عثمان فلم ینصره ولکن خذله وقعد عنه، فغضب معاویه وقال: ارجع إذاً لصاحبک بغیر جواب فإن رسولی فی أثرک إن شاء الله تعالی(۱). وقیل أن معاویه أرسل کتاباً للامام علی علیه السّلام لم یضمنه إلّا بسم الله الرحمن الرحیم.

ص: ۲۰۸

۱- الفتوح : ۲/۴۹۸-۴۹۵.

مبايعه أهل الشام

لما ورد على معاويه النعمان بن بشير بكتاب (نائله بنت الفرافصه): قال أهل الشام لمعاويه:

هو ابن عمك – أى عثمان – وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بـدمه، فبايعوه أميراً عليهم، وكتب وبعث الرسل إلى كور – مـدن – الشام، وكتب إلى شرحبيل بن السمط الكندى وهو بحمص. يأمره أن يبايع له بحمص كما بايع له أهل الشام، فلما قرأ شرحبيل كتـاب معـاويه دعـا أناسـاً من أشـراف أهـل حمص؛ فقـال لهم: ليس من قتـل عثمان بأعظم جرماً ممن بايع لمعاويه أميرا، وهـذه سقطه، ولكنـا نبـايع له بالخلافه، ولا نطلب بـدم عثمـان مع غير خليفه؛ فبـايع هو وأهـل حمص لمعـاويه بالخلافه – مع أن البيعه الشرعيه كانت سابقه من أهل الحل والعقد لعلى فى المدينه – ثم كتب إلى معاويه: أما بعد:

فإنـك أخطـأت خطـأ عظيماً حين كتبت إلى أن أبايع لك بالإمره، وإنك تريـد أن تطلب بـدم الخليفه المظلوم وأنت غير خليفه، وقـد بايعت ومن قبلى لك بالخلافه(۱)؛ فلما قرأ معاويه كتابه سره ذلك، ودعا الناس، وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل، ودعاهم إلى بيعته بالخلافه، فأجابوه، ولم يتخلف منهم أحد، فلما بايع القوم له

۱– وكان ذلك أواخر عام (۳۵) وبدايه عام (۳۶).

بالخلافه، واستقام له الأمر، کتب إلی علی(۱).

کتاب معاویه

سلام الله علی ما اتبع الهدی. أما بعد، فإن کنا نحن وإیاکم یداً جامعه، وألفه ألیفه، حتی طمعت یابن أبی طالب فتغیرت، وأصبحت تعد نفسک قویاً علی من عاداک، بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقی الفسطاط (أهل مصر) وغوغاء السواد وأیم الله لینجلین عنک حمقاها، ولینقشعن عنک غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء؛ قتلت عثمان بن عفان، ورقیت سلماً أطلعک الله علیه مطلع سوء علیک لا لک. وقتلت الزبیر وطلحه، وشردت بأمک عائشه، ونزلت بین المصریین (البصره والکوفه) فمنیت وتمنیت، وخیل لک أن الدنیا قد سخرت لک بخیلها ورجلها وأن تعرف أمنیتک لو قد زرتک فی المهاجرین من أهل الشام بقیه الإسلام، فیحیطون بک من ورائک، ثم یقضی الله علمه فیک، والسلام علی أولیاء الله(۲).

کتاب الامام علیه السّلام لمعاویه

أما بعد، فقدر الأمور تقدیر من ینظر لنفسه دون جند، ولا یشتغل بالهزل من قوله، فلعمری لئن کانت قوتی بأهل العراق، أوثق عندی من قوتی بالله ومعرفتی به؛فلیس عنده بالله یقین من کان علی هذا، فناج نفسک مناجاه من یستغنی بالجد دون الهزل، فإن فی القول

۱- الامامه والسیاسه: ۱/۷۴.

۲- الامامه والسیاسه: ۱/۷۴-۷۵.

سعه، ولن يعذر مثلك فيما طمع إليه الرجال.

وأما ما ذكرت من أنا وإياكم يداً جامعه فكنا كما ذكرت، ففرق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله منا، فآمنا به وكفرتم، ثم زعمت أني قتلت طلحه والزبير، فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره، ولو حضرته لعلمته، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك، وزعمت أنك زائرى فى المهاجرين، وقد انقطعت الهجره حين أسر أخوك، فإن يك فيك عجل فاسترقه – تأنّ واسترح – وإن أزرك فجدير أن يكون الله بعثنى عليك للنقمه منك، والسلام(١).

كما كتب معاويه إلى الامام عليه السّلام يذكر فيه أن الله اصطفى نبيه وجعله الأمين على وحيه، وإن الله اختار من المسلمين له أعوانا، وذكر فيه أنه كان أفضلهم وأنصحهم لله ولرسوله الخليفه وخليفه الخليفه، والخليفه الثالث، ويشير معاويه فى كتابه إلى أنّ الامام عليه السّلام قد حسدهم، وبغى عليهم، ويعلل معاويه ذلك بقوله: (عرفنا ذلك فى نظرك الشزر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء...).

فأجابه الامام على عليه السّلام بكتاب ضمنه صدق وعد الله سبحانه للرسول صلى الله عليه وآله بالنصر وتمكينه فى البلاد، كما ذكر أن الله أظهره على الأعادى من قومه – تعريض بمعاويه وبنى أميه، فهم قاده الأحزاب- الذين أظهروا له التكذيب، وألبوا عليه العرب، ونابذوه بالعداوه، وظاهروا على إخراجه وإخراج اصحابه، وخربوا الأحزاب، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وذكرت أن الله أختار من المسلمين أعواناً أيده بهم، فكانوا فى منازلهم عنده على

١- الامامه والسياسه: ١/٧٥.

قدر فضائلهم فی الإسلام ... وذكرت أن عثمان كان فی الفضل ثالثاً فإن كان محسناً فسيلقى ربا شكوراً يضاعف الحسنات ويجزيه الثواب

العظيم. وإن يك مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً، لا يتعاظمه ذنب يغفره(۱).

سهم أهل البيت علیه السّلام

ولعمری إنی لأرجو إذا الله أعطى الأسهم أن يكون سهمنا «أهل البيت» أوفر نصيب، وايم الله، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله فی طاعه الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله فی طاعه الله، ولا أصبر علی البلاء والأذى فی مواطن الخوف، من هؤلاء النفر من أهل بيته، الذين قتلوا فی طاعه الله عبيد بن الحارث يوم بدر، وحمزه بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر بن أبی طالب يوم مؤته، وفی المهاجرين خير كثير، جزاهم الله بأحسن أعمالهم(۲).

الإبطاء عن الخلفاء:

وذكرت إبطائی عن الخلفاء وحسدی إیاهم والبغی علیهم؛ فأما البغی، فمعاذ الله أن يكون(۳)، وأما الكراهه لهم، فو الله ما أعتذر للناس من ذلک(۴).

۱- المناقب، الموفق أحمد بن محمد الخوارزمی: ۲۵۲.
۲- أنساب الأشراف البلاذری: ۳/۶۹.
۳- ففی معركه نهاوند كان الامام (ع) الوحيد من بين الصحابه الذين أشار علی عمر بن الخطاب أن لا يخرج لقياده الجيش الاسلامی لأن الفرس سيبذلون جهدهم لقتله كی يُهزم المسلمون، الفتوح :۱ /۲۸۹- وما بعدها.
۴- شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحديد : ۱۵/۷۸.

البغی علی عثمان

وذکرت بغی علی عثمان وقطعی رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمت، وعمل به الناس ما قد بلغک.

فقد علمت أنی کنت من أمره فی عزله، إلاّ أن تجنی، فتجن ما شئت(۱).

قتله عثمان

وأما ذکرت من أمر قتله عثمان فأنی نظرت فی هذا الأمر وضربت أنفه وعینه فلم أر دفعهم إلیک ولا إلی غیرک، ولعمری لئن لم تنزع عن غیک وشقاقک لتعرفنهم عن قلیل یطلبونک ولا یکلفونک أن تطلبهم فی سهل ولا جبل، ولا بر ولا بحر(۲).

طلب البیعه

وقد کان أبوک أبو سفیان أتانی حین توفی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال:

أبسط یدک أبایعک، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.

فکنت أنا الذی أبیت علیه مخافه الفرقه بین المسلمین لقرب عهد الناس بالکفر؛ فأبوک أعلم بحقی منک، وإن تعرف من حقی ما کان أبوک یعرفه تصب رشدک. وإلاّ فنستعین الله علیک(۳).

وإن الامام علیاً علیه السّلام یستنکر علی معاویه، أن یتدخل فی أمر الخلافه وأمور المسلمین بأی مستوی کانت، لعدم أهلیته لذلک قال علیه السّلام:

ص: ۲۱۳

۱- المناقب، الموفق الخوارزمی: ۲۵۲، وشرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۷۷- ۷۸.

۲- وقعه صفین: ۹۱.

۳- العقد الفرید : ۴/ ۳۳ - ۳۵- ۳۶.

(... وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم(١).

الإيمان يجمع ويفرق

الامام على عليه السّلام يقول لمعاويه:

أما بعد فقد كنا وإياكم على ما ذكرت من الألفه والجماعه، ففرق بيننا وبينكم؛ أمس أن آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها(٢).

١- نهج البلاغه، ترتيب صبحى الصالح: كتاب: ٣٨٤/٤٨-٣٨٥.

٢- شرح النهج، محمد عبده: ٢/١٢٢.

الراهب والامام علی علیه السّلام

لما أتی علی الرقه نزل علی شاطئ نهر البلیخ علی جانب الفرات؛وکان هناک راهباً؛ فنزل من الصومعه، فقال یا أمیر المؤمنین: إن عندنا کتاباً توارثناه عن آبائنا کتبه أصحاب عیسی بن مریم علیه السّلام أعرضه علیک؟ فقال علی: نعم! فقرأ الراهب الکتاب.

(بسم الله الرحمن الرحیم الذی قضی وسطر فیما سطر؛وکتب فیما کتب أنه باعث فی الأمیین رسولاـ منهم یعلمهم الکتاب والحکمه ویزکیهم ویدلهم علی سبیل الله، لا غظ ولا غلیظ، ولا یجزی بالسیئه السیئه، ولکن یعفو ویصفح، أمته الحامدون الذین یحمدون الله علی کل شرف، وفی کل صعود وهبوط، وتذل ألسنتهم بالتهلیل والتکبیر وینصره الله علی کل من ناوأه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلک ما شاء الله، ثم یمر رجل من أمته بشاطئ الفرات یأمر بالمعروف وینهی عن المنکر ویقضی بالحق ولا یرتشی فی الحکم، الدنیا أهون علیه من الرماد - أو قال التراب - فی یوم عصفت فیه الریح والموت أهون علیه من شرب الماء، یخاف الله فی السر، وینصح فی العلانیه، ولاـ یخاف فی الله لومه لائم، فمن أدرک ذلک النبی من أهل البلاد فآمن به کان ثوابه رضوانی والجنه، ومن أدرک ذلک العبد الصالح فلینصره فإن القتل معه شهاده).

ثم قال لعلی: أنا صاحبک فلا أفارقک حتی یصیبنی ما أصابک،

ص: ۲۱۵

فبكى على، ثم قال: الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده نسياً منسياً،والحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار(۱).

وإن الراهب قد صحب الامام على عليه السّلام حتى أصيب يوم صفين، وصلّى عليه الامام عليه السّلام ودفنه.

كتاب الامام على عليه السّلام لجرير البجلى:

كان جرير بن عبد الله البجلى والياً لعثمان بن عفان على ثغر همدان فكتب - الامام على عليه السّلام - إليه مع زحر بن قيس الجعفى:

نص الكتاب:

(أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دون من وال.وإنى أخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحه والزبير، عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملى عثمان بن حنيف.

إنى هبطت من المدينه بالمهاجرين والأنصار، حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفه بالحسن بن على، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عباده، فاستنفروهم فأجابوا، فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصره فأعذرت فى الدعاء،وأقلت العثره وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلّا قتال، فاستعنت بالله عليهم، فقتل من قتل وولوا مدبرين إلى مصرهم، فسألونى ما كنت دعوتهم إليه قبل

۱- وقعه صفين: ۱۵- ۱۶ وفى الامامه والسياسه أن مبعوث الامام(ع) هو زحر بن قيس. الفتوح: ۲/۴۷۲. دار الندوه، بيروت، لبنان، الطبعه الأولى، بدون تاريخ.

اللقاء، فقبلت العافيه، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبد الله بن عباس، وسرت إلى الكوفه. وقد بعثت إليكم زحر بن قيس. فاسأل عما بدا لك)(۱).

موقف جرير البجلی

وأما موقف جرير من كتاب أمير المؤمنين، فإنه بايع وأخذ بيعه من قبله، وسار حتى قدم الكوفه(۲)، ولما قرأ جرير الكتاب قام، فقال:

أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب. وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه.

وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها. ألا، وإن البقاء فى الجماعه والفناء فى الفرقه، وعليّ حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم(۳).

كتاب الامام عليه السّلام للأشعث بن قيس:

وكان الأشعث والى الخليفه الثالث عثمان بن عفان على أذربيجان –وإن عمرو بن عثمان قد تزوج ابنه الأشعث قبل ذلك– فكتب إليه على:

(أما بعد، فلولا هنات كن فيك كنت المقدم فى هذا الأمر قبل

۱– الأخبار الطوال: ۱۵۶.

۲– وقعه صفين: ۱۶.

۳– وقعه صفين:۱۲۰–۱۲۱.

الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً، إنْ أتقيت الله، ثم إنّه كان من بيعه الناس إياى ما قد بلغك، وكان طلحه والزبير ممن بايعانى ثم نقضا بيعتى على غير حدث، وأخرجا أم المؤمنين وسارا إلى البصره، فسرت إليهما فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا، فأبلغت فى الدعاء وأحسنت فى البقيه.

وإن عملك ليس لك بطعمه، ولكنه أمانه، وفى يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه تسلمه إلىّ، ولعلى ألا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت. ولا قوه إلاّ بالله)(١).

موقف الأشعث:

وبعد أن قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن كعب خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس. إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان، ولم يشف منه الخبر، غير أن من سمعه كمن عاينه، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به، وإن طلحه والزبير نقضنا بيعه على على غير حدث، وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار إليهم(٢)، فلم يقاتلهم وفى نفسه منهم حاجه، فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبه المتقين(٣).

ثم قام الأشعث بن قيس خطيبا، فقال:

١- الامامه والسياسه: ١/٨٣.

٢- وقعه صفين: ٢١.

٣- الامامه والسياسه: ١/٨٣.

أيهـا الناس، إن عثمان ولانى أذربيجان، وهلك وهى فى يـدى، وقـد بايع الناس عليا، وطاعتنا له لازمه، ولانى وقـد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك.

وأنشأ الأشعث بن قيس أبياتاً من الشعر منها:

أتانا الرسول رسول على

رسول الوصى وصى النبى

بما نصح الله والمصطفى

يجاهد فى الله، لا ينثنى

وزير النبى وذو صهره

وكم بطل ماجدٍ قد أذاق

وكمفارس كان سال النزال

فذاك على امام الهدى

فسر بمقدمه المسلمونا

له الفضلوالسبق فى المؤمنينا

رسول الإله النبى الأمينا

جميع الطغاه مع الجاحدينا

وسيف المنيه فى الظالمينا

منيه حتف، من الكافرينا

فآب إلى النار فى الآئبينا

وغيث البريه والمقمحينا(١)

واستشار الأشعث قومه حول مصيره إلى معاويه، فردوه وقالوا له: إن فى ذلك العار، فقدم على الامام على عليه السّلام فى الكوفه مع أشراف قومه(٢).

۱- وقعه صفین: ۲۳.

۲- یراجع وقعه صفین :۱۳۰، والأخبار الطوال : ۱۵۴.

وقعه أهل الجزيره

وكانت هذه الوقعه(۱) قبل صفين، وسببها أن معاويه بعث الضحاك بن قيس للإغاره على أهل الجزيره، والتى اجتمع فيها من قد هربوا من الكوفه والبصره بعد هزيمه أهل الجمل، وإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد وجه إليها وإلى الموصل وغيرها مالك الأشتر والياً، فالتقى بالضحاك فى وقعات انهزم الأخير فيها وكان معاويه قد أمده بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبقى الأشتر يطاردهم حتى ضبط الجزيره ضبطاً محكماً(۲) حتى كانت صفين فالتحق بالامام عليه السّلام.

القاسطون / تداول وتحالفات

وهم معاويه وأهل الشام ومن انضم إليه فى قتال أمير المؤمنين عليه السّلام.

بعد قدوم رسول الخليفه الشام ومقابلته لمعاويه، ومن ثم قراءه كتاب الخليفه جمع معاويه ذويه، وأخبرهم بطلب الامام على أن يبايعه أو أن يذهب إلى مقابله الامام عليه السّلام مع وفد من أهل الشام، مع علم معاويه أن الامام على عليه السّلام

لا يوليه الشام ولا سواها، وكان ذلك قد اتضح من حديث الامام عليه السّلام مع المغيره بن شعبه وعبد الله بن عباس والامام لم يزل فى المدينه وقبل صدوره منها إلى البصره ثم إلى الكوفه، وقبل خروج الناكثين إلى البصره.

وحين اجتمعوا إلى معاويه أشاروا عليه أن يستعين بعمر وبن العاص ويستميله بشىء حتى ينحاز إليه.

۱- الفتوح: ۲/۴۹۳-۴۹۴.

۲- أنساب الأشراف: ۳/۷۲، الغارات، محمد بن إبراهيم الثقفى، وفاته عام ۲۸۳، مطبعه بهمن، إيران: ۱/۳۲۴ .

كتاب معاويه إلى عمرو بن العاص

(أما بعد: فقد كان من أمر على وطلحه والزبير؛ ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان فى جماعه من أهل البصره ممن رفض علياً وأمره، وقدم علىّ جرير بن عبد الله يدعونا إلى البيعه له أو إيذان بحرب(۱) وحبست نفسى عليك حتى تأتينى، فاقدم على بركه الله وتوفيقه)(۲).

استشاره غير ملزمه

عمرو وولديه:

فلما أتاه كتاب معاويه استشار عمرو ولديه عبد الله و محمد، فقالا له:

أيها الشيخ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وهو عنک راض و مات أبو بكر و عمر، وهما عنک راضيان، فإياک أن تفسد دينک لدنيا تصيبها من معاويه فتكب كباً فى النار(۳).

وأما عثمان فإنه قتل وأنت عنه غائب، وقد وسع الله عليك فاقعد فى بيتک، فإنک لا تطمع أن تكون خليفه، وليس ينبغى لک أن تكون حاشيه معاويه على دنيا قليله زائله عن أهلها(۴).

۱- الأخبار الطوال: ۱۵۷.

۲- أنساب الأشراف: ۳/۷۲- ۷۳.

۳- الفتوح : ۲/۵۱۰-۵۱۱.

۴- وقعه صفين: ۳۴.

وفی وقعه صفین قال عبد الله لأبیه:

(فقر فی من-زلک فلست مجعولاً خلیفه، ولا تزید أن تکون حاشیه لمعاویه علی دنیا قلیله، أوشک أن تهلک فتشقی فیها)(۱).

وقال محمد بن عمرو:

أنت ناب من أنیاب العرب، فلا أری أن یجتمع هذا الأمر ولیس لک فیه صوت ولا ذکر.

قال عمرو: أما أنت یا عبد الله فأمرتنی بالذی هو خیر لی فی آخرتی، وأسلم فی دینی، وأما أنت یا محمد فأمرتنی بالذی أنبه لی فی دنیای وشر لی فی آخرتی، ثم قدم علی معاویه ومعه ولدیه، فوجد أهل الشام یحضون معاویه علی الطلب بدم عثمان.

معاویه و عمرو

دخل عمرو بن العاص وولدیه علی معاویه وکانوا یحضون معاویه علی الطلب بدم عثمان، فقال عمرو: أنتم علی الحق، اطلبوا بدم الخلیفه لمظلوم - ومعاویه لا- یلتفت إلی قول عمرو - فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا تری إلی معاویه لا یلتفت إلی قولک! انصرف إلی غیره؛

فدخل عمرو علی معاویه فقال: والله لعجب لک! إنی أرفدک بما أرفدک وأنت معرض عنی! أما والله إنْ قاتلت معک نطلب بدم الخلیفه إن فی النفس من ذلک ما فیها، حیث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولکنا إنما أردنا هذه الدنیا، فصالحه معاویه وعطف علیه(۲).

۱- الفتوح: ۲/۴۹۷.

۲- الفتوح: ۲/۴۹۵ .

الوليد بن عقبه ومعاويه

لمـا علم الوليـد بن عقبه بكتاب على إلى معاويه، فكتب أبياتاً يأمر معاويه أن لا يجيب علياً بشـىء مما يريـد ويحرضه على حرب على، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

معاوى إن الملك قد جب غاربه

أتاك كتاب من على بخطه

ولا تدعن الملك والأمر مقبل

فإن كنت تنوى أن تجيب كتابه

وأنت بها فى كفك اليوم صاحبه(١)

هى الفصل فاختر سلمه أو تحاربه

تطلب ما أعيت عليك مذاهبه

فقبح ممليه وقبح كاتبه

ومنها:

معاوى إن الشام شامك فاعتصم

وحام عليها بالقنابل والقنا

شامك لا تدخل عليك الأفاعيا

ولاتك محشوش الذراعين وانيا(٢))

معاوى إن الشام شامك فاعتصم

وحام عليها بالقنابل والقنا

شامك لا تدخل عليك الأفاعيا

ولاتك محشوش الذراعين وانيا(٣)

وأشار الوليد فی شعره إلی کتاب الامام علی علیه السّلام:

وإن کتاباً یا ابن حرب کتبته

علی طمع یزجی إلیک الدواهیا(۴)

وقد سر معاویه وفرح بورود کتاب الولید إلیه، وعزم علی مخالفه علی رضـی الله عنه. ثم کتب کتاباً إلی الامام علی علیه السّلام لم یتضمن إلاّ {بسم الله الرحمن الرحیم}، وأرسله بید رجل من (عبس)(۵).

۱- صفین: ۵۳، وشرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۳/۸۵ .

۲- صفین: ۵۳.

۳- صفین: ۵۳.

۴- الفتوح، :۲ ص۴۹۵-۴۹۶.

۵- الفتوح :۲ ص۴۹۷.تاریخ الطبری، محمد بن جریر الطبری، مؤسسه الأعلمی، بیروت لبنان (۸ مجلدات): ۳/ ۴۶۴.

قـدم رسول معاويه الكوفه فـدخل على عليّ رضـى الله عنه، وعنده المهاجرين والأنصار، فسـلم ثم التفت يميناً وشـمالاً فقال: ههنا أحد من بنى عبس أو من ابناء قيس بن عيلان؟

فقيل له: نعم، هات ما عندك!

شيوخ الشام والقميص

لما وصل مبعوث معاويه (العبسى) إلى الكوفه قال:

عنـدى والله من الخبر أنى قـد تركتُ بالشـام خمسـين ألف شـيخ خـاضبى لحـاهم بـدموع أعينهم على قميص عثمـان، وانهم قد عاهـدواالله عزّ وجلّ أنهم لا يشـيمون سـيوفهم فى أغمادها أبداً ؛ حتى يقتلوا من قتل عثمان، يوصـى به الميت الحى ويرث الحى عن الميت(١). و همّ الناس بالعبسى – أى أرادوا قتله – وقاموا إليه بالسيوف.

فقال على رضى الله عنه: دعوه فإنه (رسول)، ولكن خذوا منه الكتاب، فأخذوا الكتاب من يده ودفع إلى على؛ فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ثم إنّ العبسى رسول معاويه قام إلى على رضى الله عنه فقال:

يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا من أشد الناس عليك حنقاً لما

١– الفتوح: ٢، ص٤٩٧ شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٤/٤٠ .

أخبرنی عنک أهـل الشام، وقـد والله أبصـرت الآن ما فیه أهل الشام من الضـلال وما أنت علیه من الهـدی(۱)، ولاء الله ما کنت بالذی أفارقک أبداً ولا أموت إلاّ تحت (رکابک).

ثم إنّه کتب إلی معاویه أبیاتاً مطلعها:

کدت أهل العراق بالبلد الشام

شفاها وکان کیدی ضعیفاً(۲)

کتاب معاویه إلی شرحبیل:

وکتب معاویه کتاباً یحرض فیه شرحبیل للطلب بدم عثمان وکان شرحبیل هذا من وجوه أهل الشام.

فکتب إلیه:

(إن جریر بن عبد الله قدم علینا من عند علی بن أبی طالب بأمر فظیع، فاقدم)، کما دعا معاویه: یزید بن أسد، وبسر بن أرطاه، وعمرو ابن سفیان، ومخارق بن الحارث الزبیدی، وحمزه بن مالک، وحابس بن سعد الطائی - وهؤلاء من الوجوه - فأمرهم أن یلقوه - أی شرحبیل بن السمط - ویخبروه أن علیاً قتل عثمان(۳).

وقال عبد الرحمن بن غنم الأزدی - وکان أفقه أهل الشام -:

إن الله لم یزل یزیدک خیراً مذ هاجرت إلی الیوم، وإنه لا ینقطع المزید من الله حتی ینقطع الشکر من الناس، ولا یغیر ما یقوم حتی

۱- الامامه والسیاسه، الدینوری: ۷۷.

۲- الفتوح، ابن أعثم الکوفی، دار الندوه الجدیده،بیروت، لبنان، بدون تاریخ:۲/ ۳۵۹.

۳- صفین: ۴۵.

يغيروا ما بأنفسهم، إنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، وأن عليا قتل عثمان، فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصدق معاويه عليه؟ لا تهلك نفسك وقومك(۱).

وعمد معاويه للتغرير بشرحبيل، فقال له:

إن جرير يدعونا إلى بيعه على، وعلى خير الناس لولا ـ أنه قتل عثمان، وقد حبست نفسى عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام، أرضى مارضوا، وأكره ما كرهوا. ثم إنّ شرحبيل قال، لمعاويه: أبى الناس إلّا أن علياً قتل عثمان. ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك(۲).

مبايعه عمرو بن العاص

لقد بايع عمرو بن العاص معاويه ووافقه على محاربه علي. وكان عمرو ابن العاص: مشترط على معاويه أن يعطيه أرض مصر حتى يشترك معه، ويسانده ضد الامام على عليه السّلام. وأشار عمرو فى حديثه إلى أنه ومعاويه كانا قد خذلا عثماناً، وإن عثمان قد استنصر معاويه فخذله، وهو محصور فى المدينه.

ثم قال عمرو لمعاويه؛

لا ـ أعطيك من دينى شيئاً أو آخذ منك مثله، فهات ما الذى تعطينى، فقال معاويه: أعطيك رضاك، قال عمرو: رضاى أرض مصر.

۱- صفين: ۴۷.

۲- الفتوح: ۲/۵۱۳.

قال معاویه: إن مصر کالعراق.

قال عمرو: صدقت، إنها لکذلک، ولکنها تکون لی إذا کانت العراق لک.

فثقل ذلک علی معاویه وأبی أن یعطیه أرض مصر، وخرج عمرو فصار إلی رحله(۱).

وأقبل عتبه بن أبی سفیان إلی معاویه فقال:

أما ترضی أن تشتری عمراً بمصر إن صفت لک قلیتک لا تغلب علی الشام.

وقال معاویه لعتبه:

بت عندنا لیلتک هذه، فبات عتبه عنده، فلما أخذ معاویه مضجعه أَنشأ عتبه:

أیها المانع سیفاً لم یهز إنما أنت خروف فاعم إن مصراً لعلی أو لنا إنما ملت علی خز وقز بین ضرعین وصوف لم یجز یغلب الیوم علیها من عجز(۲)

وسمع معاویه ذلک، فلما أصبح بعث إلی عمرو، فأعطاه ما سأل، وکتبا بینهما فی ذلک کتاباً، ثم إنّ معاویه استشار عمراً فی أمره، وقال ما تری؟

قال عمرو:

(إنه قد أتاک فی هذه البیعه خبر أهل العراق من عند خیر الناس، ولست أری لک أن تدعو أهل الشام إلی الخلافه، فإن ذلک خطر

۱- أنساب الأشراف البلاذری: ۳/۷۴، والأخبار الطوال: ۱۵۸-۱۵۹.

۲- الأخبار الطوال: ۱۵۹.

عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتوطين للأشراف منهم، وإشراب قلوبهم اليقين، بأن علياً مالأ على قتل عثمان، وأعلم أن رأى أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندى، فأرسل إليه ليأتيك، ثم وطن له الرجال على طريقه كله، يخبرونه بأن علياً قتل عثمان.

ويكونوا من أهل الرضى عنده فإنها كلمه جامعه لك أهل الشام، وإن تعلق هذه الكلمه بقلبه لم يخرجها شيء أبداً.

فدعا معاويه يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاه، وسفيان بن عمرو، ومخارق ابن الحارث، وحمزه بن مالك، وحابس بن سعد،وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شرحبيل بن السمط، فوطنهم له على طريقه، ليخبرونه أن علياً مالأ على قتل عثمان، ثم أشربوا قلبه ذلك.

ثم أمر مناديه أشراف الشام باستقباله، فاستقبلوه، وأظهروا تعظيمه، فكان كلما خلا برجل منهم ألقى إليه هذه الكلمه، فأقبل حتى دخل على معاويه مغضباً، فقال:

(أَبا الناس إلاّ أن ابن أبى طالب قتل عثمان، والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام).

فقال معاويه:

(ما كنت لأخالف أمركم، وإنما أنا واحد منكم، قال: فأردد هذا الرجل - جرير- إلى صاحبه فعلم عند ذلك معاويه أن أهل الشام مع شرحبيل، ومن ثم أشار على معاويه أن يسير فى المدائن ليعلمهم بالطلب بثأر الخليفه، وإن يبايعهم على النصره والمعونه(١).

ص: ٢٢٨

١- الأخبار الطوال: ١٦٠.

فلما أطمئن معاويه لأهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجرير:

(اِلحق بصاحبک وأعلمه أنی وأهل الشام لا نجیبه إلی البیعه)(١).

كتب معاويه إلى أهل المدينه

كتب معاويه فی أول الأمر كتاباً عاماً لأهل المدينه، ولما ورد جوابهم عليه ساءه، فكتب إلى بعض الأشخاص كتباً خصهم به.

كتابه إلى أهل المدينه ومكه:

أما بعد، فإنه مهما غاب عنا فإنه لم يغب علينا أن علياً قتل عثمان، والدليل على ذلک أن قتلته معه، فنقتلهم بكتاب الله تعالى، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين، على ما جعلها عمر بن الخطاب، فأما الخلافه فلسنا نطلبها، فأعينونا يرحمكم الله، وانهضوا من ناحيتكم(٢).

وذكروا أنه لما قرأ عليهم كتابه، اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمه، فجاوب عنهم، فكتب إليه:

أما بعد، فإنک أخطأت خطأ عظيماً، وأخطأت مواضع النصره، وتناولتها من مكان بعيد، وما أنت والخلافه يا معاويه، وأنت طليق، وأبوک من الأحزاب، فكف عنا، فليس لک قبلنا ولی ولا نصير(٣).

١- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

٢- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

٣- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

كتاب معاويه إلى ابن عمر

أما بعد، فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إليّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان، فذكرت خذلك إياه، وطعنك على أنصاره، فتغيرت لك، وقد هون ذلك عليّ خلافك على علي، وطعنك عليه، وردني إليك بعض ما كان منك، فأعنا يرحمك الله على حق الخليفه المظلوم، فإني لست أريد الإماره عليك، ولكني أريدها لك، فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين(١)؛ فأجابه عبد الله بن عمر: أما بعد! فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صرت إليه، يا معاويه!! إذ حدثتك نفسك أني أترك علياً والمهاجرين والأنصار واتبعك، فأما زعمك أني طعنت على عليّ وخالفته فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان والهجره ونكايته في المشركين ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه حدث أمر لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالاً نشر نجوت منه فاروعنا نفسك، والسلام(٢).

كتاب سعد بن أبي وقاص

وكتب معاويه إلى سعد بن أبي وقاص:

أما بعد فإن إخواننا من شيعه عثمان بن عفان أهل الشورى من قريش الذين عرفوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحه والزبير وهما

١- الفتوح :٢/٥٢٩.

٢- الفتوح: ٢/٥٢٩.

شريكاك فى الأمر، ونظيراك فى الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين، فلا تكرهن ما رضوا به، و (لا تردن) ما قبلوا، فإنما نريدها شورى بين المسلمين، والسلام(١).

وكتب إليه سعد:

أما بعد! فإن الشورى لم يدخل فيها عمر بن الخطاب إلّا من يحل له الخلافه، ولم يكن أحد من أهل الشورى أحق بالخلافه من صاحبه بالاجتماع عليه، غير أن علياً كان فيه ما فينا، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر كرهنا أوله وكذا نكره آخره، وأما طلحه والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيراً لهما، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت،والسلام(٢).

كتاب محمد بن مسلمه الأنصارى

وأرسل معاويه كتاباً إلى محمد بن مسلمه. يحاول فيه: استمالته إلى طرفه جاء فيه:

أما بعد، فإني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك، ولكنى أذكرك النعمه التى خرجت منها، إنك كنت فارس الأنصار، وعده المهاجرين، فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وآله أمراً لم تستطع فيه الإمضاء، فهذا منعنى عن قتال أهل الصلاه.

كتاب محمد بن مسلمه إلى معاويه:

أما بعد فقد أخبرت بالذى هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت

١- وقعه وصفين: ٧٥، الفتوح: ٢/٥٢٩-٥٣٠.

٢- الامامه والسياسه: ١/٩٠.

سيفى، ولزمت بيتى واتهمت الرأى على الـدين. إذ لم يصـح لى معروف آمر به، ولاـ منكر أنهى عنه، ولعمرى يا معاويه ما طلبت إلاّـ الـدنيا، ولا اتبعت إلاّ الهوى، ولئن كنت نصـرت عثمان ميتاً، لقـد خـذلته حياً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب(١).

ص: ٢٣٢

١- أنساب الأشراف، البلاذرى: ٣/٨٧-٨٩.

رساله عمرو بن العاص لابن عباس

إن معاويه بن أبى سفيان طلب – بعد أن كانت وقعات بين جيش الامام عليه السّلام والجيش الأموى الذى بان الضعف فيه – من عمرو بن العاص أن يكتب إلى «عبد الله بن عباس» كتاباً يستميله به، وقال معاويه:

«فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه على وقد أكلتنا الحرب».

فقال عمرو: إن ابن عباس أريب لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت فى على، قال: صدقت انه لأريب ولكن أكتب إليه على ذلك. فكتب إليه:

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن عباس.

أما بعد: فإن الذى نحن وأنتم فيه، ليس بأول أمر قاده البلاء وساقته العافيه، وأنت رأس هذا الأمر بعد على، فأنظر فيما بقى بغير ما مضى، فو الله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا ـ لكم حيله، وأعلم أن الشام لا ـ يملك إلاّ ـ بهلاك العراق، وأن العراق لا يملك إلاّ بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم؟ وما خيركم بعد! أعدادكم منا، ولست أقول: ليت الحرب عادت ولكن أقول: ليتها لم تكن، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت، فأما السفيه فليس

بأصل أن يعد من ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى(۱)،

وكتب فى آخر كتابه أبياتاً:

طال البلاء فما يرجى له اس أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا والسلم فيه بقاء ليس يجهله بعد الإله سوى رفق

ابن عباس طعم الحياه لحرب ذات أنفاس إلاّ الجهول وما النوكى كأكياس فلما قرأ ابن عباس الكتاب عرضه على الامام على عليه السّلام، فقال على:

قاتل الله ابن العاص ما أغره بك،يا بن عباس أجبه،وليرد عليه شعره فضل ابن العباس(۲).

جواب ابن عباس

وكتب إليه عبد الله بن عباس:

أما بعد: فإنى لا ـ أعلم رجلاً ـ من العرب أقل حياء منك، إنه مال بك إلى معاويه الهوى وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت للناس فى عشواء طخياء – الليله المظلمه – طمعاً فى هذا الملك، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين، وأظهرت فيها زهاده أهل الورع، ولا تريد بذلك إلاّ تهيب الحرب وكسر أهل العراق، فإن كنت أردت الله بذلك، فدع مصر وأرجع إلى بيتك فإن هذه الحرب ليس لمعاويه فيها كعلى، ابتدأها على بالحق وانتهى فيها إلى العذر، و بدأها معاويه بالبغى وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل الشام فيها

۱– الامامه والسياسه: ۱/۱۳۱.

۲– صفين: ۴۱۲.

كأهـل العراق، بـايع علیـاً أهل العراق وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاويه وهم خير منه، ولست أنا وأنت فيها بسواء أردت الله، وأردت مصر، فإن ترد شراً لا نسبقک به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه. [والسلام](۱)، ثم دعا [أخاه] الفضل بن العباس فقال له: يا ابن أم، أجب عمرا.

فقال الفضل:

یـا عمرو حسـبک من خـدع ووسواس إلا تواتر طعن فی نحورکم هـذا الـدواء الـذی یشـفی جماعتکم أما علی فإن الله فضـله إن تعقلوا الحرب نعقلها مخیسه قد کان منا ومنکم فی عجاجتها قتلی العراق بقتلی الشام ذاهبه

لا بارک الله فی مصـر لقد جلبت یا عمرو إنک عار من مغارمها فاذهب فلیس لداء الجهل من آسی یشجی النفوس ویشفی نخوه الراس حتی تطیعوا علیا وابن عباس

بفضـل ذی شـرف عـال علی النـاس أو تبعثوهـا فإنـا غیر أنکـاس ما لا یرد وکل عرضه الباس هـذا بهـذا وما بالحق من باس شـرا وحظک منها حسوه الکاس والراقصات ومن یوم الجزا کاسی(۲)

ولما قرأ معاويه الكتاب قال: ما أغنانا عن هذا(۳).

ص: ۲۳۵

۱- وقعه صفين: ۴۱۲-۴۱۳.

۲- وقعه صفين: ۴۱۳.

۳- شرح النهج، محمد عبده، :۲ /۱۳۵، الكتاب:۷۵.

مع معاويه

البدايه: الدعوه للبيعه

أما بعد، فقد علمت أعذارى فيكم وإعراضى عنكم حتى كان ما لابُدّ منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلى فى وفد من أصحابك(۱).

إن استعدادى لحرب أهل الشام وجرير عندهم، إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً، والرأى عندى مع الأناه(۲).

كتاب الامام عليه السّلام إلى جرير

أما بعد فإذا أتاك كتابى فاحمل معاويه على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجليه أو سلم مخزيه، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته-

والسلام(۳).

۱- وقعه صفين: ۵۵، شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ۲/۳۲۲، بتفاوت بين النص فيهما.

۲- - الامامه والسياسه: ۱/ ۱۱۶، شرح النهج، محمد عبده: ۲/۸.

۳- شرح نهج البلاغه: ۱/۴۱۵، خطبه (۲۰۰).

حقیقه معاویه

قال الامام علیه السّلام یصف معاویه وما هو علیه:

والله ما معاویه بأدهی منی، ولکنه یغدر ویفجر(۱).

وأما طلبک إلیّ الشام فإنی لم أکن لأعطیک الیوم ما منعتک أمس(۲).

وقد أکثرت فی قتله عثمان، فادخل فیما دخل الناس، ثم حاکم القوم إلیّ أحملک وإیاهم علی کتاب الله تعالی، وأما تلک التی ترید فإنها خدعه الصبی عن اللبن(۳).

فإنک إنما نصرت عثمان حیث کان النصر لک، وخذلته حیث کان النصر له(۴).

وأما ما سألت من دفع قتله عثمان إلیک، فإنی نظرت فی هذا الأمر، فلم أره یسعنی دفعهم إلیک ولا إلی غیرک.

وزعمت أنک جئت ثائراً بعثمان، وقد علمت حیث وقع الدم عثمان، فأطلبه من هناک إن کنت طالباً(۵).

وذکرت إنک زائری فی المهاجرین والأنصار، وقد انقطعت الهجره

۱- شرح النهج: ۲/۱۶،کتاب (۱۷).
۲- شرح النهج: ۲/۱۲۴، کتاب (۶۴).
۳- شرح النهج: ج۲، ص۶۲، کتاب (۳۷).
۴- شرح النهج:۲، ص۹، وس۱۱.
۵- المعجم المفهرس لألفاظ النهج: ص۱۰۴، کتاب (۶۴).

يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجل فاسترقه(۱).

وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً وأخرج إلى، واعف الفريقين من القتال.

فاتق الله يا معاويه فى نفسک، وجاذب الشيطان قيادک، فإن الدنيا منقطعه عنک والآخره قريبه منک(۲).

فقلنا تعالوا نداوى ما لا يدرک اليوم بإطفاء الثائره، وتسكين العامه، حتى يشتد الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا بل نداويه بالمكابره(۳).

قال الامام على عليه السّلام:

(قاتلت الناكثين - أهل الجمل - وهؤلاء القاسطين - معاويه وحزبه - وسأقاتل المارقين- الخوارج-)(۴).

وصف الامام عليه السّلام لعمرو بن العاص

الملاحظ على مواقف الامام عليه السّلام من الأحداث وأشخاصها عند تقييمه لها أو قراءتها دائماَ يستند المرجعيه الإسلاميه فى ذلک، ففى تقيمه وقراءته لنفسيه ابن العاص يرتكز أولاً الرجوع إلى الأثر النبوى المبارک «المؤمن لايكذب» قارناً لهذا الارتكاز السلوک المتجسد لعمرو والمشخص من معاصريه، فيكون تشخيصه والحال هذا مؤثر فى

۱- شرح النهج: ۲، ص۵۷.
۲- شرح النهج، محمد عبده: ح۲، ص۱۱۴.
۳- أنساب الأشراف:۳ / ۸۰.
۴- أنساب الأشراف: ۱/۱۴۷. وقد قال (ع): هذا قبل التحكيم وقتال الخوارج.

سامعيه أولاً، ومن ثَمَّ منظور فيه التأسيس البُعدى الرسالى كداله شاخصه للإنسان المسلم - الأجيال الإسلاميه المتتابعه - على الامتداد الظرفى، فيكون للرساله دورها الفاعل فى حياته، حتى لا يلتبس عليه موقف أو مواقف حيال ظواهر وأحداث سبقته فى وقوعها، أو ستتجسم فى آخرين خارجين على المرجعيه الإسلاميه، محاولين الاستظلال بها. وقد ورد عنه فى عمرو بن العاص، قوله عليه السّلام:

«أما شر القول الكذب، إنه - يعنى عمرو بن العاص - يقول فيكذب ويعد فيخلف: ويسأل فيحلف ويخون العهد ويقطع الأل، فإذا كان عند الحرب فأى زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم أسته.

وإنه - أى عمرو بن العاص- ليمنعه من قول الحق نسيان الآخره، انه لم يبايع معاويه حتى تشرط أن يؤتيه آتيه، ويرضخ له على ترك الدين رضيخه(۱).

ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعه ثمنا، فلا ظفرت يد البايع، وخزيت أمانه المبتاع(۲).

فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا أمرئ مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للرغام، يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه ما فضل فريسته

۱- أنساب الأشراف: ۱/۶۷، والاحتجاج، الطبرسى: ۱/۲۶۹، وشرح النهج: ۶/۲۸۰، والرضيخه العطيه.
۲- أنساب الأشراف: ۲، ص۶۴.

فأذهبت دنياك وآخرتک»(۱).

وقد روی البلاذری أن عمراً قال:

معاوی لا أعطيک دينی ولم أنل به

منک دنيا فانظر کيف تصنع(۲)

تشخيص الامام عليه السّلام لجنده ومقاتليه

يتضح من سياق النقل التاريخی، إن تشخيصاته عليه السّلام لجيشه ولمن کان يقاتل معه، بعد رفع المصحف ونکولهم عن الحرب، وعندما کان معاويه يأمر قادته بشن الغارات علی المسالح المحاذيه للشام أو البعيده عن الکوفه، فکان الامام عليه السّلام يستحثهم علی قتال أهل البغی، ففی البدايه وحتی يوم (الهرير) کانت مواقفهم جيده وأثخنوا أهل الشام بجراح کبيره وکادوا يهزموهم لولا خدعه رفع المصحف، ومن قبل قد هزموا قاده الجمل – صحابيان من أهل الشوری وأُمّ المؤمنين – وأتباعهم؛فمن إشاراته عليه السّلام فی هذه الاتجاه:

أيها الناس: إنّه لم يزل أمری معکم علی ما أحب حتی نهکتکم الحرب، وقد والله أخذت منکم وترکت؛ ... وقد أحببتم البقاء وليس لی أن أحملکم علی ما تکرهون(۳).

ألا ـ وأنی دعوتکم إلی قتال هؤلاء القوم ليلاً ـ ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لکم أغزوهم قبل أن يغزوکم، فو الله ما غزی قوم فی عقر

۱- أنساب الأشراف: ۲/۷۵.

۲- شرح النهج: ۱/۲۴۰.

۳- الامامه والسياسه: ۱/ ۱۰۴، شرح النهج، :۱/۶۸.

دارهم إلّا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان(۱).

فواعجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم(۲).

وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم بالباطل، وبأدائهم الأمان، إلى صاحبهم وخيانتكم(۳).

أيها الناس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهواؤهم...

صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب الشام يعصى الله وهم يطيعونه(۴).

خطبه الامام عليه السّلام يصف فيها غاره على الأنبار

وهذا أخو غامد - أمير جيش معاويه- وقدقتل حسان بن حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه والأخرى المعاهده، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام ثم إنّصرفوا وآخرين ما نال رجل منهم كلهم ولا أريق لهم دم...

۱- شرح النهج: ۱/۶۹.
۲- شرح النهج: ۱/۶۴.
۳- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد:۱/۳۳۲.
۴- الامامه والسياسه : ۱/ ۱۰۲.كنز العمال، المتقى الهندى: ۱۱/۳۵۵.المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغه:۲۰- ۲۱، خطبه ۲۷.

فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى: يُغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون. وأفسدتم عليّ رأى بالعصيان والخذلان؛حتى قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منى! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين! و (لكن لا رأى لمن لا يطاع)(١).

خطبه الامام الحسن بن على عليه السّلام

ثم قام الحسن بن على خطيباً فقال:

الحمد لله لا إله غيره. وحده لا شريك له، واثنى عليه بما هو أهله.

ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم نعمه ما لا يحصى ذكره.

خطبه الامام الحسين عليه السّلام:

ثم قام الحسين بن على خطيباً، فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

يا أهل الكوفه أنتم الأحبه الكرماء، والشعار دون الآثار؛ جدوا فى إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفه ما ذاع منكم.إلّا أن الحرب أثرها ذريع، وطعمها فظيع، وهى جرع ممشاه فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألم لكومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك ممن لا ينفع قومه؛ وأن يهلك نفسه، نسأل الله العون أن يدعكم

١- وقعه صفين : ١٢۵.

بألفته(۱).

هاشم بن عتبه المرقال: قال مخاطباً أمير المؤمنين عليه السّلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسيه قلوبهم الذين ينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا فی عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله، واستدلاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأمانی حتی أزاغهم عن الهدی وقصد بهم قصد الردی، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون علی دنياهم رغبه فيها كرغبتنا فی الآخره. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلی الله عليه وآله رحما، وأفضل الناس سابقه وقدماً وهم يا أمير المؤمنين مثل الذی علمنا لكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطه لک بالسمع والطاعه، وقلوبنا منشرحه لک ببذل النصيحه، وأنفسنا تنصرک جذله علی من خالفک وتولی الأمر دونک. والله ما أحب أنا لی ما فی الأرض مما أقلت، وما تحت السماء مما أظلت، وأنی واليت عدوّا لک، أو عاديت ولياً لک.

فقال علی: اللهم أرزقه الشهاده فی سبيلک والمرافقه لنبيک (ص)(۲).

معاويه يساوم مبعوث الخليفه

ينتقل معاويه من المطالبه بدم الخليفه المظلوم والخلافه إلى مساومه مبعوث الامام علی عليه السّلام إليه إلى ولايه مصر والشام و جبايتهما،وقد ذكر المؤرخون أن معاويه قال لجرير: إنی قد رأيت رأياً.

۱– وقعه صفين: ۱۱۲.

۲– الامامه والسياسه: ۱، ص۸۶.

قال جرير:

هات. قال أكتب إلى على أن يجعل لى الشام ومصر جبايه، فإن حضرته الوفاه لم يجعل لأحد من بعده فى عنقى بيعه، وأسلم إليه هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافه.

قال جرير: اكتب ما شئت.

كتاب على إلى جرير

وكتب الامام على عليه السّلام إلى جرير:

أما بعد: فإن معاويه إنما أراد بما طلب ألا يكون لى فى عنقه بيعه، وأن يختار من أمره ما أحب، وقد كان المغيره بن شعبه: أشار على وأنا بالمدينه أن استعمله على الشام، فأبيت ذلک عليه، ولم يكن الله ليرانى اتخذ المضلين عضدا، فإن بايعک الرجل وإلّا فأقبل(١).

موقف مالک بن حبيب

قال مالک بن حبيب - وهو على شرطه على- وهو آخذ بعنان دابته عليه السّلام:

يا أمير المؤمنين، أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفنى فى حشر الرجال؟

فقال له على: إنهم لن يصبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه، وأنت هاهنا أعظم غناء منک عنهم لو كنت معهم.

فقال - مالک-: سمعاً وطاعه يا أمير المؤمنين. فخرج على حتى

١- صفين: ١٣١-١٣٢.

إذا جاز حدّ الكوفه صلّى ركعتين(۱).

كتاب الامام عليه السّلام إلى عماله

ولما عسكر الامام عليه السّلام فى النخيله كتب إلى عماله يستحثهم بالقدوم عليه، ولما اجتمع إلى على قواصيه، وانضمت إليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيله، وأرسل زياد بن النضر وشريح بن هانئ، بعد أن عقد لكل واحد منها على سته آلاف فارس، ليكونا مقدمته فى لقاء عدوه(۲).

سيد التابعين

عن ابن عباس سأله رجل عن أويس القرنى (رحمه

الله)، قال ابن عباس:

ويحك! أويس القرنى له شأن عظيم، وهو سيد التابعين! وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لأصحابه: «يكون فى أمتى رجل يقال له أويس القرنى، يدخل فى شفاعته عدد ربيعه ومضر، لو أقسم على الله لأبر قسمه، فمن لقيه من بعدى فليقرئه، منى السلام».

قال ابن عباس، فقال له على: يا رسول الله: وفينا من يلقاه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم يا على أنت تلقاه فإذا لقيته فأقرئه منى السلام وأسأله أن يدعو لك بخير».

وسأل الامام على عليه السّلام الرسول صلى الله عليه وآله أن يصفه له فوصفه له وأعلمه بصفته وملبسه وهيأته.

ص: ۲۴۵

۱- الأخبار الطوال: ۱۶۵-۱۶۶.

۲- الفتوح: ابن أعثم: ۲/۵۴۴- ۵۴۵.

وقتل أويس القرن (رحمه الله) بصفين، فعن أبی البختری قال:

أصیب أویس القرنی مع علی بصفین(۱)، وإن الدلاله فیما ورد عن الرسول صلی الله علیه وآله فی أویس: هی ذات الدلاله فی قوله صلی الله علیه وآله لعمار (تقتلک الفئه الباغیه)، فضلًا عن کونها أخبار عن أمر مستقبلی، فهی بیان للحق وأهله وتمیزاً لهم عن الفئه الباغیه التی یجب قتالها وبتالی لتکون الحجه بالغه علی الناس فیما هم مکلفون به فیستحقوا بذلک الثواب والعقاب، وهما تعبیر عن التکلیف والمسؤولیه الشرعیه.

التوجه إلی صفین

ولما عزم الامام علیه السّلام بالخروج إلی صفین وبعد أن أتم تعبئه جیشه خطبهم حاثاً لهم علی الجهاد وقتال أهل البغی.

الخطبه

(سیروا إلی قتال أهل الشام العماه الطغاه سیروا إلی أولیاء الشیطان وأعداء السنه والقرآن سیروا إلی الکذبه الفجار وقتله المهاجرین والأنصار! سیروا فقد أمرت بقتال الناکثین والقاسطین (المارقین)، فوالله لقد قرأت ما بین دفتی المصحف، فقلبت هذا الأمر ظهراً لبطن فما وجدت إلّا قتالهم أو الکفر بما جاء محمد صلی الله علیه وآله(۲).

۱- الفتوح: ۲، ۵۵۰.

۲- المعیاروالموازنه : أبو جعفر الاسکافی :۱۴۷.وفی شرح النهج، ابن أبی الحدید: وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتی منعنی النوم، فما وجدتنی یسعنی إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلی الله علیه – وآله – وسلم، فکانت معالجه القتال أهون علی من معالجه العقاب، وموتات الدنیا أهون علی موتات الاخره : ۴/۶.

وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبی

سيروا فخير الناس أتباع علی(۱)

الإخبار عن مقتل الحسين عليه السّلام

إن الامام علی عليه السّلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنا لك نخيلًا؛

فقال: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين ما أعرفه،

فقال: أما! أنك لو عرفته كمعرفتی لم تكن تجاوزه حتى تبكی لبكائی،

قال: ثم بكى على رضی الله عنه بكاء شديداً، حتى أخضلت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره،ثم جعل يقول: مالی ولآل أبی سفيان! ثم التفت إلى الحسين (رضی الله عنه) فقال: أصبر أبا عبد الله فلقد لقی أبوك منهم مثل الذی تلقی من بعدی.

ثم جعل علی (رضی الله عنه) يجول فی أرض كربلاء كأنه يطلب شيئاً، ثم نزل ودعا بماء فتوضأ وضوء الصلاه، ثم قام فصلی ما شاء أن يصلی والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوی إلى شاطئ الفرات(۲).

۱- الفتوح :۲/۵۵۱- ۵۵۲.

۲- الفتوح: ۲/۵۵۲.

ثم إنّ الامام علیه السّلام خطف برأسه خطفه فنام، وأنتبه فزعا، وحدث علیه السّلام ابن عباس بما رأی، وقد رأی علیه السّلام أن رجالاً بیض الوجوه فی أیدیهم أعلام بیض، وهم متقلدون بسیوف لهم، فخطو حول هذه الأرض خطه، وقد رأی علیه السّلام أن الامام الحسین علیه السّلام قد غرق فی الدم وأنه یستغیث فلا یغاث، وأن الرجال البیض نزلوا من السماء وهم ینادون: صبراً آل الرسول صبراً ثم تقدموا إلی الامام علی علیه السّلام فعزوه بولده وقالوا: أبشر یا أبا الحسن فقد أقر الله عینک بابنک الحسین غداً یوم یقوم الناس لرب العالمین.

وقال الامام علیه السّلام لابن عباس:

فو الذی نفس علیّ بیده! لقد حدثنی الصادق المصدوق أبوالقاسم صلی الله علیه وآله أنی سأری هذه الرؤیا بعینها فی خروجی إلی قتال أهل البغی علینا، وهذه أرض کربلاء الذی یدفن فیها ابنی الحسین وشیعته وجماعه من ولد فاطمه بنت محمد صلی الله علیه وآله، وأن هذه البقعه المعروفه فی أهل السماوات تذکر بأرض کرب وبلاء، ولیحشرن منهاقوم یدخلون الجنه بلا حساب(۱).

النزول بصفین

وأشرف عساکر علی وأصحابه علی أهل الشام، فلما نظر معاویه إلی إبل مجنبه بالخیل، أقبل علی عمرو بن العاص فقال:

أبا عبد الله! أما أبو الحسن فقد وفی لک بما قال إنه یجنب الخیل بالقلاص؛ فقال عمرو بن العاص: صدقت یا معاویه: ولکن أشدد حیازیمک لملاقاته، فإنک تعلم قد وافاک، والله من لو لقی أهل الشام

۱- الفتوح: ۲/۵۶۸- ۴۶۹.

بأجمعهم وهو وحيد لم يخالجه خوف ولا رهبه فقال معاويه صدقت، ولكن معه رجال ومعنا رجال.

ونزل على (رضـى الله عنه) بالعساكر والأثقال، وذلك فى النصف من المحرم سنه ثمان وثلاثين؛ وأمر معاويه أصحابه فنزلوا على شاطئ الفرات وحالوا بين على وأصحابه وبين الماء)(۱).

ولمّا (أنطلق السقاءون والغلمان إلى طريق الماء، حالت خيل معاويه بينهم وبين الماء(۲).

ص: ۲۴۹

۱- الأخبار الطوال : ۱۶۸.

۲- الامامه والسياسه: ۱/۹۴.

من آداب الحرب فى الإسلام

الغلبه على الماء

أرسل معاويه بن أبى سفيان أبا الأعور السلمى حين نزل صفين ليحولوا بين جيش الامام عليه السّلام وبين الفرات، ثم لما نزل الامام عليه السّلام وأصحابه صفين منعوا الماء وحالت خيل معاويه بينهم وبينه، وشكى أصحاب الامام عليه السّلام ما هم فيه، وموقف معاويه وجنده.

وأرسل الامام عليه السّلام صعصعه بن صوحان إلى معاويه وفى روايه الامامه والسياسه(۱)، بعث الأشعث بن قيس إليه ليفاوضه حول مسأله الماء وانّه مباح ولو سبقنا إليه لما منعاهم إياه.

الخُلقيه الأمويه

ودعا أمير المؤمنين عليه السّلام صعصعه بن صوحان؛فقال له:

ائت معاويه وقل له: إنا سرنا مسيرنا هذا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أُخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، والناس غير منتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا

۱- تاريخ الطبرى :۵/۶۱۱.

بین النـاس وبین المـاء ویکفوا حتی ننظر فیمـا بیننـا وبینکم، وفیماقـدمنا له وقـدمتم له، وإن کان أحب إلیک أن نترک ما جئنا له ونترک الناس یقتتلون علی الماء حتی یکون الغالب هو الشارب فعلنا.

إستشاره معاویه

وبعد أن أبلغ صعصعه بن صوحان رساله الامام علیه السّلام معاویه استشاره أصحابه؛

وقال: ما ترون؟

فقـال الولیـد بن عقبه: أمنعهم المـاء کمـا منعوه عثمـان بن عفـان، حصـروه أربعین صـباحاً یمنعونه برد الماء، ولین الطعام، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله عطشاً(۱).

وقـال عبـد الله بن أبی سـرح – وکـان أخـا عثمـان لأمه-: (أمنعهم المـاء إلی اللیل، لعلهم أن ینصـرفوا إلی طرف الغیضه، فیکون انصرافهم هزیمه)(۲).

بید أن عمرو بن العاص أشار علی معاویه أن یخل عن القوم یشربوا. فقال معاویه: هذا أول الظفر لا سقانی الله من حوض الرسول إن شربوا منه، حتی یغلبونی علیه(۳).

وإن عبد الله بن أبی سرح قد أکبر کلام الولید؛ وقال لمعاویه:

صدق الولید فی قوله: فامنعهم الماء، منعهم الله إیاه یوم القیامه !

فقال صعصعه بن صوحان إنما یمنعه الله یوم القیامه الکفره الفجره

ص: ۲۵۱

۱- الأخبار الطوال: ۱۶۸.

۲- الامامه والسیاسه: ۱ /۹۴.

۳- الفتوح : ۳/۶.

مثلک ومثل نظرائک هـذا الذی سـماه الله فی الکتاب فاسـقاً الولید بن عقبه الذی صـلّی بالناس الغداه أربعاً وهو سـکران ثم قال: أزیدکم؟ فجلد الحد فی الإسلام(۱).

فوثب رجل من أهل الشام یقال له المعری بن الأقبل وکان ناسکاً؛

فقال یا معاویه، سبحان الله، الآن سبقتم القوم إلی الفرات فغلبتموهم علیه تمنعوهم منه؟

أما والله لو سبقوکم إلیه لسقوکم منه...

ألیس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فینزلوا علی فرضه أخری فیجازوکم بما صنعتم؟

ثم قال لمعاویه هـذا والله أول الجور. لقد شـجعت الجبان، وبصـرت المرتاب وحملت من لا یرید حقاً لک علی قتالک، فأغلظ له معاویه.

ثم سار الرجل فی سواد اللیل، فلحق بعلی(۲).

وإن الامام علیه السّلام فعلاً لم یمنع أهل الشام الماء حین استولی جنده علیه.

الدعوه إلی الطاعه والجماعه

إن علیاً دعا بشیر بن عمرو بن محصن الأنصاری، وسعید بن قیس الهمدانی، وشبث بن ربعی التمیمی، فقال علیه السّلام:

ائتوا هذا الرجل – معاویه فادعوه – إلی الله وإلی الطاعه والجماعه، فقال له شبث بن ربعی: یا أمیر المؤمنین، ألا تطمعه فی سلطان تولیه إیاه، ومن–زله یکون له بها أثره عندک إن هو بایعک؟

۱– صفین: ۱۶۳–۱۶۴، الفتوح: ۳/۷.

۲– تاریخ الطبری: ۵/۶۱۲–۶۱۳.

فقال على: ائتوه فالقوه واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه - وهذا فى أول ذى الحجه، سنه ٣٦ه- - فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمره بشير بن عمرو وقال: يا معاويه إن الدنيا عنك زائله، وإنك راجع إلى الآخره، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك، وجازيك بما قدمت يداك، وإنى أنشدت الله عزّ وجلّ أن تفرق جماعه هذه الأمه، وإن تسفك دماءها بينها!

فقطع - معاويه - عليه كلامه، وقال: هلّا أوصيت بذلك صاحبك؟

فقال أبو عمره: إن صاحبى ليس مثلك، صاحبى أحق البريه كلها بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقه فى الإسلام، والقرابه من الرسول صلى الله عليه وآله.

قال - معاويه - فيقول ماذا؟

قال: يأمرك بتقوى الله، وإجابه ابن عمك إلى ما يدعوا إليه من الحق، فإنه أسلم لك فى دنياك، وخير لك فى عاقبه أمرك.

قال معاويه: ونطل - نبيح - دم عثمان لا والله لا أفعل ذلك أبداً(١).

اتق الله يا معاويه، ثم بادره شبث بن ربعى، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

يا معاويه، إنى قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تعزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تغوى به الناس وتستميل به أهواءهم، وتستخلص طاعتهم إلّا قولك: قُتل امامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام - أراذل

١- تاريخ الطبرى: ٥/٦١٣-٦١٤.

الناس - وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المن-زله أصبحت تطلب، ورب متمنى أمر وطالبه والله عزّ وجلّ يحول دونه بقدرته، وربما أوتى المتمنى، أمنيته وفوق أمنيته، ووالله مالك فى واحده منها خير، لئن أخطأت ما ترجو أنك لشر العرب حالاً فى ذلك، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق صُلىّ النار، فاتق الله يا معاويه ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله.

فقال معاويه أما بعد: فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفه علمك، قطعك على هذا المشيب الشريف سيد قومه منطقه، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت، ولؤمت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فإنه ليس بينى وبينكم إلّا السيف(۱).

معاويه وزياد بن خصفه

وبعث معاويه إلى زياد بن خصفه التيمى فخلا به، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

أما بعد يا أخا ربيعه،، فإن علياً قتل امامنا، وآوى قتله صاحبنا، وإنى أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أُوليك إذا ظهرت أى المصرين أحببت.

وعن المحل بن خليفه قال:

سمعت زياد بن خصفه يحدث بهذا الحديث، قال: فلما قضى معاويه كلامه حمدت الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه، ثم قلت: أما بعد،

۱- وقعه صفين: ۱۸۷. تاريخ الطبرى :۵/۶۱۸. وبين المصدرين تفاوت بسيط فى المنقول التاريخى.

فإني على بينه من ربى وبما أنعم على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ثم قمت(۱).

حجه أخرى قبل الحرب

كان الطرفان قد توادعوا حتى ينصرم المحرم (۳۷ه-)، فلما انصرم أمر على مرثد بن الحارث الجشمى، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس:

ألا- أن أمير المؤمنين يقول لكم: إنى قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى الحق، وإنى قد نبذت لكم على السواء إن الله لا يحب الخائنين(۲).

ما ورد من الأحاديث في معاويه

نقل الرواه أحاديث تحمل فضائل لمعاويه بن أبى سفيان. قال عنها السيوطى: أنها لا تثبت((۳))، وإن القارئ لها يجدها متهافته تتعارض وواقع مواقفه وسلوكه، أو مع ما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله فى حق بعض الصحابه، كعمار وحجر بن عدى، فضلاً عما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله بذم

معاويه وأبيه وأخيه.

فعن ابن الزبير عن جابر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاويه بن أبى سفيان يخطب على منبرى

۱- وقعه صفين، نصر بن مزاحم المنقرى: ۱۹۹، وتاريخ الطبرى: ۵، ص۶۲۲.

۲- صفين : ۲۱۷-۲۱۸. تاريخ الطبرى: ۴/ ۶، (۸) مجلدات، طبعه الأعلمى.

۳- - تاريخ الخلفاء، السيوطى: ۶.

فأضربوا عنقه)(۱). قال الحسن البصری -: فما فعلوا ولا أفلحوا.

وعن الحسن قال:

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: «إذا رأیتم معاویه یخطب علی منبری فاقتلوه».

قال فحدثنی بعضهم قال:

قال أبو سعید الخدری: فلم نفعل ولم نفلح، وعن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفیان ومعه معاویه، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله:

«اللهم ألعن التابع والمتبوع، اللهم علیک بالأقیعس».

فقال ابن البراء لأبیه من الأقیعس؟ قال: معاویه(۲).

فرقوا بین معاویه وعمرو.

عن جعفر بن محمد قال: دخل زید بن أرقم علی معاویه، فإذا عمرو بن العاص جالس معه علی سریر، فلما رأی ذلک زید جاء حتی رمی بنفسه بینهما، فقال له عمرو بن العاص:

أما وجدت لک مجلساً إلّا أن تقطع بینی وبین أمیر المؤمنین؟

فقال زید: إن رسول الله صلی الله علیه وآله غزا غزوه وأنتما معه، فرآکما مجتمعین فنظرإلیکما نظراً شدیداً، ثم رآکما الیوم الثانی والیوم الثالث، کل ذلک یدیم النظر إلیکما، فقال فی الیوم الثالث: (إذا رأیتم معاویه وعمر بن

۱- لسان المیزان: ۲/ ۲۴۷، و انظر: میزان الأعتدال: ۲/ ۳۳۷.

۲- وقعه صفین: ۲۱۸-۲۱۹، شرح الأخبار، القاضی النعمان بن محمد التمیمی المغربی، وفاته عام ۳۶۳ه-، مؤسسه النشر الاسلامی، قم: ۲/۵۲۷.

العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير)(١).

وعن طاووس عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبى صلى الله عليه وآله فسمعته يقول:

(يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت وهو على غير سنتى، فشق عليّ ذلك وتركت أبى يلبس ثيابه ويجىء، فطلع معاويه)(٢).

إلى كثير من الأحاديث والروايات الأخرى فى هذا المضمون لسنا بصدد الإحصاء لها أو سردها وإنما أخذنا قدر الحاجه إشارةً ليس إلا.

بدء القتال

وبعد انتهاء الموادعه وتصرم الشهر الحرام - حسب بعض الروايات - بدأ القتال بين الطرفين وكان يبرز الشخص للآخر من هذا الطرف أو ذاك، ثم تبرز الجماعه للجماعه حتى كان ليله الهرير التى هجم بها جيش الامام عليه السّلام على جيش معاويه وكاد النصر أن يكون لجيش الامام عليه السّلام الذى تمكن من إلحاق خسائر فادحه بالجيش الشامى حتى بلغ بعض قاده جيش الامام عليه السّلام فسطاط معاويه، غير أن خدعه ابن العاص أخذت مأخذها بين صفوف جيش الامام عليه السّلام، فتفرقوا بين داعٍ للصلح والمهادنه، وبين مصر على استمرار القتال. وكان الامام عليه السّلام رافضاً لمسأله التحكيم وعذل أصحابه عن قبول خدعه عمرو إلاّ أنهم أخيراً أكرهوا الامام عليه السّلام على وقف القتال فنجى معاويه من هزيمه نكراء، وتحول الموقف لصالح معاويه فى آخر المطاف بالكيد والخديعه، وإن

١- صفين: ٢٢٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرانى، وفاته عام ٣٦٠ه-، مكتبه ابن تيميه، القاهره، الطبعه الثانيه، بدون تاريخ: ٧/٢٨٩،شرح الأخبار، القاضى النعمانى المغربى: ٢/٥٣٧.

٢- صفين : ٢٧٤-٢٧٥.

الامام علی علیه السّلام قد طلب من معاویه أن یکفیا الناس القتل والقتال ودعاه لمبارزته، فعن عمرو بن شمر قال:

ثـم قـام علی بین الصـفین، ینـادی یـا معـاویه: یکررهـا - فقـال معـاویه: اسـألوه، مـا شـأنه؟ قـال: أحب أن یظهر لی فـأکلمه کلمه واحده(۱).

فبرز معاویه ومعه عمرو بن العاص.

قال الامام علیه السّلام لمعاویه: ویحک علام یقتل الناس بینی وبینک، ویضرب بعضهم بعضا؟

أبرز إلیَّ فأینا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاویه إلی عمرو فقال: ما تری یا أبا عبد الله فیما هاهنا، أبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفک الرجل(۲).

فقال معاویه:

إنک تعلم أنه لم یبارزه رجل قط إلاّ قتله، ولکنک طمعت فیها - الإمره والخلافه - بعدی(۳).

وقال معاویه:

ویحک یاعمرو ما أحمقک أترانی أبرز إلیه ودونی عک والأشعرون وجذام؟

ثم إنّصرف معاویه إلی آخر الصفوف وعمرو معه؛ فلما رأی علی علیه السّلام ذلک

۱- وقعه صفین : ۲۷۵ .شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۸/۵۳.
۲- البدایه والنهایه، ابن کثیر :۷/۲۸۲.
۳- صفین: ۲۷۵.

ضحک وعاد إلی موقفه(۱).

أهل الشام ومعاویه

ولما سمع أهل الشام نداء الامام علیه السّلام وصیحاته بمعاویه لیخرج لمبارزته، نهوه عن مبارزه علی: فقام أبرهه بن الصباح الحمیری فقال: یا هؤلاء! أظن أن الله تبارک وتعالی قد أذن فی هلاککم، ویحکم خلوا بین الرجلین فلیقتتلا، فأیهما قتل صاحبه ملنا معه جمیعاً.

فقال معاویه لأصحابه:

نحوا هذا واجعلوه فی آخر الصفوف، فإنی أظنه مصاباً فی عقله؛ فقالت أهل الشام: لا والله یا معاویه! ما أبرهه بالمصاب فی عقله وإنه لأکملنا عقلا ورأیا ودیناً وفهما، ولکنک کاره فی مبارزه علی(۲).

وکان عتبه بن أبی سفیان قال لأخیه معاویه:

إله عن کلام علی حتی کأنک لم تسمعه، فإنک تعلم أنّه قتل غلامک حریثاً، وفضح عمرو بن العاص، ولیس أحد من العرب یقدم علی مبارزه علی (رضی الله عنه) إلاّ وهو من نفسه آیس، فإیاک ومبارزته أو والله لئن برزت إلیه لا شممت رائحه الحیاه بعدها أبداً(۳)، وکان معاویه قال لعتبه: والله لقد دعانی إلی النزال حتی لقد استحییت من قریش.

۱- الفتوح: ۳/۱۰۴.

۲- الفتوح :۳/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۳- الفتوح:۳/۴۷.

لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله

وخرج عمرو بن العاص يوما، ومعه شقه سوداء على قناه، فقال الناس: (هذا اللواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقال على رضى الله عنه:

(أنا مخبركم بقصه هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال من يأخذه بحقه؟ فقال عمرو: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: لا تفر به من كافر، ولا تقاتل به مسلماً). فقد فرّ به من الكافرين فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قاتل به المسلمين اليوم(۱).

وقام عليه السّلام خطيبا، بعد أن أنهكت الحرب جيش معاويه وبان الضعف والوهن فيه، كما لا ينكر أنه قد فقد خلص أصحابه وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كعمار بن ياسر وعبد الله بن بديل وهاشم بن عتبه بن أبى وقاس وغيرهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت أعتبر آخرها بأولها، وقد قاتلكم القوم على غير دين، حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا عاد عليهم بنفسى بالغداه أحاكمهم. إلى الله(۲).

۱- الامامه والسياسه: ۱/۱۰۸-۱۰۹.

۲- الامامه والسياسه :۱ /۱۰۹.

الفصل الرابع

اشاره

ص: ۲۶۲

الخوارج

كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعه عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج فى أيام الصحابه على الأئمه الراشدين أو كان بعدهم من التابعين بإحسان والأئمه فى كل زمان، واعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه(۱) جماعه ممن كان معه فى حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندى ومسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى حين، قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف؛ حتى قال:

أنا أعلم بما فى كتاب الله انفروا إلى بقيه الأحزاب انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله(۲)، قالوا: لترجعن الأشتر(۳).

الراسبى / وهب بن عبد الله

لقد عُرف الراسبى «زعيم الخوارج » ومن خرج معه وما هم عليه من دين وصلاه

ص: ۲۶۴

۱- هذا التحديد من الشهرستانى لا دليل عليه؛ فالخوارج أعم من ذلك وأهل الجمل أول الخارجين على الامام الحق، ومن ثم معاويه وأهل الشام، فالكل يقع تحت هذا العنوان وهذا التعريف، ولا مبرر للحصر بأهل النهروان.

۲- - الملل والنحل، الشهرستانى: ۱/۱۱۲.

۳- الملل والنحل، الشهرستانى: ۱/۱۱۲.

وصيام منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله فى قصه اشتهرت بين المسلمين رويت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فى الراسبى وجماعته وما يؤول إليه أمرهم.

روى البخارى(١) عن الزهرى، قال: أخبرنى أبو سلمه بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى، قال: بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصره وهو رجل من بنى تميم، فقال:

يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومَنْ يَعدِل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل؛ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وآله: دعه فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى نضبه وهو قدحه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر إلى قذذه فلم يوجد فيه شىء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأه أو مثل البضعه تدردر ويخرجون على حين فرقه من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذى نعته.

وهكذا رواه مسلم(٢) من حديث أبى سعيد، ورواه البخارى أيضا

١- صحيح البخارى: ٣/١٣٢١، ح٣۴١۴.

٢- صحيح مسلم: ٢/٧۴٠، ح١٠۶٣.

من حديث الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمه والضحاك عن أبى سعيد، وأخرجه البخارى أيضا من حديث سفيان بن سعيد الثورى عن أبيه ومسلم عن هناد عن أبى الأحوص سلام بن سليم عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبى سعيد الخدرى به، وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث داود بن أبى هند والقاسم بن الفضل وقتاده عن أبى نضره عن أبى سعيد قال:

قال رسول الله: تمرق مارقه عند فرقه المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق،

ورواه أيضا من حديث أبى اسحاق الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد مرفوعاً، وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه عن ابن مسهر عن الشيبانى عن بشير بن عمرو، قال:

سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله يذكر هؤلاء الخوارج، فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشرق، وفى روايه نحو العراق يخرج قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه محلقه رؤوسهم، وروى مسلم من حديث حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت عن أبى ذر نحوه وقال سيماهم التحليق شر الخلق والخليقه(۱).

ورواه البيهقى عن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن جرير عن لاحق قال كان الذين خرجوا على على بالنهروان أربعه آلاف فى الحديد فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعه رهط، وإن شئت فاذهب إلى أبى برزه فانه يشهد بذلك قلت الأخبار بقتال الخوارج متواتره عن رسول الله لأن ذلك من

۱- البدايه والنهايه:۶/۲۱۶.

طرق تفید القطع عند أئمه هذا الشأن ووقوع ذلک فی زمان علی معلوم ضروره لأهل العلم قاطبه وکما تواتر کیفیه خروجهم وسببه ومناظره ابن عباس لهم فی ذلک ورجوع کثیر منهم إلیه.

وأخرج أحمد بن حنبل عن محمد بن کعب بن خیثم عن عمار بن یاسر قال:

قال رسول الله لعلی حین ولی غزوه العشیره:

یا أبا تراب لما یری علیه من التراب ألا أحدثک بأشقی الناس رجلین، قلنا: بلی یا رسول الله، قال: أحیمر ثمود الذی عقر الناقه والذی یضربک یا علی علی هذه یعنی قرنه حتی یبل هذه یعنی لحیته.

وقد روی البیهقی بإسناد صحیح عن زید بن اسلم عن أبی سنان المدرکی عن علی فی إخبار النبی بقتله، وروی من حدیث هیثم عن إسماعیل بن سالم عن أبی إدریس الأزدی عن علی قال:

إن ما عهد إلی رسول الله أن الأمه ستغدر بک بعدی ثم ساقه من طریق قطر بن خلیفه وعبد العزیز بن سیاه عن حبیب بن أبی ثابت عن ثعلبه بن یزید الحمامی، قال: سمعت علیا یقول: إنه لعهد النبی الأمی إلی إن الأمه ستغدر بک بعدی(۱).

وروی البیهقی عن الحاکم عن الأصم عن الحسن بن مکرم عن أبی النضر عن

۱- شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید: ۴/ ۱۰۷ ؛ بغیه الباحث عن زوائد مسند الحارث، علی بن أبی بکر الهیثمی، وفاته عام ۸۰۷ه- ؛ مسعد عبد الحمید السعدنی، دار الطلائع: ۲۹۶؛ البدایه والنهایه: ۶/۲۴۴.

محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقیل عن فضاله الأنصاری وکان أبوه من أهل بدر، قال: خرجت مع أبی عائدا لعلی بن أبی طالب فی مرض أصابه، قال: فقال:

أبی ما یقیمک بمنزلک هذا فلو اصابک أجلک لم یکن إلا أعراب جهینه تحملک إلی المدینه، فإن أصابک أجلک ولیک أصحابک وصلوا علیک فقال علی: إن رسول الله عهد إلی أن لا أموت حتی تخضب هذه یعنی لحیته من دم هذه یعنی هامته، فقتل وقتل أبو فضاله مع علی یوم صفین.

وقال أبو داود الطیالسی(۱): حدثنا شریک عن عثمان بن المغیره عن زید بن وهب، قال:

جاء رأس الخوارج إلی علی فقال له: اتق الله فإنک میت، فقال: لا والذی فلق الحبه وبرأ النسمه ولکن مقتول من ضربه علی هذه تخضب هذه وأشار بیده إلی لحیته عهد معهود وقضاء مقضی وقد خاب من افتری.

وفی الصحیحین(۲) من حدیث الأعمش عن خیثمه عن سوید بن غفله عن علی سمعت رسول الله یقول:

یخرج قوم فی آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام یقولون من قول خیر البریه لا یجاوز إیمانهم حناجرهم؛ فأینما لقیتموهم فاقتلوهم فإن فی قتلهم أجراً لمن قتلهم إلی یوم القیامه.

۱- مسند الطیالسی: ۱/ ۲۳، ح ۵۷. انظر المستدرک علی الصحیحین: ۳/۱۵۴.
۲- صحیح البخاری : ۳/۱۳۲۱، ح ۳۴۱۵، صحیح مسلم : ۲/۷۴۶، ح ۱۰۶۶.

التحكيم ونتائجه

كـان للفتره التى قضاهـا معـاويه فى الشام والتى تقرب من ربع قرن تقريباً من عام (١٢ – ٣٥ه–) دور بـارز فى إعطاء معاويه مركز منوط الأركان، وجيش لم يخض حرباً لفتره طويله، وما كان من سياسه معاويه فى إبعاد أهل الشام عن الاختلاط بالمسلمين من الأمصـار الأـخرى خوفاً على تغير طبـائعهم وتأثرهم بسلوك وخلقيه أهل الأمصار، حتى انه فى وصيته ليزيـد أشار عليه أن يبعد الشاميين عن الاختلاط بالآخرين جهده وإذا ما أضيف إلى ذلك عامل عرف به معاويه وأشتهر به، وهو أنْ لا تحجبه وسيله ولا تمنعه عن بلوغ غـايته، فهو لاـ يتحرج من اتخـاذ كـل طريقه وكـل سبيـل من أجـل طموحه فى السلطه والملك، وقـد أبرز ذلك الأحـداث من يوم استدعاه عثمـان لنجـدته وتماهله عنه وحتى نهايه حكمه بموته عام ٦٠ه– حيث عهـد ليزيد بالخلافه؛ فتحولت إلى ملك عضوض، فمعاويه الذى استمال عمرو بن العاص بان جعل له مصر (طعمه)، حاول الكثير

مع بعض أصحاب الامام على عليه السّلام وقاده جيشه، فخاب مع من عرف الحق، ونجح مع أهل المصالح كالأشعث بن قس الـذى ألبس على النـاس وأكره الامـام عليه السّلام على قبول التحكيم، وبالتالى أنقسم الجيش وكادت تقع الفرقه لولا أن حسم الامـام على عليه السّلام الموقـف بإرسـاله للأشتر أن يـترك مـوقعه ويـأتيه، فإصـرار الأشعث ورهطه من أهـل اليمن والخوارج وموقفهم وحواراتهم التى تنبأ أن يفعلوا بالامام عليه السّلام

– كمـا صـرحوا – كمـا فعلو بعثمان بن عفان كل هـذه العوامل قـد أجبرت الامام عليه السّلام على هـذا الموقف الـذى أدى إلى ظهور الخوارج وتولى معاويه الخلافه؛ فصحيح أنّ رفع المصاحف قـد أبدل هزيمه محققه لمعاويه، وتحسم القضيه له وبالهزيمه النفسيه لجند الامام عليه السّلام، إلاّ أنّ العوامل السابقه كانت ممهده ومتسبب فى النتائج، فضلاً عما أصاب

ص: ٢٦٩

الجيش المنظم إلى الامام عليه السّلام من فرقه وانقسام، ولما كان قد ألم به يوم الجمل، فربما كان لذلك وللأسباب السابقه كلها أن تكون النتيجه لصالح معاويه، والذى يقول لما عاد الأشتر إلى على كدت أطلب منه الأمان، وهممت بالهرب لولا رفع المصاحف.

مواقف من التحكيم

كان رفع المصاحف بدايه التمهيد لقضيه التحكيم والحكمين، ومن ثم التأسيس لقيام الدوله الأمويه كما يرجع إليه ما حصل من فرقةٍ واختلاف فى جيش الامام على عليه السّلام، وإن الحكمين وبالصوره التى ظهرت كانا من نتائج رفع المصحف أيضاً.

ونورد هنا جمله من الأقوال، لتوضيح سيرالأحداث بعد رفع المصحف من قبل جيش الشام وما كانت نتائج ذلك وتأثيره على الطائفتين:

روى أن شقيق بن ثور البكرى وثب، فقال:

يا أهل العراق: أنكم تعلمون أننا كنا دعونا، أهل الشام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإنّ رددناه عليهم حل لهم مثلما حل لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وإن علياً رضى الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف فى أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلّا البقاء فى الموادعه والسلام ...

ثم وثبت خالد بن معمر السدوسى فقال:

فإن إذ سبقنا إلى الكلام، فإننا لا نرى البقاء إلّا فيما دعاك القوم إليه، فإن رأيت ذلك فأجبهم وإن لم ترى ذلك فرأيك أفضل.

ثم وثب رفاعه بن شداد البجلى وكان من أفاضل أصحاب على رضى الله عنه،

فقال:

أيها النـاس: إنه لا يفوتنا شـيء من حقنا وقـد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه فى أول أمرنا، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعـد بلاء شديـد وقتل ذريع، وإن تكن الأخرى أثرناها عجاجه، فهذه سـيوفنا فى رقابنا وأرماحنا فى أكفنا((١)).

وبعيـد هـذه السـجالات الكلامـيه وغيرها، جاء إلى أى إلى الامام على عليه السّلام زهاء عشـرين ألفاً مقنعين فى الحديـد شاكى السـلاح، سـيوفهم على عواتقهم، قد اسودت جباهم من السـجود،يتقدمهم مسـعر بن فدكى، وزيد ابن حصـين وعصابه من القراء الـذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسـمه لا بإمره المؤمنين يا على، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان(٢)، والله لنفعلها بك إن لم تجب القوم إلى كتاب الله(٣).

موقف الامام عليه السّلام

فقال الامام على عليه السّلام لهم:

ويحكم، أنـا أول من دعـا إلى كتـاب الله وأول من أجـاب إليه، وليس يحـل لى ولا يسـعنى فى دينى أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنى

١- - الفتوح: ٣/١٨٣- ١٨٥.

٢- وقعه صفين: ٤٨٩-٤٩٠.

٣- الفتوح :٣/١٨٥.

إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، لكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فأبعث إلى الأشر ليأتيک. وقد كان الأشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله(۱).

حكايه لمصعب بن الزبير

سأل مصعب بن الزبير إبراهيم بن الأشتر - وهو ممن شهد صفين - حين دخل عليه بعد مقتل المختار - كيف كانت رفع المصاحف، فقال إبراهيم:

كنت عند على حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، فأرسل إليه على يزيد بن هانئ: أن ائتنى، فأتاه فبلغه فقال الأشر ائته فقل له: ليس هذه بالساعه التى ينبغى لک أن تزيلنى فيها عن موقفى... فرجع يزيد بن هانئ، إلى على فأخبره، فما هو إلّا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراک إلّا أمرته بقتال القوم(۲).

قالوا: فابعث إليه - أى لمالک الأشتر - فليأتک وإلّا والله عزلناک(۳)، وفى روايه وإلّا قتلناک كما قلتنا عثمان(۴).

۱- صفين: ۴۹۰.

۲- صفين/۴۹۰، ويراجع تاريخ الطبرى: ۵/۶۶۱-۶۶۲.

۳- الفتوح :۳/ ۱۸۶.

۴- صفين/۴۹۱.

وحین عاد الأشتر قال لهم بعد أن وبخهم:

(أمهلونی فواقا، فإنی قد أحسست بالفتح، قالوا: لا.

قال: فأمهلونی عدوه الفرس، فإنی قد طمعت فی النصر.

قالوا: إذن ندخل فی خطیئتک.

قال: فحدثونی عنکم وقد قتل أماثلکم وبقی أراذلکم، متی کنتم محقین، أحین کنتم تقتلون أهل الشام، أم أنتم الآن فی إمساککم عن القتال محقون؟ فقتلاکم إذن الذین لا تنکرون فضلهم وکانوا خیراً منکم فی النار.

قالوا: دعنا منکم یا أشتر(۱).

موقف عقائدی

وقال رجل للأشتر: یا هذا! إن أمیر المؤمنین قد قبل الحق ورضی بحکم القرآن ولم یسعه إلاّ ذلک فلا تقتل نفسک.

فقال الأشتر: إن کان أمیر المؤمنین قد رضی فقد رضیت بما رضی به أمیر المؤمنین.

معاویه یطلب الأمان

فکان معاویه بعد ذلک یقول:

والله لقد رجع عنی الأشتر یوم رفع المصاحف وأنا أرید أن أسأله أن یأخذ لی الأمان من علی(۲).

۱- صفین/۴۹۱.

۲- الفتوح: ۳/۱۸۸.

وجاء الأشعث بن قيس – لما رفعت المصاحف – إلى على فقال له:

ما أرى الناس إلّا قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاويه فسألته ما يريد، فنظرت فيما يسأل، قال: ائته إن شئت.

الأشعث ومعاويه

فأتى الأشعث معاويه، فقال:

يا معاويه لأى شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فقال له الأشعث بن قيس،: هذا الحق، فانصرف إلى على فأخبره بالذى قال معاويه.

فقال الناس: فإنا قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإنا قد أخترناعمرو بن العاص.

فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإنا قد رضينا بأبى موسى الأشعرى.

الامام عليه السّلام وأبو موسى

قال على: فإنكم قد عصيتمونى فى أول الأمر، فلا تعصونى الآن، إنى لا أرى أن أولى أبا موسى.

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائى ومسعر بن فدكى: لا نرضى إلّا به، فإن ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه.

قال علی: فإنه لیس لی بثقه، قد فارقنی، وخذل الناس عنی ثم هرب منی حتی آمنته بعد أشهر، ولکن هذا ابن عباس نولیه ذلک.

قالوا: ما نبالی أنت کنت أم ابن عباس: لا نرید إلاّ رجلًا هو منک ومن معاویه سواء.

قال علی: فإنی أجعل الأشتر.

قال الأشعث: وهل سعر الأرض غیر الأشتر؟! وقال: هل نحن إلاّ فی حکم الأشتر؟ قال علی: وما حکمه(۱).

قال: (یضرب بعض وجوه بعض حتی یکون ما یرید الله)(۲).

قال الامام علیه السّلام: فقد أبیتم إلاّ أبا موسی؟ قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم (اللهم إنی أبرأ إلیک من صنیعهم)(۳)، ثم بعثوا إلی الأشعری وکان قد اعتزل القتال، وجاء أبو موسی حتی دخل العسکر(۴).

مواقف ضد اختیار الأشعری

إن أصحاب الامام علیه السّلام، الذین عرفوا (الأشعری) وموقفه من الامام علیه السّلام وحروبه وخلافته، طلبوا منه أن یرسل غیره، وکان أولهم مالک الأشتر، ثم جاءه الأحنف بن قیس وطلب منه أن یرسله بدلاً عن أبی موسی لعدم أهلیته فی مواجهه عمرو بن

۱- تاریخ الطبری: ۵/۶۳۳-۶۶۴.
۲- الأخبار الطوال: ۱۹۲.
۳- الفتوح: ۴/۱۹۹.
۴- وقعه صفین: ۵۰۰.

العاص، فأبى الناس إلّا أبا موسى والرضا بالكتاب.

فقال الأحنف:

فان أبيتم إلّا أبا موسى فادفؤا ظهره بالرجال(١)، ثم قال لهم الامام على عليه السّلام: غير أنى أراكم قد أجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم(٢)

ويروى ابن أعثم:

أن أبا الأعور السلمى أقبل من عند معاويه وعلى رأسه المصحف حتى وقف قريباً من عسكر على رضى الله عنه، ثم نادى بأعلى صوته: ... قد جئتكم فى أمر لنا ولكم فيه حياه، وعذر وصلاح وحقن الدماء وألفه الدين وذهاب الفتن، أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكما ويحكم بيننا حكمان مرضيان: أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم، يحكمان بما فى كتاب الله عزّ وجلّ فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا على! فيما دعيت إليه وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فصاحت به الناس: إننا قد رضينا بحكم القرآن.

فقال أبو الأعور:

فالحمد لله على ذلك، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور، ثم إنّصرف إلى العسكر.

فقال على رضى الله عنه: ويحكم! إن معاويه لم يكن ليختار لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره إلّا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح

١- تاريخ الطبرى: ٥/٦٦٤.

٢- الفتوح: ٢/١٨٩.

للقرشی إلا مثله، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمراً لا یعقد عقده إلّا حلها، ولا یبرم أمراً إلّا نقضه، ولا ینقض أمر إلّا أبرمه.

فقال: الأشعث ومن معه: لا والله لا یحکم فینا مضریان أبداً حتی تقوم الساعه: ولکن یکون رجل من مضر ورجل من الیمن؛ فقال علی رضی الله عنه: إنی أخاف أن یخدع یمانیکم، فإن عمرو بن العاص لیس من الله فی شیء؛ فقال الأشعث: والله لأن یحکما ببعض ما نکره وأحدهما من الیمن أحب إلینا من أن یکون ما تحب وهما مضریان(۱).

ثم اجتمع قرّاء أهل العراق وقراء أهل الشام بین العسکریین ومعهم المصحف، فنظروا فیه وتدارسوه واجتمعوا علی ما فیه أن یحیوا ما أحیا القرآن وأن یمیتوا ما أمات القرآن، فرضی الفریقان جمیعاً بالحکمین، وجعلوا المده فیما بین ذلک إلی سنه کامله(۲).

۱- الفتوح: ۴/۱۹۸.

۲- الفتوح: ۴/۱۹۷.

صحیفه التحکیم

الاختلاف فی کتابتها

فغمد الناس أسیافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا علی التحکیم. والتقوا فی المنصف بین العسکریین ودعوا بالکاتب، عبید الله بن رافع مولی رسول الله صلی الله علیه وآله وهو کاتب علی علیه السّلام واجتمع الناس من أهل العراق والشام(۱).

وقالوا: (اکتب بسم الله الرحمن الرحیم، هذا ما تقاضی علیه أمیر المؤمنین) فقال معاویه: (بئس الرجل أنا إن أقررت بأنه أمیر المؤمنین، ثم أقاتله).

فقال عمرو بن العاص: (بل أکتب أسمه واسم أبیه).

فقال: علی الله أکبر سنه بسنه، أما والله لقد جری علی یدی نظیر هذا یوم الحدیبیه - قریه قریبه من مکه - وامتناع قریش أن یکتب محمد رسول الله(۲)، فکتبت ذلک بأمر الرسول صلی الله علیه وآله، فقال یا علی! إن لک یوماً مثل هذا، أنا أکتبها للآباء وتکتبها للابناء(۳).

ص: ۲۷۸

۱- الفتوح: ۴/۲۰۱.

۲- الأخبار الطوال/۱۹۴.

۳- الفتوح: ۴/۲۰۱.

وكان أبو سفيان حاضراً فى الصلح، فقال للنبى صلى الله عليه وآله:

يـا محمـد! إنى لو أقررت أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن أكتب لناصـحيفتك باسـمك واسم أبيك، ثم قال الامام على عليه السّلام، فكتبت ذلك(۱).

نص الصحيفه

إن مما يلحظ على المنقول التاريخى فى المصادر المختلفه، أن هناك تفاوتاً فى النقل فضلاً عما اشتمل بعضه على إرباك وعدم وضوح وربما أن ما أورده صاحب الفتوح أدق وأكثر تماسكاً من غيره على وجازه نقله(۲).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضـى عليه على بن أبى طالب ومعاويه بن أبى سـفيان، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعه على وأهل الشام من شـيعه معـاويه،إنّهم ين–زلون على حكم كتـاب الله وأنّ كتـاب الله بين على ومعـاويه من فـاتحته إلى خاتمته. وأن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وإن على بن أبى طالب ومعاويه بن أبى سـفيان أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بما أنزل الله فى كتابه، فإن لم يجد فى كتاب الله فبالسـنه الجامعه غير المفرقه، وإن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمنا من الجندين جميعاً على

۱- الفتوح:۴ /۲۰۱، وتاريخ الطبرى: ۵/۶۶۴-۶۶۵.

۲- الأخبار الطوال:۱۹۴، وقعه صفين:۵۰۴، تاريخ الطبرى: ۵/۶۱۵ وما بعدها.

دمائهما وأموالهما، وإن الأمه لهما أنصار على ما تقاضيا عليه، والعهد والميثاق على الفريقين جميعا أن يرضوا بما فى هذه الصحيفه، وأن يرجع أهل العراق، إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم، وأن يكون المجتمع للحكم بدومه الجندل، والمده بين على ومعاويه سنه كامله - والسلام)(۱).

وكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام بخط عبيد الله بن أبى رافع كاتب على، وكتب أهل الشام بهذا كتاباً لأهل العراق بخط عمار بن عباد الكلبى كاتب معاويه، وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام، وشهود أهل الشام على أهل العراق(۲). وإن الكتاب قد (كتب يوم الأربعاء لثلاث عشره ليله بقيت من صفر سنه سبع وثلاثين)(۳).

ص: ۲۸۰

۱- الفتوح: ۴/۲۰۵، ويراجع وقعه صفين للمقارنه: ۵۱۵.
۲- انظر: وقعه صفين: ۵۰۶-۵۰۷، حول أسماء الشهود من الطرفين.
۳- الأخبار الطوال/۱۹۶.

آراء فی صحیفه التحکیم

موقف الأشتر من الصحیفه

وروی نصر بن مزاحم انه: لما کتبت الصحیفه دعی لها الأشتر فقال:

لا صحبتنی یمینی ولا نفعتنی بعدها الشمال إن کتب لی فی هذه الصحیفه اسم علی صلح ولا موادعه، أو لست علی بینه من ربی، ویقین من ضلاله عدوی؟!

أو لستم قد رأیتم الظفر إن لم تجمعوا علی الخور؟!

فقال له رجل من الناس: إنک والله ما رأیت ظفراً ولا فوزاً، هلم بک مع الناس.

قال مالک: بلی والله، إن بی لرغبه عنک فی الدنیا للدنیا وفی الآخره للآخره.

ولقد سفک الله بسیفی هذا دماء رجال ما أنت بخیر منهم عندی ولا أحرم دما.

فقال عمار بن ربیعه: فنظرت إلی ذلک الرجل - أی الأشعث بن قیس- وکأنما قبح علی أنفه الحمم - أی الرماد والفحم وکل ما احترق من النار- ثم قال مالک: ولکن قد رضیت بما صنع أمیر المؤمنین، ودخلت فیما دخل فیه، وخرجت مما خرج منه؛فإنه لا یدخل إلاّ فی هدی وصواب(۱).

ص: ۲۸۱

۱- وقعه صفین:۵۱۱-۵۱۲.

سلیمان بن صرد الخزاعی

عن عون بن أبی صحیفه قال:

أتی سلیمان بن صرد علیاً أمیر المؤمنین بعد الصحیفه ووجهه مضروب بالسیف، قال نظر إلیه علی قال: {فمنهم من قضی نحبه ومنهم من ینتظر وما بدلوا تبدیلا}(۱)، فأنت ممن ینتظر وممن لم یتبدل.

فقال: یا أمیر المؤمنین، ما لو وجدت أعواناً ما کتب هذه الصحیفه أبدا.

أما والله لقد مشیت فی النار لیعودوا إلی أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خیر إلاّ قلیلاً(۲).

محرز بن جریش

وقام محرز إلی علی فقال:

یا أمیر المؤمنین ما إلی الرجوع عن هذا الکتاب سبیل، فوالله إنی لأخاف أن یورث ذلاً.

فقال علی: أبعد أن کتبناه ننقضه، إن هذا لا یحل(۳).

شعار الخوارج

(لا حکم إلاّ لله): وقد رفعوه حین أخذ الأشعث بن قیس، کتاب الصلح - صحیفه

۱- الاحزاب، ۲۳.

۲- وقعه صفین/۵۱۹.

۳- وقعه صفین/۵۱۹.

التحكيم- يمر به على كل، رايه رايه، وقبيله قبيله فيقرؤه عليهم، فمر برايات عن-زه، وكان مع

على منهم أربعه آلاف رجل، فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم، اسمهما جعد ومعدان: (لا حكم إلّا لله) ثم شدا على أهل الشام، فقاتلا حتى قتلا، وهما أول من حكم.

ثم نادى بهذا الشعار أيضاً أو بما يعطى دلالته، صالح بن شقيق من مراد، وبنى راسب وبنى تميم، وقال عروه بن أديه:

(أتحكمون فى دين الرجال، فأين قتلانا يا أشعث؟) ثم حمل بسيفه على الأشعث فأخطأه، فانصرف الأشعث إلى قومه(۱).

خطبه الامام على عليه السّلام بعد الصلح

روى نصر بن مزاحم عن الشعبى، أن علياً قال:

يوم صفين حين أقرّ الناس بالصلح، إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليجيبوا إلى كلمه السواء حتى يرموا بالمفاسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس - الجيش - يتلوه الخميس وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم ... صدق صبر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سيل الله إلّا جدا فى طاعه الله، وحرصاً على لقاء الله.

ولقد كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابنائنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضياً على

۱- الأخبار الطوال /۱۹۶-۱۹۷، وفى أنساب الأشراف اختلاف فى أول من حَكَم (عروه بن أديه أو يزيد بن عاصم المحاربى) :۳ /۱۱۰.

أمضـى الأـلم، وجـد على جهـاد العـدو، والاسـتقلال بمبـارزه الأـقران، ولقـد كان الرجل منا والآخر من عـدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمره لنا من عدونا، ومره لعدونا منا.

فلمـا رآنـا الله صبر صـدقا أنزل الله بعـدونا الكبت، وأنزل علينـا النصـر. ولعمرى لو كنا نأتى مثل الـذى أتيتم ما قام الـدين ولا عزّ الإسلام.

وايم الله لتحلبنها دماً – يعنى الخوارج – فاحفظوا ما أقول لكم(١).

وصايا لأبى موسى الأشعرى

سبق أن أشـرنا إلى موقف أبى موسـى من بيعه الامام عليه السّلام وكذا موقفه عن حرب الجمل وتخذيل الناس ومحاوله إبعادهم عن الالتحـاق بالامـام عليه السّـلام ومنعهم من مشـاركته فى حروبه، وإن الامام عليه السّـلام لما أكره على التحكيم لم يرض بأبى موسـى للسـبب السابق ذكره، ولأن أبا موسـى لا يسـتطيع من مواجهه منكر وأحابيل عمرو بن العاص؛ لـذا قال الامام عليه السّـلام لهم: أن أرموه عبـد الله بن عباس، فإنه لا يعقد عمرو عقد إلّا حله ... غير أن القوم أكرهوا الامام عليه السّـلام أيضاً على أن يكون الأشـعرى ممثلًا عنهم وحكماً فيما بينهم وبين معاويه، إن أبا موسـى ليس نداً لعمرو ولا أهل فى أن يكون قبالته؛ لذا فان بعضـهم تقدم إلى أبى موسى موصياً أياه بالحذر والتحفظ فى التعامل مع عمرو لما عرف عنه بالغدر والمكيده.

١– وقعه صفين: ۵٢٠ –۵٢١.

شریح بن هانئ

أقبل شریح علی أبی موسی وقال له:

إنک قد نصبت لأمر لا یجبر صدعه ولا یستقال عثرته، فاعلم أنک إن قلت شیئاً لک أم علیک ألزمک حقه وزال عنک باطله، فاتق الله وأنظر کیف تکون، فإنک قد رمیت بعمرو بن العاص، وهو رجل لا دین له، لأنه باع دینه بدنیاه، فإیاک أن یخدعک فإنه خداع مکار، والسلام(۱).

الأحنف بن قیس

ویروی ابن مزاحم أنّ آخر من ودع أبا موسی الأحنف بن قیس، أخذ بیده ثم قال له:

(یا أبا موسی، أعرف خطب هذا الأمر، والله أنّ له ما بعده، وأنک إن أضعت العراق فلا عراق، فاتق الله فإنها تجمع لک دنیاک وآخرتک، وإذا لقیت عمراً غداً فلا تبدأه بالسلام، فإنها وإن کانت سنه إلاّ أنه لیس من أهلها، ولا تعطیه یدک فأنها أمانه، وإیاک أن یقدمک علی صدر الفراش فإنها خدعه. ولا تلقه وحده، وأحذر أن یکلمک فی بیت مخدع تخبأ فیه الرجال والشهود)(۲).

عدی بن حاتم الطائی

ووثب عدی بن حاتم الطائی فقال:

أما والله یا عمرو! إنک لغیر مأمون العیب فأما أنت یا أبا موسی فغیر مأمون الضعف.

۱- الفتوح: ۴/۲۰۷- ۲۰۸.

۲- صفین: ۵۳۶.

فقال عمرو بن العاص:

والله يا عدى! مالك ولا لغيرك مع كتاب الله ورد ولا صدر، فامسك عنك هذا.

ثم قال عمرو لأبى موسى:

والله لقد كنت أحب أن لا يشهد هذا الأمر من يفسده علينا(۱).

عبد الله بن عباس

وإن ابن عباس التقى بأبى موسى بعد لقاء أبى موسى بعمرو بن العاص، وقال له:

(ويحك يا أبا موسى، أحسب والله عمراً قد اختدعك، فإن كنتما قد اتفقتما على شىء فقدمه قبلك ليتكلم، ثم تكلم بعده، فإن عمراً رجل غدار، ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت به فى الناس خالفك).

قال أبو موسى:

(قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله)(۲)

۱- الفتوح: ۴/۲۱۰.
۲- الأخبار الطوال: ۲۰۰.

الحكمان

اشاره

لقد رُسِمت صوره لها معالم وملامح واضحه بنسبه ما، لشخصيه كل من عمرو بن العاص، وأبى موسى الأشعرى، مما قد رواه المؤرخون والمحدثون، والذى:

درجناه تحت العناوين السابقه ابتداء من بيعه الامام عليه السّلام وما سبقها من أحداث إلى يوم التحكيم، حيث وضحت لنا الوصايا والتحذيرات لأبى موسى وحوارات معه ومع عمرو بن العاص - تلك الملامح والمعالم - ممن شهد وقعه صفين من صحابه وتابعين بإحسان، وما سبق ذلك من أحداث وما تلاها.

أخبار الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكمين

روى اليعقوبى المتوفى سنه (۲۸۴ه-) والمسعودى المتوفى سنه (۳۴۶ه-) و ابن كثير الدمشقى المتوفى سنه (۷۷۴ه-).

إن الرسول صلى الله عليه وآله أخبر عن حكمين يخرجان فى أمته يُحكما فَيَضِلان ويَضلا من يتبعهما، كما كان قد حدث ذلك فى بنى إسرائيل، ولم يذكر المسعودى سند الروايه وفى اليعقوبى كما دون فى الهامش (بياض فى الأصل)، ويروى عن عبد الرحمن بن حصين بن سويد(۱)، وذكر ابن كثير الدمشقى سند آخر، والروايات الثلاث لها مضمون واحد

ص: ۲۸۷

۱- بعد مراجعه كتب الرجال ظهر أن عبد الرحمن بن حصين أو حضين، بن اويس وليس سويد، وجميع المصادر ينقل عن عبد الله بن عمر. انظر: التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبه أضواء السلف، الرياض، ۱۴۲۲ه- : ۱۹۳، والجرح والتعديل، الرازى: ۵۰، أى أن لم يرد راوى بالاسم الذى ورد فى تاريخ اليعقوبى.

ودلاله واحده أيضاً، وإن اختلفت فی الألفاظ فضلًا عما فيها من نقص أو زياده(۱).

روايه اليعقوبی

قال ابن الكلبی:

أخبرنی عبد الرحمن بن حصين بن سويد(۲) قال: إنی لأساير أبا موسى الأشعری على شاطئ الفرات، وهو إذ ذاک عامل لعمر - ابن الخطاب - فجعل يحدثنی، فقال: إن بنی إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض، حتی حكموا ضالين أضلا من اتبعهما.

قلت - أی سويد بن غفله -:

فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكمين، قال فقال لی: إذاً لا ترک الله لی فی السماء مصعداً ولا فی الأرض مهرباً إن كنت أنا هو.

فقال سويد:

لربما كان البلاء موكلًا بالمنطق. ولقيته بعد التحكيم،

فقال أبو موسى:

إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب(۳).

۱- تاريخ اليعقوبی: ۲/۱۹۰-۱۹۱، المسعودی، مروج الذهب: ۲/۳۹۲ والبدايه والنهايه :۶ /۲۲۰.
۲- ربما اشتباه من الناسخ، أو أن عبد الرحمن بن حصين ينقل عن سويد.
۳- اليعقوبی: ۲/۱۹۰-۱۹۱.

ويجـد القارئ من خلال المقارنه بين النصوص الثلاثه أن الذى يتحدث مع أبى موسـى، هو سويد بن غفله، وأخرى هو ينقل عن أمير المؤمنين مـا رواه عن النـبى صـلى الله عليه وآله بخصوص حكمين يظهران عنـد اختلاـف يكون بعـد عصـر النـبى بين فئتين فيحكموهما فى أمر فيضـلان ويضـلا غيرهما، وهو الـذى يحاور أبا موسـى بعـد التحكيم، فيريه أنه روى الحديث وعاش الحادث وهو أحـد الفاعلين فيه ولكن من غير وعى بمآل الحال، فمن سل ربک العافيه، إلى إذا قضـى الله أمراً لم يغالب، - فرب ناقل فقه وهو ليس بفقيه، أو ينقله إلى من هو أفقه منه - وتلك حاله تُرى فى أحـد الحكمين، والآخر يسـعى بقصد وهدفيه ليكون معاويه أو سواه أميراً لحاجه فى نفسه، وهو يعى دور معاويه وسواه من خلال ما يكون له من موقع هنا أو هناک، لا يفوته فى كل أحواله مكانه يطلبها، لأنه لا يجد فى ابن أبى طالب ضعف، ووهن يستطيع اختراقه بما يملك من خبث، ومكر.

روايه المسعودى

قال المسعودى:

كان أبو موسـى الأشـعرى يحدث قبل وقعه صفين ويقول: إن الفتن لم تزل فى بنى إسرائيل ترفعهم وتضعهم حتى بعثوا الحكمين يحكمـان بحكم لاـ يرضـى به من اتبعهما، وإن هـذه الأمه لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضـها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما، فقال سويد بن غفله: إياک أن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين، قال: أنا؟ قال نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه ويقول: لا جعل الله لى إذاً فى السـماء مصـعداً، ولا فى الأرض مقعـدا، فلقيه سويد بن غفله بعد ذلك فقال: يا أبا موسى؛أتذكر مقالتک؟ قال: سل ربک العافيه.

ص: ٢٨٩

روایه ابن کثیر

فقد ذکر ابن کثیر بطریق آخر – أی غیر الذی ذکره الیعقوبی – عن عبد الله بن یزید وحبیب بن بشار عن سوید بن غفله قال:

إنی لأمشی مع علی بشط الفرات فقال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إن بنی إسرائیل اختلفوا فلم یزل اختلافهم بینهم حتی بعثوا حکمین فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمه ستختلف فلا یزال اختلافهم بینهم حتی یبعثوا حکمین ضلا وأضلا من اتبعهما(۱).

وروی صاحب میزان الأعتدال الروایه، والغریب ما استنکره الطبرانی لما یمکن أن یعتبر قرینه ومدعم من روایتی الیعقوبی والمسعودی علی صحه المنقول وصدوره عن صاحب الرساله (ص) مع غض الطرف عن الروایات التی وردت عنه (ص) ولسانها الاشتشراف والاستقبال محدث بمآلات الأمه والصحابه، فقد ذکر الذهبی: ان الطبرانی قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلم الرازی ثنا إسماعیل بن موسی

السدی ثنا جعفر بن علی عن علی بن عابس عن عبد العزیز بن سیاه عن حبیب بن أبی ثابت عن سوید بن غفله قال: سمعت أبا موسی الأشعری یقول:

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یکون فی هذه الأمه رجلان ضالان ضال من تبعهما فقلت یا أبا موسی أنظر لا تکون أحدهما، قال: فوالله ما مات حتی رأیته أحدهما. وقال الطبرانی: هذا باطل عندی لأن جعفر بن علی شیخ مجهول..(۲)

۱- البدایه والنهایه، ابن کثیر: ۶/۲۲۱.

۲- میزان الاعتدال، الذهبی، وفاته عام ۷۴۸ه-، تحقیق علی محمد، عادل أحمد عبد الموجود، دار الکتب العلمیه، بیروت، الطبعه الأولی ۱۹۹۵ : ۲۴۷.۸/۷۱.

ما اشترط على الحكمين

لقد تضمنت صحيفه التحكيم ما اشترطه الطرفان على الحكمين، بعد أن أخذا عليهما عهد الله وميثاقه، وذمته وذمه رسوله أن يتخذا القرآن اماما ولا يعدوا به إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجدا فى الكتاب رداه إلى سنه رسول الله الجامعه، لا يتعمدان لها خلافا، ولا يبغيان فيها بشبهه(۱).

كما أن الصحيفه تضمنت ما للحكمين من حقوق، أن يكونا فى آمان من الطرفين – فى حكومتهما على الشرطين – على دمائهماوأموالهما وأشعارهما وأهاليهما وأولادهما ما لم يعدوا الحق، رضى به راضٍ أو سخط به ساخطٍ، وإن الأمه أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما هو فى كتاب الله(۲).

وصيه الامام على لعمرو بن العاص

لما كان موعد اجتماع الحكمين أرسل الامام عليه السّلام وصيه إلى عمرو بن العاص مع شريح بن هانئ – فعن النضر بن صالح قال:

كنت مع شريح بن هانئ فى غزوه سجستان، فحدثنى أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال له: قل لعمرو إن لقيته: إن علياً يقول لك:

إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده،

۱- الأخبار الطوال: ۱۹۴- ۱۹۵.

۲- – نفس المصدر.

وأبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده.

والله يا عمرو: إنك لتعلم أين موضع الحق، فلم تتجاهل؟ إن أوتيت طمعا يسيرا كنت به لله وأوليائه عدوا فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً، أما إنى أعلم بيومك الذى أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عداوه ولم تأخذ على حكم رشوه(۱).

قال شريح: فأبلغته ذلك فتمعر - أى تغير وعلته صفره - وجه عمرو وقال: متى كنت أقبل مشوره على أو أنيب إلى أمره واعتد برأيه؟!

فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغه أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه - وآله - مشورته(۲)، فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه، فقال: إن مثلى لا يكلم مثلك فقلت له: وبأى أبويك مترغب عنى! بأبيك الوشيظ - الخسيس والتابع - أم بأمك النابغه - لقب أم عمرو(۳).

اجتماع وتداول الحكمين

لما رفع أهل الشام المصحف، خاطب أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه قائلًا: إن هذه خديعه وأن هؤلاء لم يعلموا القرآن ولا عملوا به، أو لستم على بينه من ربكم؟ فأمضوا لشأنكم وقاتلوا عدوكم. فلم يفعلوا وغلبوه فأجاب إلى ترك القتال.

ص: ۲۹۲

۱- تاريخ الطبرى، (۸) مجلدات طبعه الأعلمى: ۴/۵۰-۵۱.

۲- وقعه صفين/۵۴۲-۵۴۳.

۳- تاريخ الطبرى: ۵/۶۸۳.

وروی ابن طباطبا:

فتراضی الناس جمیعاً بذلک إلاّ أمیر المؤمنین علیه السّلام، فإنه رضی کارهاً ونفر یسیر من أصحابه کالأشتر وابن عباس رضی الله عنهم(۱)، وفی المصادر الأخری قد ذکرت أسماء أخری من أصحاب الامام علیه السّلام ممن لم یرضوا بالتحکیم وقالوا: إن رفع هذه المصاحف خدعه رفعت حین عرف أهل الشام أنهم مغلوبون(۲).

ویقول ابن طباطبا:

(ثم أرسل – أمیر المؤمنین علیه السّلام – إلی معاویه، رسولاً یقول له: ما الذی ترید برفع هذه المصاحف؟

قال: نحکم منا رجلاً ومنک رجلاً ونقسم علی الرجلین أن ینصحا الأمه ویعملا بما فی کتاب الله عزّ وجلّ وما لم یجداه فی کتاب الله حملاه علی السنه والجماعه فأی شیء حکما به قبلنا(۳).

وبعد مضی أشهر ووفقاً لبعض المرویات أن الحکمین اجتمعا فی عام ثمان وثلاثین، وجرت بینهما مداولات وتحاورا، ثم أعلانا ما اتفقا علیه، ومن خلال تتبع المنقول التاریخی، کان المحور الذی رکز علیه أحد الحکمین – عمرو بن العاص – مسأله الخلیفه عثمان ومظلومیته، وإن معاویه ولی الدم.

وأما الحکم الآخر فکان یرکز علی إعاده الأمر تاره إلی الأمه وأخری یطلب من

۱– الفخری، فی الآداب السلطانیه، ابن طباطبا: ۹۱.

۲– سبق أن أشرنا لذلک، وقد ذکرنا مصادره.

۳– الأخبار الطوال: ۱۹۹.

عمرو بن العاص إحياء سنه عمر بمبايعه ولده عبد الله بن عمر، وفى بعض المصادر لم يذكر ذلك.

تداول وحوار الحكمين

إن أهم ما يثار هنا:

أولاً: ما هو دور المصحف؟ وأين موقعه من الحكمين؟ أو بكلمه أدل ما المقصود بهذا الشعار «كتاب الله بينا وبينكم»؟

ثانياً: ما الأمر المبحوث عنه فى المصحف؟

حتى إذا لم يجد الحكمان فيه عن هذا الأمر شيئاً، بحثا عنه فى السنه غير المفرقه؟

ثالثاً: أكان الحكمان، يبحثان، عن خلع على، وإثبات معاويه؟ أم أنهما كان يحكمان فى أمرين لا ثالث لهما: وهما خروج معاويه على شرعيه الخليفه والأمه، هذا من طرف على ومن تابعه من الصحابه، مهاجرين وأنصار وتابعين بإحسان.

والأمر الثانى إن يصح من طرف معاويه، وهو الاقتصاص من قتله عثمان، وهذا شعار معاويه ومن تابعه وهدفه المعلن، واحتجابه به واحتجاجه وذريعته بقتال الخليفه وأنه أبـدى للشاميين ولغيرهم، أنه ليس كعلى فى سابقته ودينه، ... إلا أنه آوى قتله امامكم، ولو سلمهم لبايعته وتابعته...!

ومما يستغرب منه أن المنقول التاريخى عموماً لم يشر إلى هذه المطالب المثاره، فضـلاً عن تجاهل لدور المصحف المرفوع فى الأمر كله؛فلم يكن له حيزاً بين الحكمين فى تـداولهما، اللهم إلاـ أن لاـ يغفـل ما تنابزا به الحكمان، [فأحـدهما يلهث فى حاليه، والآخر يحمل أسفاراً]، لا تعليق هنا.

ص: ۲۹۴

وإذا تركنـا النـاقلين، وحجبهم مـا يثـار، فلاـ يسـعنا إلا أن نسـجل للتاريـخ أيضاً غرابه موقف، وتغيب آخر وليس أخير حول هـذه المطـالب، من قبـل متـأخرين مكانـاً وزمانـاً عن تلـك الأحـداث وملابساتهـا، إلاـ أنهم أبـوا إلاـ أن ينظروا ويفكروا بنفس منظـار السابقين، وبذات تفكيرهم.

ولكن من أجل من؟

ويؤرخ لهذا التوجه فى القرن العشـرين من عام ۱۹۲۷، وإلى أواسط التسـعينيات، أى يبدأ بكتاب (الدوله الأمويه فى الشام) أنيس النصولى، ولا ينتهى بكتاب سـليم العوا (فى النظام الإسـلامى) حيث شـغل الحكمان ومتعلقاتهما حيزاً يعتـد به من مساحه الكتاب دفاعاً عنهما مصوراً كل المنقول التاريخى فى هذا الاتجاه وهماً وما يشاكله، ولـم يعقب على المتواتر بين المسـلمين – خصوصاً له وعموماً لغيره – بل لم يـدر بخلـده حتى مجرد وهم حول مجريات الأمور التى تسـببا فى خلقها، فيقف متأملاً، أى حـديث «متفق عليه» روى عن الرسـول الأـعظم صـلى الله عليه وآله حول الحكمين، أو مـا فى دلاـلته يفضـى مشـيراً إلى داله توجه نحو الحق أو رجالاته؛ فما وروى أبو سعيد الخدرى، وأبو أيوب وسواهما، فيما يخص قتال، الناكثين، والمارقين، والقاسطين، أو ما له مثل هذه الظلال أو العطاء والتجلى، وليس التجنى، وهو كثير، وقد أشرنا إلى بعضٍ منه(۱).

ص: ۲۹۵

۱– انظر: الدوله الأمويه فى الشام، أنيس زكريا النصولى، مطبعه دار السلام فى بغداد، ۱۹۲۷، الدوله الأمويه يوسف العش، تاريخ الدوله الأمويه، د.نبيه عاقل، دارالفكر، ط۳، ۱۳۹۴ه–. إلى غير ذلک من المؤلفات .

ولنعد لحوارات الحكمين وما دار بينهما، وما خلصا إليه:

روى ابن قتيبه:

(إن عمراً غدا على أبى موسى، فقال: يا أبا موسى قد عرفت حال معاويه فى قريش، وشرفه فى بنى عبد مناف، وأنه ابن هند، وابن أبى سفيان، فما ترى؟

فقال أبو موسى: أما معاويه فليس بأشرف فى قريش من على، ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهليه، كان أخوال ذى أصبح - وفى مصادر أخرى أبرهه بن صباح - ولكننى أرى وترى، وباعده أبو موسى، ثم غدا عليه عمرو، فقال:

يا أبا موسى إن قال قائل: إن معاويه من الطلقاء، وأبوه رأس الأحزاب، لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق، وإذا قال: إن علياً أوى قتله عثمان، وقتل أنصاره يوم الجمل(۱)، وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق، وفينا وفيكم بقيه، وإن عادت الحرب ذهب ما بقى، فهل لك أن نخلعهما جميعا، ونجعل الأمر لعبد الله بن عمر، فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لساناً، وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه، فقال أبو موسى: جزاك الله بنصيحتك خيرا.

وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر أحداً، - بزعمه - لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكانه من أبيه، لفضل عبد الله فى نفسه، وافترقا على هذا الأمر، واجتمع رأيهما على ذلك(۲).

۱- سبق التحقيق فى مسأله أهل الجمل ودورهم فى مقتل عثمان.
۲- الامامه والسياسه: ۱/۱۱۷- ۱۱۸.

فلما كان من الغد أقبل – عمرو بن العاص – إلى أبى موسى ومعه شهود قد أعدهم للذى يريد أن يصنع؛ فدخل على أبى موسى واجتمعت الناس للكلام، فقال عمرو:

يا أبا موسى: أنشدك الله من أحق بهذا الأمر؟ من وفى أم من غدر؟

فقال أبو موسى: لا بل من وفى. قال: فما تقول فى عثمان أقتل ظالماً أو مظلوماً؟ فقال أبو موسى: بل مظلوماً.

قال: فما تقول فى قاتله أيقتل به أم لا؟

فقال أبو موسى: بل يقتل به.

قال عمرو: فمن يقتله؟

قال: يقتله أولياء عثمان، لأن الله عزّ وجلّ قال: {ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا}(١).

قال عمرو: فهل تعلم أن معاويه من أولياء عثمان؟

فقال أبو موسى: نعم، هو من أولياء عثمان وفى الأخبار الطوال قال أبو موسى: فأولى منه – أى من معاويه – ابنه عمرو بن عثمان(٢) – قال عمرو: أيها الناس أشهدوا على ما قاله أبى موسى!

قال أبو موسى: نعم، فاشهدوا ثم أشهدوا على ما أقول: إن معاويه من أولياء عثمان، أقم يا عمرو! فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس.

فقال عمرو: سبحان الله! أقوم أنا قبلك، وقد قدمك الله علىّ فى الإيمان والهجره، لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت، وأقوم أنا من بعدك.

١– الأسراء: ٣٣.

٢– الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/١١٨.

نتیجه التحکیم

إعلان ما اتفق علیه الحکمان

وهنا أیضاً یجد قارئ التاریخ الإسلامی أن المنقول والنصوص التی رویت فی هذا الأمر الذی اتفق علیه الحکمان متفاوت ومتباین من مصدر إلی آخر ومن روایه إلی أخری، فقد نقل ابن قتیبه: إن أبا موسی قام، فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: أیها الناس، إن خیر الناس للناس. خیرهم لنفسه، وأنی لا أهلک دینی بصلاح غیری، إن هذه فتنه قد أکلت العرب، وأنی رأیت وعمرو، أن نخلع علیاً ومعاویه ونجعلها لعبد الله بن عمر، فانه لم یبسط فی هذه الحرب یداً ولا لساناً(۱) فی حین أن البلاذری یروی، أن عمراً خلا بعبد الله بن عمر فقال: أنت أحق بهذا الأمر؛ فأجابه عبد الله بن عمر: ما أنا بالذی أقاتل الناس فتؤمرونی علیهم، ولا حاجه لی فی الإمره(۲).

ثم نعود إلی روایه الدینوری: ثم قام عمرو فقال:

أیها الناس هذا أبو موسی شیخ المسلمین، وحکم أهل العراق ومن لا یبیع الدین بالدنیا وقد خلع علیاً وأنا أثبت معاویه.

فقال أبو موسی مالک؟ علیک لعنه الله: ما أنت إلّا کمثل الکلب تلهث! فقال عمرو: لکنک مثل الحمار تحمل أسفاراً.

ص: ۲۹۸

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه: ۱/۱۱۸.

۲- انساب الأشراف :۳/ ۱۱۹.

غير أن بعض المصادر ورد فيها أن الحكمين قد اتفقا على جعل الأمر شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقد روى الدينورى عن اتفاق الحكمين وتقديم عمرو لأبى موسى، فصعد أبو موسى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أيها الناس إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به الألفه هذه الأمه ويصلح أمرها، فلم نر شيئاً هو أبلغ فى ذلك من خلع هذين الرجلين، على ومعاويه، وتصيرها شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلا، وإنى قد خلعت علياً ومعاويه فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم ثم نزل، وصعد عمرو، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه إلّا وأنى قد خلعت صاحبه كما خلعه، وأثبت معاويه، فإنه ولى أمير المؤمنين عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)(۱).

إن أبا موسى يشبه عمرواً بالكلب والأخير يشبه أبا موسى بالحمار، وهما صحابيان ووصفتهما أقوال من كتب عنهم بزهد وتقوى أو ما شابه ذلك، فأيهما يُسمع قوله؟ وأيهما أعدل، لنعدِل به عن صاحبه، وما هما وخلع أو تثبيت وهما ليس من أهل السابقه، ولا ممن أنس برأيه فى شورى أو بيعه على طول خط تداول السلطه «سقيفه، عهد أبى بكر، وشورى عمر»!

وهل رضيت الأمه بهما حكمين كيما يتسابا بالقرآن؟ وهل حكما القرآن؟ أم تحكما به؟

۱- الأخبار الطوال: ۲۰۱.

واختلط الناس بعد ذلک، فقالوا:

والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمانا عما نحن علیه، وما صلحکما یلزمنا وإنا الیوم على ما کنا علیه بالأمس، ولقد کنا ننظر إلى هذا قبل أن یقع - وما أمات قولکما حقاً، ولا أحیا باطلاً(۱)- ثم تشاتم أبو موسى وعمرو، ثم إنّصرف عمرو إلى معاویه، ولحق أبو موسى بمکه، وفی مصادر أخرى هرب من أهل الشام وأهل العراق(۲).

وفی روایه أبی حنیفه:

وأنسل أبو موسى، فرکب راحلته وهرب، حتى لحق بمکه(۳).

وانصرف القوم إلى علی، فقال عدی:

أما والله یا أمیر المؤمنین، لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال، وجعلت الحکم لله.

فقال علی علیه السّلام: أما إنی قد أخبرتکم أن هذا یکون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غیر أبی موسى، فأبیتم علیّ، ولا سبیل إلى حرب القوم حتى تنقضی المده، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى علیه ثم قال: قم یا حسن فتکلم فی أمر هذین الرجلین: أبی موسى وعمرو. فقام الحسن علیه السّلام- فتکلم فقال: ایّها الناس، قد اکثرتم فی أمر أبی موسى و عمرو، و إنّما بعثنا لیحکما بالقرآن دون الهوى، فحکما

۱- الفقره تحتاج تأمل، الامامه والسیاسه: ۱/۱۱۸.

۲- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه الدینوری: ۱/۱۱۹.

۳- الأخبار الطوال: ۲۰۱.

بـالهوى دون القرآن فمن كـان هكـذا لم يكن حكما، ولكنه محكوم عليه، وقـد كان من خطأ أبى موسـى أن جعلها لعبـد الله بن عمر، فأخطـأ فى ثلاث خصـال: خالف (يعنى أبا موسـى) أباه عمر، إذ لم يرضه لها - أى للخلافه - ولم يره أهلا لها، وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا ـ ادخله فى الشورى إلّا على أنه لا شـيء له فيها، شـرطاً مشـروطاً من عمر على أهل الشورى، فهـذه واحـده، وثانيه لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار، الـذين يعقدون الامامه، ويحكمون على الناس، وثالثه: لم يسـتأمر الرجل فى نفسه، ولا علم ما عنده من رد أو قبول.

ثم قال على عليه السّلام لعبد الله بن جعفر: فتكلم. فقام وقال:

أيهـا النـاس هـذا أمر كـان النظر فيه لعلى، والرضـا فيه إلى غيره، جئتم بأبى موسـى، فقلتم قـد رضـينا هـذا، فارض به، وايم الله ما أصـلحا بما فعلا الشام، ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حق على ولا أحييا باطل معاويه، ولا يذهب الحق قله الرأى، ولا نفخه الشيطان، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه(۱).

آخر خطبه

روى ابن قتيبه((۲)) ولما أراد على - عليه السّلام- الانصراف من النهروان، قام خطيباً، فحمد الله ثم قال:

أما بعد، فإن الله قد أحسن بلاءكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من

ص: ۳۰۱

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ۱/۱۱۹.

۲- - الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ۱/ ۱۲۸-۱۳۰.

فورکم هذا إلی معاویه وأشیاعه القاسطین، الذین نبذوا کتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قلیلًا، فبئس ما شروا به أنفسهم لو کانوا یعلمون. فقالوا: یا أمیر المؤمنین نفدت نبالنا، وکلت أذرعنا، وتقطعت سیوفنا، ونصلت أسنه رماحنا، فارجع بنا نحسن عدتنا، ولعل أمیر المؤمنین یزید فی عدتنا عده، فإن ذلک أقوی لنا علی عدونا. فأقبل علی بالناس حتی نزل بالنخیله، فعسکر بها، وأمر الناس أن یلزموا معه عسکرهم، ویوطنوا أنفسهم علی الجهاد، وأن یقلوا من زیاره ابنائهم ونسائهم، حتی یسیروا إلی عدوهم من أهل الشام، فأقاموا معه أیاما، ثم رجعوا یتسللون ویدخلون الکوفه، ویتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم، حتی ترکوا علیا وما معه إلا نفر من وجوه الناس یسیر، وترک العسکر خالیا.

فقام علی علیه السّلام علی المنبر، فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال:

أیها الناس، استعدوا للمسیر إلی عدو فی جهاده القربه إلی الله، ودرک الوسیله عنده، فأعدوا له ما استطعتم من قوه، ومن رباط الخیل، وتوکلوا علی الله، وکفی به وکیلاً، ثم ترکهم أیاما، ودعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأیهم، وما الذی ثبطهم؟ فمنهم المعتل، ومنهم المتکره، وأقلهم من نشط، فقال لهم علی: عباد الله، ما لکم إذا أمرتکم أن تنفروا فی سبیل الله اثاقلتم إلی الارض أرضیتم بالحیاه الدنیا من الآخره بدلا، ورضیتم بالذل والهوان من العز خلفا، کلما نادیتکم إلی الجهاد دارت أعینکم، کأنکم من الموت فی سکره، وکانت قلوبکم قاسیه، فأنتم لا تعقلون، وکأن أبصارکم کمه(۱)،

۱- کمه: اجمع أکمه، و هو الذی ولد بون عینین (محقق).

فأنتم لا ـ تبصرون، لله أنتم، ما أنتم إلا أسود رواعه(۱)، وثعالب رواغه عند الناس، تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون، وأنتم فی غفله ساهون: إن أخا الحرب اليقظان.

حقكم وحقی عليكم

أما بعد: فإن لی عليكم حقا، ولكم علی حق، أما حقكم علی: فالنصيحه فی ذات الله، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقی عليكم: فالوفاء بالبيعه، والنصح لی فی الاجابه حين أدعوكم، والطاعه حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا تن-زعوا عما أكره، وترجعوا إلی ما أحب، تنالوا بذلك ما تحبون، وتدركوا ما تأملون أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم، ما عزت دعوه من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهی الصم(۲)، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت، أعاليل بأضاليل، هيهات، لا يدرك الحق إلا بالجد والصبر، أی دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أی امام بعدی تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب(۳)، أصبحت لا أطمع فی نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الله بينی وبينكم، وأعقبنی بكم من هو خير لی، وأعقبكم بعدی من هو شر لكم منی، أما إنكم ستلقون بعدی ذلاً شاملاً. وسيفاً قاتلاً. وأثره يتخذها الظالمون بعدی عليكم سنه. تفرق جماعتكم. وتبكی

۱- رواعه: خوافه جمع رواع و هو شديد الروع و هو الخوف (محقق).

۲- الصم: جمع أصم: و المراد الجبال الصم و هی الشديده الصلابه، و يوهی يضعف (محقق).

۳- السهم الذی لا يصيب مرماه (محقق).

عيونكم. وتدخل الفقر بيوتكم. تمنون والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني. وستعرفون ما أقول لكم عما قليل. استنفرتكم فلم تنفروا. ونصحت لكم فلم تقبلوا، وأسمعتكم فلم تعوا، فأنتم شهود كأغياب، وصم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمه، وأعظكم بالموعظه النافعه، وأحثكم على جهاد المحلين(۱)، الظلمه الباغين، فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين، إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عزين، تضربون الامثال، وتناشدون الاشعار، تربت أيديكم، وقد نسيتم الحرب واستعدادها، وأصبحت قلوبكم فارغه عن ذكرها، وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل، ويحكم ! اغزوا عدوكم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ـ ذلوا، وايم الله ما أظنكم تفعلون حتى يفعل بكم ! وايم الله لوددت أني قد رأيتهم فلقيت الله على نيتي وبصيرتي، فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم، ويحكم ! ما أنتم إلا كإبل جامحه ضل عنها رعاؤها، فكلما ضمت من جانب، انتشرت من جانب، والله لكأني أنظر إليكم وقد حمي الوطيس، لقد انفرجتم عن علي انفراج الرأس،وانفراج المرأه عن قبلها.

۱- الذين أحلوا أنفسهم من بيعه الامام علي عليه السّلام بعد أن وجب عليهم و لزمتهم (محقق).

اختلال التوازن/ المأمور آمر

اقتد بفعل عثمان

فقام إليه الاشعث بن قيس الكندى، فقال:

يا أمير المؤمنين فهلا فعلت كما فعل عثمان؟

قال له على:

ويلك وما فعل عثمان، رأيتنى عائذا بالله من شر ما تقول، والله إن الذى فعل عثمان لمخزاه على من لا دين له، ولا حجه معه، فكيف وأنا على بينه من ربى، والحق معى، والله إن امرأ أمكن عدوه من نفسه، فنهش عظمه، وسفك دمه، لعظيم عجزه، ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فو الله دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفى، يطير له فراش الرأس، وتطيح منه الاكف والمعاصم، وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

استشراف المستقبل

والله يا أهل العراق، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم، فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، والذى فلق الحبه، وبرأ النسمه، إنى أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت، وأراهم جادين فى باطلهم، وأراكم وانين فى حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم معاويه مطيعين، وأراكم لى عاصين. أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى

لتجدنهم أرباب سوء، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم فی بلادكم، وحملوا إلی بلادهم منكم، وكأنی أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب، لا تأخذون لله حقا، ولا تمنعون له حرمه، وكأنی انظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم، وكأنی أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم، ويدينون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف ونزل الخوف، لندمتم وتحسرتم علی تفريطكم فی جهاد عدوكم، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافيه، حين لا ينفعكم التذكار.

شاهد

ثم قام أبو أيوب الانصاری، فقال:

إن أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعيه، وقلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم به كرامه ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلی الله عليه وآله، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده، يفقهكم فی الدين، ويدعوكم إلی جهاد المحلين، فو الله لكأنكم صم لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون. عباد الله، أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع فی الإسلام، فذو حق محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقی بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمه الله عليكم، ولا تتولوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. اشحذوا السيوف، وجددوا آله الحرب، واستعدوا للجهاد، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلک من الصاقدين.

شراء الذمم

ثم قام رجال من أصحاب على فقالوا:

يـا أمير المؤمنين، اعـط هؤلاـء هـذه الاـموال، وفضـل هؤلاء الاشـراف من العرب وقريش على الموالى، ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه. وإنما قالوا له: هذا الذى كان معاويه يصـنعه بمن أتاه، وإنما عامه الناس همهم الدنيا، ولها يسعون، وفيها يكدحون؛ فأعط هؤلاء الاشـراف، فإذا اسـتقام لك ما تريـد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم، فقال على: أتأمرونى أن أطلب النصـر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام؟ فو الله تكون نصره أحدكم كنصره العبد لسيده: إذا شهد أطاعه، وإذا غاب سبه. فقال رجل: يـا أمير المؤمنين، أتظن ذلـك كائنـا؟ قال: ما هو بالظن ولكنه اليقين. لا أفعل ذلك ما لاح فى السـماء نجم، والله لو كان لى مال لسويت بينهم، فكيف وإنما هى أموالكم.(۱)

تركه أمير المؤمنين وخليفه المسلمين عليه السّلام

قال هبيره بن شريم:

سمعت الحسن رضـى الله عنه يخطب، فـذكر أبـاه وفضـله وسـابقته، ثم قـال: والله مـا ترك صـفراء ولا بيضاء إلا سـبع مائه درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشترى بها خادما(۲).

ص: ۳۰۷

۱- الامامه و السياسه، ابن قتيبه الدينورى: ۱ / ۱۳۲ (محقق).

۲- الامامه و السياسه، ابن قتيبه الدينورى ۱/ ۱۴۰؛ المستدرك، الحاكم النيشابورى، ۳ / ۱۷۲، (فى هذا المصدر نقل من على بن الحسين عليهماالسّلام)؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان، ۱۵ / ۳۸۵ فى هذا المصدر نقل من هبيره بن يريم (محقق).

يقين

وجاء رجل من مراد إلى على، فقال له:

يا أمير المؤمنين، احترس، فإن هنا قوما يريدون قتلك: فقال: إن لكل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلياه.

آخر وصاياه عليه السّلام

قيل: ولما ضرب على دعا أولاده، وقال لهم:

عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ما صرف عنكم منها، وانهضوا إلى عباده ربكم، وشمروا عن ساق الجد، ولا تثاقلوا إلى الأرض، وتقروا بالخسف، وتبوءوا بالذل، اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهدنا وإياهم فى الدنيا، واجعل الآخره خيرا لنا ولهم من الأولى، والسلام(۱).

وبعد ذلك رجع الامام عليه السّلام وجنده إلى الكوفه، وهنا اعتزل الخوارج واتجهوا إلى حروراء، وبها سموا «حروريه» ثم كان بُعيد ذلك إفسادهم فى الأرض ومناجزه أمير المؤمنين عليه السّلام لهم، فكانوا مانعاً من مقاتل معاويه بن أبى سفيان.

فكانوا ممهدين لتحول الخلافه إلى ملك عضوض، حيث ورث الامام الحسن عليه السّلام تلك النتائج مع جيش قليل العده والعدد كما أتضح من خطاب أمير المؤمنين عليه السّلام حيث انفض الأعم الأغلب من الجند وتركوا معسكرهم «النخيله» فارين إلى خفض العيش والدعه والمسكنه، وبالتحقيق ربما لم يبق إلى صف الامام الحسن عليه السّلام إلا تلك المقدمه -

---

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى، تحقيق الزينى :۱ /۱۴۰ .

وهى أربعون ألفاً لا يزيـدون - التى قادها عبيـد الله بن العباس لمواجهه القاسـطين إلا أنه أصـبح فى معسـكر معاويه خاذلاً امامه وخائناً أمانته، فقادهم قيس بن سعد بن عباده الذى أصر إلى أخر لحظه على عدم مبايعه معاويه.

وإن مـا جرى فى مسـكن ومحـاوله أحـدهم لإغتيال الامام عليه السّـلام وسـلب متاعه إلى غير ذلك يؤكـد ما نـذهب إليه من قله جنده، وإضطراره لحفظ البقيه من خلص أصحابه وتأخير الحرب إلى وقت آخر كما فى تصريحه عليه السّلام، فكل ذلك عوامل أنتجت الصلح وما أعقبه من ظواهر ومواقف للفرقاء.

ص: ٣٠٩

خلافه الامام الحسن بن علی علیهما السّلام

مبایعه الامام الحسن علیه السّلام بالخلافه:

ذکر المؤرخون، أن لما قتل الامام علی بن أبی طالب علیه السّلام ثار الناس إلی الحسن بن علی بالبیعه، فبایعوه(۱)، وکان ذلک بعد فراغ الامام الحسن علیه السّلام من قتل عبد الرحمن بن ملجم – قاتل الامام علی علیه السّلام –،حیث أتجه حشد کبیر من أهل الکوفه إلی الامام الحسن علیه السّلام، وقد غص بهم مسجد الکوفه – علی سعته – فقام خطیباً، حیث کان یقف أمیر المؤمنین علیه السّلام، وحوله من بقی من صحابه الرسول صلی الله علیه وآله – مهاجرین وأنصار – فقال بعد أن حمد الله وصلی علی محمد وآله:

لقد قبض فی هذه اللیله رجل لم یسبقه الأولون بعمل، ولا یدرکه الآخرون بعمل، لقد کان یجاهد مع رسول الله صلی الله علیه وآله، فیقیه بنفسه، وأینما وجهه رسول الله صلی الله علیه وآله کان جبرائیل عن یمینه ومیکائیل عن یساره، فلا یرجع حتی یفتح الله علیه»(۲)...

ص: ۳۱۰

۱- الامامه والسیاسه، ابن قتیبه الدینوری: ص۱۸۳.

۲- الأرشاد، الشیخ المفید: ۲ / ۸، مقاتل الطالبیین، أبو الفرج الأصفهانی: ص۳۲ -۳۳. دارالکتاب، إیران، شرح نهج البلاغه، ابن ابی الحدید: ۱۶/ ۳۰.

وبعد استعراضه ما كابده الامام عليه السّلام وقاساه فى سبيل الرسول صلى الله عليه وآله و رسالته قال:

«أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى، فأنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعى إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذى افترض الله مودتهم فى كتابه إذ يقول: {قل لا أسألكم عليهم أجراً إلا الموده فى القربى ومن يقترف حسنه نزد له فيها حسناً}(۱) فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت، ودعا الناس إلى بيعته؛ فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبه إلينا، وأحقه بالخلافه، فبايعوه، ثم نزل عن المنبر(۲).

وإن أول من بايعه، هو قيس بن سعد بن عباده، فقال له:

أبايعک على كتاب الله وسنه نبيه، ثم بايعه الناس بعده(۳).

وكان ذلک يوم دفن الامام على عليه السّلام لثمان ليال بقيت من رمضان سنه أربعين هجريه. وقال ابن الكثير:

الخلفاء الأربعه: أبو بكر، عمر، عثمان، وعلى خلافتهم محققه، ثم بعدهم الحسن بن على - كما وقع- لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق... الخ(۴).

۱- الشورى، الآيه: ۲۳.

۲- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانى: ص۳۳؛ الأمالى، الشيخ الطوسى، ص ۲۷۰؛ المعجم الأوسط، الطبرانى، ۲ / ۳۳۶، على اختلاف يسير فى مصدرين الاخرين (محقق)..

۳- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ج۸، ص۱۶.

۴- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ج۶، ص۲۵۵.

وإنه لما قتل الامام على ابن أبى طالب عليه السّلام سار الناس إلى الحسن بن على عليهماالسّلام بالبيعه.

موقف الامام الحسن عليه السّلام من معاويه

كـان الامام على عليه السّلام يعـد جنـده قبيل اغتياله لقتال معاويه وأهل الشام، وقـد حال استشـهاده عن ذلك، وكان معاويه فى الوقت نفسه يـدس الرجال إلى الكوفه والبصـره وغيرها للقيام بالأعمال التخريبيه والقتل غدراً ومكيده على طريقته فى الكيد: «أن لله جنوداً منها العسل»(١).

فكتب إليه الحسن عليه السّلام - بعد أن قتل المسلمون أحد رجاله: -

أما بعـد، فإنك دسـست إلى الرجال، كأنك تحب اللقاء، وما أشك فى ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقـد بلغنى أنك شـمت بما لا يشمت به ذوو الحجى(٢).

صلح الامام الحسن عليه السّلام الأسباب والدوافع:

إن لفهم موقف الامـام عليه السّلام، ومن ثم صـلحه مع معـاويه لابـد من اسـتحضار نقطتين أساسـيتين تتعلقـان بمهمه الامام عليه السّلام ووظيفته، وهما:

١- النص :«قـال معـاويه أيضـا حين بلغه أن الأـشتر سـقى شـربه عسـل فيهـا سم فمات: إن لله جنودا منها العسل»، عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء، موفق الـدين أبى العباس أحمـد بن القاسم بن خليفه بن يونس السـعدى، متوفى ۶۶۸، دار مكتبه الحيـاه، بيروت، تحقيق، د.نزار رضا: ۱۷۴؛ تاج العروس، الزبيدى: ۲/۳۲۶.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانى: ص٣٣.

۱- الحفاظ على سلامه مبادئ الرساله الإسلاميه، والتجسيد الكامل لها فی واقع الأمه.

۲- تحصین الأمه الإسلامیه، وإعداد الجیش العقائدی لتأمین ذلک التحصین ضد الانحراف الذی سعت إلیه أطراف کثیره مدفوعه إلیه بدوافع متباینه، ففی ذلک تواجه الامام ثلاثه احتمالات، هی(۱):

الأول: أن یحارب معاویه رغم الظروف السیئه، ورغم النتائج المؤلمه التی تترتب علی هذا الموقف(۲)، مع یقین الامام الحسن علیه السّلام بأن الموقف سیکون لصالح معاویه.

الثانی: أن یسلم السلطه إلی معاویه، ویتخلی عن أهدافه ودوره(۳).

الثالث: أن یتخذ الموقف المنسجم وطبیعه الرساله الإسلامیه محافظاً علی مهمته ووظیفته لکونه الشخص الأمین علی الرساله، والامتداد الطبیعی للنبی فی خط الامامه المعصومه، فیتخلی عن الصراع المسلح مؤقتاً ریثما تتوفر الظروف المناسبه للمواجهه والإطاحه بالحکم الفاسد.

فعلی أساس ذلک أبرم الامام عقد الصلح مع معاویه.

۱- ثوره الحسین، محمد مهدی شمس الدین: ص۱۴۲. دار التعارف، بیروت، ط۵، ۱۳۹۹.

۲- نفس المصدر.

۳- نفس المصدر.

الأسباب المباشره (للصلح):

١- كراهه الناس للحرب:

قول الامام الحسن عليه السّلام لحجر بن عدى:

«إنى رأيت هوى عظم الناس فى الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن احملهم على ما يكرهون فصالحت بقياً على شيعتنا (خاصه) من القتل»(١)

٢- تأجيل الحرب:

فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو فى شأن(٢)، أى تأجيلها والأعداد لها فى غير وقت معاويه.

كما يؤكد ذلك قول الامام الحسن عليه السّلام لسفيان بن ليلى:

«ما أردت بمصالحتى معاويه إلا أن ادفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابى عن الحرب، ونكولهم عن القتال»(٣).

٣- ضعف الوازع الدينى:

وهو العامل الأهم كما يصوره الامام الحسن عليه السّلام فى أحد خطبه:

«وكنتم فى مسيركم إلى صفين ودينكم امام دنياكم، وأصبحتم اليوم

١- الأخبار الطوال، الدينورى: ص ٣٢٠.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

ودنياكم امام دينكم»(۱).

وكانت تركيبه جيش الامام عليه السّلام كما يحددها فى خطبته أعلاه:

۱- طائفه تريد الثأر لقتلاها فى النهروان(۲).

۲- طائفه متخاذله «فأما الباقى فخاذل».

۳- طائفه مواليه، والذين وصفهم بقوله: «وباكى ثائر»(۳).

جيش الامام الحسن عليه السّلام:

اختلف المؤرخون فى تعداد جيش الامام الحسن عليه السّلام الذى تهيأ به لقتال معاويه مع اتفاق بينهم على أن مقدمته كانت اثنا عشر ألفاً، وهى التى التقت جيش معاويه فى منطقه (مسكن)، والتى فيها حاول معاويه استماله قاده جيش الامام الحسن: قيس بن سعد،وعبيد الله بن عباس، حيث أغراهم بالمال والمناصب الحكوميه،ولكن قيس بن سعد - القائد الثانى فى جيش الامام- رفض إغراءات معاويه، وقال لمعاويه: «لا التقيك إلا السيف والرمح بينى وبينك».

وبشكل عام استطاع معاويه تفتيت تماسك جيش الامام، وقد عبر الامام الحسنعليه السّلام عن تخاذل جيشه غير مره فى خطب له عديده، وإن خطبه الامام عليه السّلام، يوم بيعته وحثه القوم للقاء معاويه القادم إليهم بجيش الشام، تدل على عدم إجابتهم له عليه السّلام، وعدم رغبتهم فى الحرب،ونكوصهم للراحه والدعه.

ص: ۳۱۵

۱- الارشاد، الشيخ المفيد: ص ۱۷۰.

۲- نفس المصدر.

۳- نفس المصدر.

وذهبت هباءً محاولات بعض الأصحاب لاستنهاض جيش الامام، كمحاوله عدى بن حاتم الذى حث القوم على الجهاد وحرب أهل البغى. وكان خلص أصحاب الامام عليه السّلام يطرفون فى أزقه الكوفه، وينادون بالجهاد، ويطلبون من الناس أن يؤازروا امامهم وينصحوا له، ولكن الناس تتباطأ فى التجهز للحرب، وما كان من انتهاب فسطاط الامام عليه السّلام، ومحاوله اغتياله وهو فى معسكره فى المدائن، الأمر الذى يؤكد اضطرار الامام عليه السّلام للصلح مع معاويه.

على هامش صلح الامام الحسن عليه السّلام

رؤيه تحليليه

اشاره

إن صلح الامام الحسن عليه السّلام مع معاويه يُعد أهم ظاهره فى خلافه الامام الحسن عليه السّلام، لما يبتنى عليه من فهم لتأسيس مرجعى فى حاله كتلك التى أكرهته - أى الامام على موقفه- فصالح معاويه؛ هذا من ناحيه، كما أن موقفه كان مظهراً للسلبيات التى أسهمت بها الفترات السابقه التى أهلت معاويه لولايه الشام والأجناد الأربعه، وما تلا ذلك من اتساع النفوذ الأمويه فى الولايات الأخرى وتركز رؤوس الأموال بأيديهم ومراكز القوه أيضاً، فضلًا عما أنتاب الأمه من حاله نكوص وانكفاء عن مرجعيتها الفكريه ومن ثم فقدانها الدافع للوقوف بوجه الظلم؛ ميلًا للدعه والمسكنه، وحباً بخفض العيش، كل تلك وغيرها من الأسباب أسهمت بشكل وأخر فى ما آل إليه أمر الأمه، فشكل فيما بعد منعطفاً تاريخياً كبيراً فى حياه الأمه الإسلاميه.

ولابد من وقفه مع الدارسين والباحثين الّذين توافروا على قراءه الصلح كظاهره فى تاريخ التجربه الإسلاميه، فكانوا فرقاء فى مواقفهم التى هى مظهر لما ارتكزوه من متبنيات ورؤى سابقه شكّلت ذهنيه انحيازيه تاره ومهادنه أخرى، وقليلاً ما تجد الموضوعيه واستناد الرساله كمرجعيه فى الحكم والمحاكاه للأحداث والظواهر وما أنتجته من واقع قريباً كان أو بعيداً عن مبادئ الرساله الإسلاميه.

واختلفوا فى تقييمه والحكم عليه، ولعل البعض منهم - فيما كتب- انغلق فى حدود

ص: ٣١٧

نصوص مضطربه ومتضاربه فی حکایه الأحداث التی حفل بها التاریخ الإسلامی والتی کتبت بذهنیه أمویه ومداد عباسی.

وکـان نتیجه ذلک إهمال بعض المؤرِّخین لکثیر من التفصـیلات التی تتعلق بتلک الحوادث، ومالوا للإجمال فیما یخص حوادث أخری لأـن بها الکثیر مما یخـدش سـلطان الغلبه والقهر وینتصـر للرساله والرسالیین الأمینین علی حفظ الـدین وتحصـین الأمه من "فِتنه الانقلاب علی الأعقاب".

وإن الـدراسه أو البحث فی مواقف الأـئمه علیه السّـلام، ومنهـا "صـلح الامام الحسن" لایمکن أن یوصف بالموضوعیه أو یتسـم بالعلمیه إذا ما فقد النظره الشمولیه فی البحث والدراسه لأمرین هامین، قد تمثلا بدور الأئمه تجاه الرساله:

أولاً: بالعمل علی الحفاظ علیها سلیمه من التحریف" کمرجعیه مفهومیه" للارتفاع بالواقع وفقاً لها.

وثانیاً: تجاه الأمه بتحصینها من الانحراف ومحاوله بناء الجیش العقائدی الذی یحقق أهداف الرساله.

وعلی وفق هذین الأمرین تتم دراسه صلح الامام الحسن علیه السّلام.

فأما بالنسبه للأمر الأول، وهو ما یتعلق بالحفاظ علی الرساله، فیتضح من خلال خطبه الامام الحسن علیه السّـلام فی الکوفه خلال مراسم الصلح، قال علیه السّلام:

«... وإن معـاویه زعم أنی رأیته للخلاـفه أهلاًـ ولـم أر نفسـی لهـا أهلاًـ فکـذب معاویه، نحن أولی الناس بالناس فی کتاب الله عز وجل وعلی لسان نبیه»(۱).

ص: ۳۱۸

۱- الأمالی، الشیخ الطوسی، ص ۵۵۹؛ صلح الامام الحسن (ع)، محمد جواد فضل الله: ۳۵. دار الزهراء، بیروت/ط۳، ۱۴۰۸ه- .

والنص يؤكد حرص الامام عليه السّلام على التزام موقفه السياسى ورئاسه الدوله الإسلاميه فى إطار مسؤولياته التغييريه الكبرى، أما إذا كان مدعاه إلى إعطاء فرصه لمعاويه وسواه ممن يحاوله توظيف الرساله ومبادئها لخدمه أغراضه ولو على بحرٍ من دماء المسلمين؛ فالامام عليه السّلام لا يرى أن يتخذ كل وسيله للوصول إلى السلطه(۱).

وأما بالنسبه للأمر الثانى، وهو تحصين الأمه والارتفاع بها، فيتضح لنا من خلال نقطتين اثنين هما:

الأولى:

وهى ما عبّر عنه السيد الشهيد محمد باقر الصدر ب- «مرض الشک» الذى ابتليت به الأمه فى زمن الامام الحسن عليه السّلام، حيث كانت تشک فى مبدئيه الصراع بين الامام الحسن عليه السّلام ومعاويه إذ اعتبرته بين سلطانين على الملک، وليس صراعاً بين شرعيه الامام وأحقيته وبين معاويه وانحرافه وظلمه وجوره.

وكان من المحال على الامام النهوض بالأمه لمواجهه معاويه وهى بهذا المستوى من الوعى، الأمر الذى دفعه لإيقاع الصلح مع معاويه بغرض الكشف عن حقيقته ولكى تعرف الأمه الفوارق بينه عليه السّلام وبين ابن أبى سفيان. وفعلًا حصل للامام ما يريد بعد حين عندما نكث معاويه شروط الصلح، فعرفت الأمه حينها أحقيه الامام، وتهيأت لاستقبال وضعاً آخر زمن امامه الحسين عليه السّلام.

۱- انظر: أهل البيت تنوع أدوار ووحده هدف، السيد الشهيد آيه الله العظمى محمد باقر الصدر(رض)، موضوع ثلاثه أئمه ففيه تفصيل عن الموقف الموحد للأئمه (ع) من أجل حفظ الرساله، وكيان الدوله والأمه.

والثانيه:الظروف الموضوعيه

اشاره

وهي ما يتعلق بالقوه العسكريه التي ينهض بها الامام عليه السّلام، ومدى تفاعل الجيش مع أهداف الامام عليه السّلام ومستوى معنوياتهم – فالجيش قد خاض حروب ثلاثه الجمل وصفين والنهروان – إذ لا يمكن له أن ينهض ويقاتل، وكل الشروط المطلوبه لإنجاح مهمته وفقاً للمقاييس غير متوفره، بل إن الظروف لم تكن متوافره وحتى بالحد الدفاعي الذي يمنع إباده جيش الامام عليه السّلام وقد لايشترط بها أن تكون أكبر من قوه العدو من الناحيه الماديه، بل يكفي فيها أن تمنع حصول تلك الإباده التي ليس فيها عطاء وفقاً لوحده الهدف في مواقف الأئمه عليه السّلام.

والامام الحسن عليه السّلام لم يحصل على هذه القوه حتى بالحد الأدنى مما دفع الامام عليه السّلام مكرهاً ومضطراً للصلح.

بنود معاهده الصلح

اشاره

اشتملت المعاهده التي تم توقيعها من قبل الطرفين والاشهاد عليها على خمس مواد لم يف معاويه بأي منها(۱).

الماده الأولى:

أن يُسلم الامام الحسن عليه السّلام الأمر إلى معاويه، على أن يعمل بكتاب الله وبسنه رسوله صلى الله عليه وآله(۲)، وبسيره الخلفاء الصالحين(۳).

ص: ۳۲۰

۱- البدايه والنهايه، ابن كثير: ۸/۴۱.

۲- شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد:۴/۸، والامامه والسياسه، الدينوري: ۱۸۵.

۳- النصائح الكافيه، ابن عقيل، ط ۱ : ۱۵۶، وتاريخ الخلفاء، السيوطي :۱۹۴.

الماده الثانيه:

أن يكون الأمر للحسن عليه السّلام من بعده (۱) - عند موت معاويه -، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السّلام (۲)، وليس لمعاويه أن يعهد به إلى أحد(۳).

الماده الثالثه:

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاه، وأن لا يذكر علياً إلا بخير(۴).

الماده الرابعه:

استثناء ما فى بيت مال الكوفه، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاويه أن يفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس.

وإن يُفرق فى أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج (دار أبجرد)(۵).

الماده الخامسه:

إنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاويه ما يكون من هفواتهم، وأن لايتبع أحداً

۱- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ۸/۴۱.

۲- عمده الطالب، ابن المهنا: ۵۲.

۳- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ۴/۸.

۴- أعيان الشيعه، العلّامه محسن الأمين:۳/ ۴۳، ومقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانى: ۲۶، وغيرهما.

۵- هذه النصوص متفرقه فى الامامه والسياسه،الدينورى، طبع دار المعرفه،بيروت: ۲۰۰ وتاريخ الأمم والملوك، الطبرى، :۶/۹۶، والبدايه والنهايه، ابن الكثير،: ۸ /۱۴.

بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بأحنه(۱).

وإنّ أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم، وأن لايتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب على حيث كانوا...(۲)

وأنْ لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائله، سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق(۳).

وقد كتب معاويه فى ختام المعاهده فيما واثق الله عليه من الوفاء بها بما لفظه: "وعلى معاويه بن أبى سفيان بذلك، عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه"(۴).

وبذلك تكون الخلافه قد أفضت إلى قوم تولوها بغير استحقاق(۵).

نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السّلام:

اشاره

إن مسأله الصلح لم تكن الحدث الأول فى تاريخ الرساله الإسلاميه، فإن

۱- شرح نهج البلاغه، ابن الحديد : ۳ /۱۵.

۲- مقاتل الطالبيين،أبو الفرج الأصفهانى، منشورات المكتبه الحيدريه النجف الأشرف، ۱۳۸۵:۲۶، وشرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد : ۴/۱۵.

۳- النصائح الكافيه، ابن عقيل : ۱۵۶، ط ۱، الهند، وكشف الغمه، ابن أبى الفتح الاربلى: ۲/۱۹۳، وبحار الأنوار، محمد باقر المجلسى:۱۰/۱۱۵.

۴- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى:۱/۱۸۵. وانظر: صلح الامام الحسن، راضى آل ياسين: ۲۶۲؛ ففيه دراسه موضوعيه حوّل موقف الامام الحسن(ع).

۵- دائره معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى : ۳/۲۳۱.

الرسول صلى الله عليه وآله - الأسوه للأئمه عليه السّلام، ومن ثم للمسلمين عامه - كان قد صالح قريش، وهم آنذاك مشركين، وكان معاويه وأبوه وأقاربه فى صف الشرك يومئذ، وكذا إن الامام على عليه السّلام حين لم يجد بداً من التحكيم - للظروف السيئه التى أحاطت به، وخشيته على اقتتال أتباعه- صالح معاويه، وانتهى التحكيم بما انتهى إليه.

فصلح الامام الحسن مع معاويه بن أبى سفيان، لم يخرج عن السيره المشرفه للرسول صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، فهو وريثهما، والامتداد الطبيعى لهما.

وأما أهم نتائج ومعطيات الصلح فهى:

١- تزييف الشرعيه والطابع الدينى الذى عمل معاويه على إضفائهما على ملكه وشخصيته لدى المسلمين.

٢- إظهار أحابيل، وكذب معاويه، وكشف أهدافه لدى عامه المسلمين، وهذا ما أشار إليه طه حسين فى كتابه: (على وبنوه) بقوله:

«ما مات معاويه إلا وأكثر المسلمين وأهل العراق عامه يبغضون معاويه ويحبون أهل البيت، ويعتبرون ذلك ديناً لأنفسهم»(١).

٣- إيضاح وبيان أن هدف معاويه فى كل ما احتال له من شراء الذمم والضمائر، إنما كان فى سبيل الملك والسلطان ليس إلا.

٤- التمهيد والأعداد لثوره الحسين عليه السّلام بعد موت معاويه، حيث تكون الأمه قد عرفت الحق وأهله، والباطل وأهله، وستكون أكثر إستعداداً لمواجهه الباطل.

٥- توعيه الأمه على ضروره الارتباط بقياده أهل البيت عليه السّلام، وتأهيلها للكشف

ص: ٣٢٣

١- الفِتنه الكبرى، على وبنوه، طه حسين: ٢٩٥.

عن زيف القيـادات الضاله والمنحرفه عملياً؛ فلم يمض وقت حتى وقف معاويه خطيباً بأهل الكوفه ليكشف لهم عن حقيقته بقوله لهم:

«إنى والله مـا قاتلتكم لتصـلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقـد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون»(۱).

۱- مقاتل الطالبيين، أبوالفرج الأصفهانى: ۴۵.

معاویه

من ولایه الشام إلی خلافه المسلمین

إن الحـدیث عن ولایه معاویه للشام(۱)؛ ومن ثم تمرکز القوه فی یـدیه؛ وبالتالی تمکنه من السـیطره علیها، وما عرف عن طواعیه الشامیین له، یعنی قراءه لأحداث شغلت من الزمن - لم یطل التغییر والاستبدال خلالها معاویه من دون ولاه الخلفاء الثلاثه - ثلاثه عهود: خلافه أبی بکر وعهدی، خلافه الخلیفه الثانی -علی بعض المرویات هو الذی وضع الأجناد الأربعه تحت تصرف معاویه - وخلافه عثمان ثالث الخلفاء والذی عهده أمتد إلی عام [۳۵ ه-].

والمحصل إن الفتره «۱۲-۳۵»ه-؛ أی ما یزیـد علی العشـرین عاماً هی التی منحت معاویه المرکزیه فی الشام وأکسـبته الخبره فی میادین مختلفه، فضـلًا عن احتکاکه بجو الروم وما یحمل من تکریس کل شـیء للسلطه ومن أجلها، مع ما یضاف إلی ذلک من تطلع بـدوافع عدیـده لیس لدی معاویه فحسب، بل حتی أبوه کان یحثه علی هذا التطلع نحو تولی الأمر، ولأبی سـفیان رساله فی بدء تولی معاویه الشام أرسلها إلیه یحثه علی الطاعه والتزام ما یصدر إلیه من الخلفاء لأنهم سبقوهم إلی الإسلام وأنهم تأخروا

ص: ۳۲۵

۱- یراجع، تاریـخ الیعقوبی: ۲/۱۲۷- ۱۷۸، وتاریـخ الطبری (۸ مجلدات): ۲/۵۸۵، ۳/ ۹۸، وما بعـدها، أحداث عام ۱۱- ۳۵ه-. وغیرهما من کتب التاریخ.

فوضعهم هذا التأخر فی دخول الإسلام، حتی إذا ما آلت الخلافه إلی عثمان بن عفان أظهر شیخ الأمویین ما کان یحمله للرساله وما کان یکنه ویرعاه ویسعی إلیه وهو «الملک» فقال بحضره عثمان وکان الزبیر بن العوام حاضراً ولا یشعر به أبو سفیان لأنه کان أعمی -: (یا بنی عبد مناف تلقفوها تلقف فما هناک جنه و لا نار)(۱)، فقال له الزبیر:لا- کتمتها علیک؛ فجاء بها إلینا محبو أبی سفیان وسواهم وهی أثر یُدل العاقل !!

والقارئ لسیره معاویه یجده قد حافظ علی السیر بین خطین طموحه وما حمل وحملت عائلته عن الإسلام یوم بدر وأحد وفتح مکه وسواهما من الوقائع التی أهانت هبل ومشتقاته وأعلت کلمه الإسلام. فلا غرو أن یقف معاویه من علی بن أبی طالب علیه السّلام موقفه هذا، بل لا غرابه أن یتخذ کل وسیله إلی بلوغ هدفه وغایته ومن ثم تتحقق له، کما یتضح من سیاق الأحداث التاریخیه المنحصره بین «۱۱– ۳۵ه–»، وما بعدهما، ففیها کانت البادره ترعی،وفیها وضع الأثر البارز لفتره التأسیس، حیث ثبتت مرتکزات التحرک والتحریک له فی مجتمع عُرف بطاعه الولاه من أیام الحکم الرومی فی الشام وما جاورها؛ فکان ذلک عاملاً مساعداً للوالی، وأول الملوک علی حد تعبیر معاویه نفسه؛ فکانت هرقلیه وقیصریه تطبیقاً، وکما وصفها، عبد الرحمن ابن أبی بکر وسواها من ابناء الصحابه ومن بقی منهم.

۱- تاریخ الطبری: ۸/۱۸۵، مؤسسه الأعلمی للمطبوعه، بیروت؛ السقیفه و فدک و فی «السقیفه و فدک» ؛ للجوهری، ص: ۸۷، شرکه الطبع الکتبی للطباعه و النشر، بیروت: «یا بنی أمیه تلقفوها الکره، فوالذی یحلف به أبو سفیان، ما من عذاب و لا حساب، و لا جنه و لا نار و لا بعث و لا قیامه» (محقق).

الدوله الأمویه

النشوء وعوامل السقوط

كـان المنعطف الأـكبر بُعيـد وقعه صـفين والتحكيم، والـذى تمثـل فى روح الضـعف الـتى دبت إلى الجسم الإسـلامى حيث نما الشك والوهن وحب الـدعه فى المجتمع الإسـلامى، مما يسـر لميكافيليه معاويه أن تجـد لها طريق لشق الصف، وبالتالى أن تثمر دوله (بنى أميه) الملك العضوض الذى يرثه ابناء الطلقاء من آباء أرضـعوهـم عداء الرساله والرسول صلى الله عليه وآله والأمه إلا من والهم وسـار فى ركـابهم رضـاً للسـلاطين لاـ «لله» سـبحانه ولاـ «لرسوله صـلى الله عليه وآله»، وفى تلـك كـانت أزمه الـدوله والمجتمع حتى سقوط الدوله الأمويه عام [۱۳۲ه-].

وعلى وفق ذلـك يفهم موقف الامام الحسن عليه السّـلام، الـذى ورث جيشاً مفككاً تتوزع مساحته أمراض وظواهر عصـيه الحل: الشك، التخاذل - عُقيب ثلاث حروب والتحكيم غير المنتـج- مما أضـطر أن يصالـح معاويه لأجل لم يبلغ، وإن كان عامل هدم فى الملك الأموى وفضح عدم شرعيته على الامتداد الظرفى.

وإن جمله من العوامل يمكن أن تجمل قد أسـهمت تمهيداً وتأسـيساً، فتمظهر بهما الكيان الأمويه دوله وسلطان يتحكم فى رقاب الأمه موظفاً الدين للسياسى...

ص: ۳۲۷

العوامل الممهده لنشأه الدوله الأمويه

وهی العوامل - والتی یکون فاصلها الزمنی بعید نسبیاً عن عصر النشأه والتأسیس - التی مهدت لمعاویه والأمویین فی التغلغل فی مؤسسات الخلافه والاستحواذ علی مراکز المال والنفوذ فیها، ومن ثَمَّ تولّی أمر الدوله والأمه، وبذلک بدأت روح الإسلام تضمر شیئاً فشیئاً حتی وُظف الدین وکرس للتسلط وتطلعات السلطان، وکان لاضطراب المسار السیاسی والاجتماعی الذی شغل مساحه تنیف علی العقدین ممتده من الإرسالیه الأولی لجند الإسلام التی تولّی یزید ابن أبی سفیان قیادتها لتحریر الشام وما حولها - دوله أبی بکر [۱۱- ۱۳ه-] - ومن ثَمَّ تولّی إمره الشام وأجنادها معاویه أخیه - دوله عمر بن الخطاب [۱۳-۲۴ه-]- حتی بلغ ذروته زمن الخلیفه عثمان بن عفان [۲۴-۳۵ه-]، وإلی حیث حروب الخارجین علی الشرعیه [۳۶-۴۱ه-] حیث تصل الأسره الأمویه إلی مآربها وتحقق طموحاتها فی أواخر عهدی الخلیفتین الامام علی ابن أبی طالب والامام الحسن بن علی علیهماالسّلام، فیؤرخ بذلک لنشأه الملک العضوض - المیکافیلی- الدنیوی وتغیب الرساله ومبادئها السمحه عن ساحه الفعل والتأثیر فی میادین الحیاه المختلفه.

ومن أهم هذه العوامل:

۱- أحداث السقیفه وما أعقبها من ظروف أدت بالأمویین إلی التطاول من أجل استلام السلطه علی خَلْفیَّه شعار أن «الأئمه من قریش»، وقد صرح أبو سفیان فی حوار له مع الامام علی علیه السّلام عن التطلع الأموی للتسلط، عندما قال له:

«ما بال هذا الأمر فی أقل حی من قریش»(۱).

ص: ۳۲۸

۱- تاریخ الأمم والملوک، الطبری : ۲/۲۳۷.

وكان يريده فى بنى عبد مناف، وقد أشار معاويه نفسه إلى هذا الأمر أيضاً فى خطبته فى أهل المدينه عندما أراد أن يأخذ بيعتهم لابنه يزيد من بعده، فقال:

«وإنما هذا الأمر لبنى عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وآله ولّى الناس أبو بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافه»(١).

وعليه فإن تجاوز الصحابه للنص ببيعه السقيفه وتنصيب أبا بكر خليفه على أسس عرفيه، هو الذى فتح الباب واسعاً امام الاجتهاد وتقديمه على النص المرجعى؛ فتأهل المتبوع الخامل ليصبح مرجعاً فى التأسيس لتداول السلطه والتحكم فى مصير الرساله والأمه، فتلك النتاجات الاجتهاديه هى أهلت معاويه بن أبى سفيان لمنازعه الأمر أهله متأسياً بمن سبقه؛ متطاولاً متناسياً دور أبيه وأمه وعائلته فى محاربه الرسول صلى الله عليه وآله ورسالته ذاكراً فى كل أيامه قتلاه المشركين فى بدر وأحد وغيرهما من الوقائع طالباً بدمهم المهدور وقد أشار معاويه إلى ذلك فى رساله بعثها إلى محمد بن أبى بكر جاء فيها:

«قد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما أختار الله لنبيه عليه السّلام ما عنده ... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه»(٢).

١- الامامه والسياسه، المصدر السابق: ١/١٥٠.

٢- وقعه صفين، نصر ين مزاحم المنقرى: ١٢٠، المؤسسه الحديثه، مصر/ط ٢.

مُدعم:

إنَّ معاويه بن يزيد حفيد معاويه بن أبی سفيان لما طلب منه أهل الشام والأمويون أن يستخلف عليهم قال:

«والله ما ذقت حلاوه خلافتكم فلا أتقلد وزرها».

ثم صعد المنبر وقال:

«أيها الناس: إن جدی معاويه نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به من لقرابته لرسول الله صلی الله عليه وآله وهو علی بن أبی طالب، وركب بكم ما تعلمون حتی أتته منيته، فصار فی قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه، ثم قلّد أبی الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه، الأمل وقصر عنه الأجل وصار فی قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه»(۱).

۲- التغلغل إلی مراكز النفوذ فی الدوله، حيث استمال الخليفه الأول أبا سفيان بعد مبايعته له،بإعطائه الصدقات، ومن ثم تأمير ولده يزيد علی الجيش الذاهب لتحرير الشام، وكان معه معاويه، ولما علم أبو سفيان ذلك قال: «وصلته رحم»(۲).

۳- ولما مات يزيد بن أبی سفيان ولّی عمر بن الخطاب معاويه علی الشام، ثم لما

۱- الولاه والقضاه، الكندی: ۴۵-۴۶، نقلاً عن تاريخ الاسلام السياسی د. حسن إبراهيم حسن: ۱/ ۲۸۸. مكتبه النهضه المصريه، القاهره/ط۷،۱۹۶۴؛ و فی «ينابيع المودّه لذوی القربی، القندوزی: ۳ / ۳۶، دار الاسوه» باختلاف فی الالفاظ (محقق).

۲- تاريخ طبری، طبری: ۲ / ۴۴۹، مؤسسه اعلمی، بيروت، أخرج عن ثابت قال: لما استخلف أبوبكر قال ابوسفيان: ما لنا و لأبی فضيل، إنما هی بنو عبد مناف: قال: قيل له: انه قد ولی ابنك، قال – ای ابوسفيان - : و صلته رحم (محقق).

كـانت خلافه عثمان أضـيفت لولايه معاويه الأجناد الأربعه – حمص وقنسـرين ودمشق وحلب– فتلك الفتره المتواليه التى قضاها معاويه فى

الشام هى التى مهّدت ومكّنت له سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، يصف سيد قطب ذلك بقوله:

«إنَّ ثلاـثه عشر عامـاً من حكم عثمـان هى التى جعلت من معـاويه، معـاويه، إذ جمعت له قوه المال وقوه الجنـد وقوه الـدوله فى الأمصار الأربعه»(١).

فكيف إذا أضـيفت إليهـا الفتره الزمنيه السـابقه خلاـل عهـدى الخليفه الأـول والثانى قبل تولى عثمان بن عفان الخلافه، إثر مقتل عمر بن الخطاب، حيث أطلق اليـد الأمويه فى أمور الدوله والأمه، إذ أصـبحت الولايات تدار من قبل الأمويين. فمعاويه فى الشام والوليد بن عقبه فى الكوفه وعبد الله بن عامر فى البصره، وعبد الله بن أبى سرح فى مصر...!! مما مهد فيما بعد للأمويين فى إقامه دولتهم عن طريق ما أسسوا من تكتلات ونفوذ فى تلك الأمصار من خلال استحواذهم على الأموال والاقطاعات.

۴– شـكليه إسـلام العائله الأمويه: فهم مسـلمه الفتح الذين اسـلموا مكرهين إذعاناًللأمر الواقع، الأمر الذى جعلهم يستبطنون عداءاً متأصلًا للإسلام، ويكيدون به وبأهله كيداً، وقد أشار إلى ذلك الامام على عليه السّلام رداً على عميد الأسره الأمويه أبى سفيان، إذ قال الامام له: «طالما بغيت للإسلام شراً»(٢)، ثم أن شكليه إسلام الأمويين، وعدائهم المتأصل يؤكدها تصريح أبى سفيان يوم أفقـده الله بصـره، قائلاًـ لعثمـان بن عفـان أيـام خلاـفته: «تلاقفوهـا يـا بنى أميه – أى الخلاـفه–»، وكان الزبير حاضـراً فقال له: «لا اكتمك

١– العداله الاجتماعيه فى الاسلام: ١٨۶.

٢– تاريخ الطبرى: ج٢، أحداث سنه ۴١ه–..

إياها وأذاعها عليه».

وقد برز الحقد الأموى على آل البيت النبوه على لسان يزيد بن معاويه وهو يرتجز بأبيات من الشعر بعد مقتل الامام الحسين عليه السّلام كاشفاً عن الروح الجاهليه التى استوعبت جميع الوجود الأموى - والشعر فى الأصل لابن الزبعرى - حيث يقول فيها:

ليت أشايخى ببدر شهدوا

لأهلوا استهلوا فرحاً

لعبت هاشم بالملك فلا خبراً

جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

جاء ولا وحى نزل(۱)

أما العداء الأموى من الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين عامه والأنصار خاصه - لأنهم أفنوا نواضحهم فى مطارده أبى سفيان ورهطه يوم العير وببدر وسوها من الوقائع- فمظهرهما موقف الأمويين يوم الحره حيث استبيحت مدينه الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثاً، وأعملوا سيف الحقد فى الصحابه من الأنصار ومن ساكنهم حرم الرسول صلى الله عليه وآله، وكان ذلک عام ۶۳ه‍-. وأما حرم الله «الكعبه» المقدسه فقد رميت بالمنجنيق وحُرقت، وهدم جدرانها .... فهذا الدين الأموى وهو ديدنهم بالتعامل مع الرساله، ومسلمى الأمصار التى أُنقصت أعطياتهم «أهل الحجاز والعراق»، ونفوا وشردوا وصلبوا...!!!

وإن كتاب الله قد مزقه الوليد الذى رام الذهاب إلى بيت الله الحرام ليشرب الخمر فوقه؛ فهو خليفه الله، وظله على أرضه، وأمير المؤمنين و..، حتى مقته الناس لفسقه؛ فخرجوا عليه وقتلوه ...(۲).

۱- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ۱/۱۷۸، وما بعدها.

۲- تاريخ الخلفاء، السيوطى: ۲۵۰-۲۵۳.

۵- النفعيه السياسيه:

وهی سمه وطبيعه أخلاق الأمويه تعتمد المكر والخديعه، وإتقان اللعبه السياسيه دون رادع من ضمير أو دين(۱).

وقد تمكنوا بهذه الخصال من كسب المنافع الآنيه التی بواسطتها تمت سيطرتهم علی الحكم الإسلامی وتحويله إلی ملك عضوض.

وإنَّ النص المأثور عن أمير المؤمنين عليه السّلام يُعد قراءه واعيه لسيكولوجيه معاويه ورهطه الأمويين، قال عليه السّلام:

«والله ما معاويه بأدهی منی، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهيه الغدر لكنت من أدهی الناس، ولكن كلُّ غدرهٍ فجره، وكلُّ فجره كفره»(۲).

وقد ساهمت عوامل أخری فی التحول السياسی والاجتماعی داخل المجتمع الإسلامی وتولی معاويه الأمر منها:

۱ - الخروج علی الشرعيه، الذی قاده بعض الصحابه فی الجمل - أُمُّ المؤمنين عائشه، وطلحه والزبير- والذی راح ضحيته آلاف القتلی والشهداء، فضلاً عما سببه من اختلال أمنی سياسی، وترك آثار نفسيه ليس من السهل تجاوزها عند فئه من الناس.

۲ - تمرد معاويه وخروجه علی شرعيه الخليفه، وشق وحده الأمه والدوله باستقلاله فی الشام وإعلان نفسه خليفه فی إيليا بعد مقتل عثمان.

۳- وقعه صفين، ونتائجها السلبيه، وشهاده معظم القاده الرساليين من صحابه

۱- العداله الاجتماعيه، سيد قطب: ۱۷۵-۱۸۵.

۲- نهج البلاغه، ضبط د. صبحی الصالح، مؤسسه دار الهجره - قم: ۳۱۸، الخطبه رقم: ۲۰۰.

النبی صلی الله علیه وآله وخیار المسلمین، مما أضعف موقف الامام العسکری، والسیاسی وتفکک جیشه خصوصاً بعد رفع المصاحف، والتحکیم ونتائجه السلبیه، وتمرد الخوارج، وما تبع ذلک من وقعه النهروان التی کانت نهایهً للخوارج – المارقین حسب المأثور النبوی _ کل هذه أعطت مواقع قوه لمعاویه، وکانت آثارها سلباً علی موقف الامام علی علیه السّلام ومن بعده الامام الحسن علیه السّلام الذی سیجد نفسه مضطراً للصلح والتنازل لمعاویه بشروط لم یفِ بأی منها.

۴ – الاستقرار السیاسی والاجتماعی اللذین تتمتع بهما الشام.

۵ – اغتیال الامام علی علیه السّلام فی التاسع عشر من شهر رمضان المبارک عام [[۴۰ه–]].

۶ – اغتیال الامام الحسن علیه السّلام من قبل معاویه بدس السم له، الأمر الذی مهد لتولیه یزید بن معاویه خلفاً له، وبهذا یکون معاویه قد نقض المواثیق والعهود التی قطعها علی نفسه امام الأمه وتضمنتها صحیفه الصلح(۱).

أسباب سقوط الدوله الأمویه

اشاره

شغلت الدول الأمویه مساحه زمنیه امتدت [۴۱–۱۳۲ه–] حیث قیام الدوله العباسیه ونهایه السلطنه الأمویه، وإن جمله من العوامل والأسباب کانت وراء ذلک الانهیار والسقوط، الذی أودی بالتراث الأموی حتی کذکر حسن بین ابناء الأمه، ومما

۱– انظر : موضوع سابق ((علی هامش صلح الامام الحسن)).

تجدر الإشاره إليه أن تلك العوامل والأسباب هى نتاج وإفراز السلوك ملوك الدوله الأمويه وولاتها تجاه الرساله تطبيقاً حيث تم توظيفها للسلطان وطموحاته وتطلعه، وتجاه الأمه حيث العلاقه بينهما كانت تجسيداً للعنف والقهر والإكراه الذى مورس تجاهها وفى الأمصار المختلفه خلا الشام التى كانت تتمتع بحصانه للطاعه العمياء للوالى، فضلاً عن المأثور النبوى حول الطلقاء.

وتجمل تلك الأسباب فى:

أولاً: عدم شرعيه الدوله الأمويه

اشاره

لقد حمل المأثور النبوى المبارك تصريحات حول عدم أهليه الطلقاء فى تولى أمر الأمه، فكان ذلك مظهراً لعدم شرعيه الدوله الأمويه.

فعن أبى سعيد الخدرى، إنَّه سمع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول:

«إذا رأيتم معاويه على منبرى فاقتلوه...»

كما حذرت روايات وأخبار أخرى من آل مروان وأشارت إلى أنهم سينزوون على منبر الرسول صلى الله عليه وآله، وعن أبى ذر فى حواريه له مع عثمان قال: إنه سمع الرسول صلى الله عليه وآله يقول:

إذا بلغت بنو أميه أربعين رجلاً ـ اتخذوا مال الله دوله بينهم وعباده خولاً(1).. وكان ذلك من عوامل نقمه الخليفه على أبى ذر (رض).

ويستجلى تأثير المروى هذا فى مواقف إسلاميه ممتده منذ دوله عثمان وحتى

١- البدايه والنهايه، ابن كثير: ۶/ ۲۴۲، وفى روايه عن أبى سعيد (إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين). ٨/٢٩٥.

سقوط الدوله الأمويه، واصبح مستند الخروج والطعن على الأمويين، فقد وسمَّ ابناء الصحابه الدوله الأمويه بالكسرويه والهرقليه، ووصفوها بالملك العضوض.

من المروى التاريخى

إنَّ معاويه بن أبى سفيان قصد المدينه المنور ليأخذ بيعه أهلها لابنه يزيد، فالتقى بالعبادله – عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير– كى يمهد للبيعه إذا ما حصل على موافقتهم، إلا أنهم رفضوا مقترحه، وقال عبد الله بن عمر لمعاويه:

«إنَّ هذه الخلافه ليست بهرقليه، ولا قيصريه، ولا كسرويه، يتوارثها الابناء عن الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبى»(١).

خليفتان

إنَّ إعلان معاويه نفسه خليفه، أو حتى أن عصيان وخروجه على الشرعيه، كان يوجب على المسلمين أن يقفوا بوجه ويحاربوه لشقه وحده الأمه.

يقول سبط ابن الجوزى: ثم العجب من منازعه معاويه لعلى الخلافه، وقد قطع الرسول صلى الله عليه وآله طمع من طمع فيها بقوله: «إذا ولى خليفتان فاقتلواالأخير منهما»(٢).

ثانياً:

خَلْفيه السلوك الأموى فى الذهنيه الإسلاميه إبان خلافه عثمان، وانحراف الممارسه

١– الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١٩۴، وما بعدها.

٢– تذكره الخواص، سبط ابن الجوزى: ۶۵.

السلطويه، وتوتر العلاقه بين الأمه والسلطه بمفاصلها جميعاً، فحين تولّى معاويه الأمر أستعاد هؤلاء مراكزهم، وعادوا إلى سابق عهدهم فى البعد عن مبادئ الرساله، وتكريس مسأله «قميص عثمان» ضد من يرون فيه مخالف لهم أو هوى علوى أو غير ذلك.

فكان لهذه الخَلْفيه الأثر الكبر «ولاده ونمو الكره لدى الكثير من المسلمين، وأهل العراق خاصه ضد الأمويين قبل وخلال وبعد سقوط دولتهم»(۱).

ثالثاً: الثورات والحروب الداخليه

يؤرخ للثوارات إبتداءً، بثوره الامام الحسين عليه السّلام عام [۶۱ه-]، ومن وقعه الحره وتتابع الخروجات على الدوله الأمويه ولا تنتهى إلا بنهايتها وسقوطها عام [۱۳۲ه-].

وكان سمه العهد الأموى عدم الاستقرار والاضطراب إذا ما استثنينا فتره معاويه وبعض الفترات الاخرى.

رابعاً: ولايه العهد وتوريث السلطان

وإنْ كانت ولايه العهد تاريخياً تنسب إلى الخليفه الأول حيث عهد إلى عمر بن الخطاب بتولى الأمر من بعده إلا أن الطابع لها ليس توريثاً مع مفارقه فى البين بينها وبين المنهج الذى وضعه معاويه بن أبى سفيان لتداول السلطه بعده، والتطور الذى أُجرى عليه فيما بعد حيث يتم العهد لأكثر من واحد وليس بالضروره أن يكون المعهود له شخصاً واحداً فربما عهد لأكثر من واحد، ويكونان ليس من الابناء، بل أخ

۱- تاريخ الاسلام السياسى، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبه النهضه المصريه، القاهره، الطبعه الأولى ۱۹۶۴: ۱/۲۷۹.

وابن أو غير ذلك بحسب ما يراه السلطان المشرف على الهلاك...

وكـان لهـذه الظـاهره آثارهـا السـيئه على البنيه السـياسه والاجتمـاعيه، فكـان التحزب والتنافس بين الفرقاء سبيلًا يُثمر دائماً النزاع والاحتراب، مما أدى إلى تفكك روابط الأسره الأمويه، وأدى بالنهايه إلى ضعف ووهن الدوله وكيانها.

خامساً: إحياء العصبيه القبليه

عمد السـلاطين وملوك الدوله الأمويه وولاتها إلى إحياء النعرات القبليه والأقليميه بين القبائل وسكان الأمصار الإسلاميه، وذلك كوسـيله لتمد فى عمر الدوله، وتفت فى الوقت نفسه بالآصره بين ابناء الأمه، مما ييسر السيطره عليها، فكان التمييز فى العطاء أحد مظاهر هـذا الإحياء فالعراق والحجاز وقعا تحت طائل التمييز والتمايز لموقف أهلهما تجاه الأمويين قبل دولتهم وبعـد أن آل الأمر لهم، يضاف إلى ذلك إذكاء الروح القبليه بين القيسيه واليمانيه إلى غير ذلك....

نموذج مروى:

خطبه الحجاج فى أهل العراق

«يا اهل العراق ان الشـيطان قـد اسـتبطنكم فخالط اللحم والـدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشـغاف ثم أفضـى إلى الامخاخ والاصـماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وأشعركم خلافاً أخذتموه دليلًا تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربه أو تعظكم وقعه أو يحجركم إسلام

ص: ٣٣٨

أو ينفعكم بيان ألستم اصحابى بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذاً وتنهزمون سراعاً ثم يوم الزاويه وما يوم الزاويه بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءه الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى اعطانها لا- يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقعصتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله، يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوه بعد الن-زوات إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم وان أمنتم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون حسنه ولا تشكرون نعمه هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورحبتموه، يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعت ناعب أو زفر زافر إلا- كنتم اتباعه وأنصاره، يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع، ثم التفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من

الذئاب، یا أهل الشام انتم الجنه والرداء وأنتم العده والحذاء فضیله الصبر علی المصیبه»(۱).

ص: ۳۴۰

۱- البیـان والتبیین، الجاحـظ عمرو بن بحر بن محبوب، دار مکتبه الهلال، بیروت، الطبعه الحادی عشـره ۱۴۰۸ه- : ۱/۲۸۶-۲۸۷. العراق فی العصـر الأموی من الناحیه السیاسـیه والاداریه والاجتماعیه، ثابت إسـماعیل الراوی، مکتبه النهضه بغداد، الطبعه الأولی ۱۹۶۵ : ۲۳۲، وما بعـده؛ شـرح نهـج البلاغه، ابن ابی الحدیـد: ۱ / ۳۴۵، «اهـل العراق و خطـب الحجـاج فیهم» دار احیـاء الکتب العربیه، علی اختلاف فی الالفاظ (محقق).

الممارسه الأمویه وواقع التجربه الإسلامیه

إنَّ واقع التجربه الإسـلامیه بعد وفاه الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله قد أفرز نمطاً معیناً من السلوک السیاسی والاجتماعی صار فیمـا بعـد مرجعاً لکثیر من المسـلمین یحتکمون إلیه فی قیـاس درجه الانـحراف الأـموی عنه، إلاـ أنَّ التقـاطع والخروج الأـموی السـلطوی ظـاهره عـامه فی الممـارسه والحکم الأمویّین خلال عمر الـدوله [۴۱-۱۳۲ه-]. فمعاویه مؤسـس الدوله الأموی یصـرح معترفاً بهذا الخروج علی سُـنَّه الخلفاء - أبو بکر وعمر، وعثمان- مبتدعاً بذلک منهجاً جدیداً لا یمس من قریب أو بعدید السـیره السابقه.

ففی لقاءٍ لمعاویه بأهل المدینه یقول:

«... ولقـد رُمـتُ نفسـی علی عمـل ابن أبی قحـافه - أبی بکر الخلیفه الأـول- فلم أجـدها تقـوم بـذلک، وأردتهـا علی عمـل ابن الخطاب - عمر الخلیفه الثانی- فکانت أشدُّ نفوراً، وحاولتها علی مثلِ سنیات عثمان - یصرح به- فأبت علیَّ...»(۱).

وکان الرأی العامی الإسلامی تجاه السیاسه الأمویه یتحدد فی «اتجاهین»:

الأول: یتمثل بضـمور سیاسه وسلوک الخلیفتین الأول والثانی والنحو بالدوله منحی القیصریه والکسرویه، بغض النظر عن الخلفیه التی خرج منها الأمویون إلی

ص: ۳۴۱

۱- مختصر تاریخ دمشق، ابن منظور: ۲۵-۲۶/۴۵.

السلطه والحكم والانفراد بهما كونهم من الطلقاء المحاربين لله ورسول صلى الله عليه وآله والمتبعين غير سبيل المؤمنين.

الثانى: يتمثل بأغلبيه الصحابه وابنائهم وبنى هاشم ومن والهم تقفيًا للآثار الوارده عن الرسول صلى الله عليه وآله سواء منها ما يختص بالنص على علىّ وابنائه أو عدم شرعيه تولّى الطلقاء وابنائهم الخلافه وأمر الرساله والأمه.

إنَّ مقاييس العطاء بين المسلمين أيام الخليفه الأول كانت مطبوع بالمساواه لأن الفضل حسب - أبو بكر - عند الله جزاؤه، كما أنَّ عمر فاضل فى العطاء على اساس السبق والبلاء والخدمه فى الإسلام - متذرعاً أنَّ مَنْ قاتل الرسول صلى الله عليه وآله ليس كمن قاتل معه- فهذه الأصول لم تعد تقرر فرض العطاء بين المسلمين خلال التسلط الأموى، إذ اصبح الولاء للدوله وحكامها، بل وولاتها هو المعيار فى فرضه، وتقرير مستحقه من سواه؛ لذا تنافست القبائل العربيه وزعماؤها فى إظهار الولاء والتفانى فى الدفاع عن السلطه الأمويه مقابل المكافئات الماليه والحصول على المناصب(١).

ونخلص إلى أن السلوك الأموى فى الحكم كان سلوكاً تعسفياً استبدادياً لم يترك مجالاً من مجلات الحياه الاجتماعيه والسياسيه إلا وعبث فيه، وقد تجلى ذلك فى التفريق بين والمسلمين وتفضيل بعضهم على بعض على أساس الولاء الأموى أو هذا شامى وسواه عراقى أو حجازى، فضلاً عن احتكار السلطه، وظهور العنف المقنن - ضد

١- الدوله العربيه الاسلاميه فى العصر الأموى، د. لبيد إبراهيم أحمد، د. عبد الواحد ذنون طه، د. عبد القادر سلمان المعاضدى: ١٢٩، دار الكتب، الموصل- العراق، ١٩٩٢ وانظر تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى العصر الأموى، خالد جاسم الجنابى: ٩٢. دار الحريه- بغداد، ١٩٨٤.

معارضـی الـدوله أو من له موقف سـابق إزاء عثمان أو الأمويين- وإشاعه الفساد والعمل على مخالفه السُـنّه، والانغماس فی اللهو والمجون، فكانت ثوره المـدينه بقياده عبـد الله بن حنظله «غسـيل الملائكه» رد فعل لهـذه المظاهر، لما علموا أن «يزيد بن معاويه صـاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمه على شـراب»(۱) ، «وهو رجـل ينكـح أُمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشـرب الخمر ويدع الصلاه»(٢).

وكان ذلك سبب خلع بيعه يزيد من قبل أهل المدينه، ويتجلى ذلك فی أقوال عبد الله بن حنظله:

«إنَّ يزيد أسرف فی المعاصی»،وقوله أيضاً:

«والله ما خرجنا على يزيد حتى خِفنا أن نرمى بالحجاره من السماء»(٣).

وإنَّ التدنی الخلقی الذی بلغه سلاطين الدوله نجده فی ما روی عن سليمان بن يزيد بن عبد الملك، الذی قتل أخاه وقال عنه:

«بُعداً له أشهدُ أنَّه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد راودنی عن نفسی»(۴)!!

١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، على بن الحسين المسعودی: ٢٩۴، دار الكتب العلميه- بيروت.

٢- تاريخ الخلفاء، السيوطی: ٢۴٩، دار الجيـل - بيروت، ١۴٠٨هـ-.؛ الطبقات الكبری، محمد بن سـعد؛ ۵ / ۶۶ دار صادر، بيروت (محقق).

٣- نفس المصدر: ٢٩۴.

۴- نفس المصدر، السيوطی: ٣٠٠.

ولتكتمـل الصوره عن الممـارسه والسـلوك الأـموى يضاف جمله من إشارات سابقه، وأخرى لم تـذكر، كتمزيق القرآن الكريـم، وعزم الخليفه وأمير المـؤمنين أن يشـرب الخمر على ظهر الكعبه، وقتـل الامـام الحسـين، وسـبى آل الرسـول صـلى الله عليه وآله، واسـتباحه المـدينه، وقتـل أصـحاب النبى صـلى الله عليه وآله والتمثيـل بهم، والنفى والتشـريد ... كلها دلائل البعـد عن المرجعيه الإسلاميه، وتمثل لروح الجاهليه التى حملها الأمويون على طول الخط ...(۱).

ص: ۳۴۴

۱- انظر العداله الاجتماعيه فى الاسلام،سيد قطب: ۱۸۵، تاريخ الخلفاء، السيوطى: ۳۰۲.

مصادر و مراجع الکتاب

۱) . أحکام القرآن، أبی بکر أحمـد بن علی الرازی الجصاص، متوفی ۳۷۰ ه-، دارالکتب العلمیه، بیروت، الطبعه الأولی، ۱۴۱۵ ه-..

۲) . الأحکام السلطانیه، علی بن محمد الماوردی، متوفی ۴۵۰ ه-، الإعلام الاسلامی، بدون تاریخ.

۳) . أخبار الدوله العباسیه، مؤلف من القرن الثالث، تحقیق، عبد العزیز الدوری، عبد الجبار المطلبی، الناشر دار الطلیعه، بیروت.

۴) . الأخبار الطوال، أبی حنیفه أحمد بن داود الدینوری، متوفی ۲۸۲ه-، دار إحیاء الکتب العلمیه، مصر، الطبعه الأولی، ۱۹۶۰.

۵) . اختیار معرفه الرجال، الطوسی، متوفی ۴۶۰ ه-، تحقیق میر داماد، مؤسسه أهل البیت علیه السّلام، ۱۴۰۴.

۶) . أسباب النـزول، علی بن أحمد الواحدی، متوفی ۴۶۸ ه-، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۷) . أسد الغابه، ابن أثیر، متوفی ۶۳۰ه-،دار إحیاء التراث، بیروت، ۱۴۱۵ه-.

۸ الأصابه، ابن حجر العسقلانی، متوفی ۸۵۲ه-، دار الکتب العلمیه،

ص: ۳۴۶

بيروت، ط،۱ ۱۴۱۵.

۹) . إكمال الكمال، ابن ماكولا، متوفى ۴۵۰، دار الكتاب الاسلامى – القاهره.

۱۰) . الامامه والسياسيه، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن ابن قتيبه الدينورى، الدكتور تحقيق طه محمد الزينى، دار المعرفه، بيروت، لبنان.

۱۱) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى،متوفى ۲۷۹ه–، دار الفكر،ط۱– ۱۴۱۵ه–.

۱۲) الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ابن عبد البر، دار الكتب العلميه، بيروت.

۱۳) بغيه الباحث عن زوائد مسند الحارث، على بن أبى بكر الهيثمى، متوفى ۸۰۷ه–، مسعد عبد الحميد السعدنى، دار الطلائع.

۱۴) الباب الحادى عشر، العلامه الحلى، طبع استان فقدس رضوى.

۱۵) البدايه والنهايه، ابن كثير الدمشقى، ۷۷۴ه–، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث– بيروت، الطبعه الأولى ۱۴۰۸ه–.

۱۶) البدايه والنهايه، ابن كثير الدمشقى، ۷۷۴ه–، دار مكتبه المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

۱۷) التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبه أضواء السلف، الرياض، ۱۴۲۲ه–.

۱۸) تاريخ ابن معين الدورى، متوفى۲۳۳ ه–، تحقيق عبد الله أحمد حسن، دار القلم.

ص: ۳۴۷

۱۹) تاریخ الأمم والملوک، محمد بن جریر الطبری، متوفی ۳۱۰ه–، مؤسسه الأعلمی، بیروت، لبنان.

۲۰) تاریخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی، متوفی ۹۱۱ه–، تحقیق محمد محی الدین، مطبعه السعاده – مصر، الطبعه الأولی ۱۳۷۱ه–.

۲۱) تاریخ الیعقوبی، أحمد بن أبی یعقوب، متوفی ۲۸۴ه–، دار الصادر بیروت، بدون تاریخ.

۲۲) تاریخ دمشق، علی بن الحسن ابن عساکر، متوفی ۵۷۱ه–، تحقیق علی شیری، دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۵ه–.

۲۳) السیره الحلبیه، علی بن برهان الحلبی، متوفی ۱۱۴۴ه–، دار المعرفه، بیروت، بدون تاریخ.

۲۴) تذکره الخواص، سبط بن الجوزی، مطبعه نینوی، طهران.

۲۵) تذکره الخواص، سبط بن الجوزی، مطبعه نینوی، طهران.

۲۶) تقریب التهذیب، ابن حجر العسقلان، متوفی ۸۵۲ه–، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۲۷) تقریب التهذیب، ابن حجر العسقلانی،متوفی ۸۵۲ه–، تحقیق مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیه، بیروت، الطبعه الثانیه ۱۴۰۵ه–.

۲۸) التنبیه والأشراف، علی بن الحسین المسعودی، متوفی ۳۴۵ه–.

۲۹) تهذیب التهذیب، ابن حجر العسقلانی، متوفی ۸۵۲ه–، دار الفکر، بیروت، الطبعه الأولی ۱۴۰۴ه–.

ص: ۳۴۸

۳۰) جامع البیان، محمد بن جریر الطبری، متوفی ۳۱۰ه–، دار الفکر– بیروت، ۱۴۰۵ه–.

۳۱) الجامع لأحکام القرآن، محمد بن أحمد القرطبی، متوفی ۶۷۱ه–، تحقیق أحمد عبد العلیم البردونی، دار الشعب/ القاهره، الطبعه الثانیه ۱۳۷۲ه–.

۳۲) الجرح والتعدیل، الرازی متوفی ۳۲۷، دار إحیاء التراث، الطبعه الأولی، ۱۳۷۲.

۳۳) جمهره رسائل العرب، أحمد زکی صفوت، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۳۴) الجوهر الثمین فی سیر الملوک والسلاطین، لابن دقمان، عالم الکتب، بیروت.

۳۵) حلیه الأولیاء، أحمد بن عبد الله، متوفی ۴۳۰ه–، دار الکتاب العربی، بیروت، الطبعه الرابعه ۱۴۰۵ه–.

۳۶) خصائص أمیر المؤمنین، أحمد بن شعیب النسائی، متوفی ۳۰۳ ه–، تحقیق هادی الأمینی، مطبعه نینوی.

۳۷) الخلافه والامامه: عبد الکریم الخطیب، دار المعرفه، بیروت، لبنان، الطبعه الثانیه ۱۳۹۵ه–.

۳۸) الدر المنثور، جلال الدین السیوطی، متوفی ۹۱۱ ه–، دار المعرفه، المطبعه الفتح - جده، الطبعه الأولی، ۱۳۶۵ه–. .

۳۹) دلائل النبوه، أحمد بن الحسین بن علی البیهقی، متوفی ۴۵۸ ه–، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۴۰)الدوله الأمويه فی الشام، أنیس زکریا النصولی، مطبعه دار السلام فی بغداد،۱۹۲۷.

۴۱) الدوله الأمویه یوسف العش، دار الفکر.

۴۲) تاریخ الدوله الأمویه، د.نبیه عاقل، دار الفکر، ط۳، ۱۳۹۴ه–

۴۳) رجال الشیخ الطوسی، محمد بن الحسن، متوفی ۴۶۰ه–، تحقیق جواد القیمومی الأصفهانی، مؤسسه النشر الاسلامی/ قم، ۱۴۱۵ه–.

۴۴) روح المعانی، أبو الفضل محمود الآلوسی، ۱۲۷۰ه–، دار إحیاء التراث، بیروت، بدون تاریخ.

۴۵) زاد المسیر فی علم التفسیر، عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی، متوفی ۵۹۷ه–، المکتب السلامی، بیروت، الطبعه الثالثه ۱۴۰۴ه–.

۴۶) سبل الهدی والرشاد فی سیره خیر العباد، محمد بن یوسف الصالحی الشامی، متوفی ۹۴۲ه–، دار الکتب العلمیه، الطبعه الأولی، ۱۴۱۲ه–.

۴۷) السقیفه وفدک،أحمد بن عبد العزیز الجوهری، متوفی تحقیق ۳۲۳ه–، د. هادی الأمینی، شرکه الکتبی، بیروت، الطبعه الثانیه ۱۴۱۳ه–.

۴۸) سیر أعلام النبلاء، الذهبی، متوفی ۷۴۸ه–، الناشر مؤسسه الرساله، بیروت، الطبعه التاسعه، ۱۴۱۳.

۴۹)سیره ابن هشام، محمد بن إسحق المطلبی، متوفی ۱۵۱ه–، تحقیق محمد محیی الدین حمید، الناشر محمد علی صبیح وأولاده، ۱۳۸۳ه–.

۵۰) شرح الأخبار، القاضی النعمان بن محمد التمیمی المغربی، متوفی ۳۶۳ه

-، مؤسسه النشر الاسلامی- قم.

۵۱) شرح مسلم، أبو زكريا بن شرف النووی، متوفی ۶۷۶ه-، دار الكتاب العربی، بيروت، الطبعه الثانيه ۱۴۰۷ه-.

۵۲) شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحديد، مؤسسه الأعلمی، بيروت، لبنان، طبعه ملونه، ۱۴۱۵ه-.

۵۳) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل فی الآيات النازله فی أهل البيت عليه السّلام، الحاكم الحسكانی عبيد الله بن أحمد، متوفی فی القرن الخامس، تحقيق محمد باقر محمودی، مجمع الثقافه الإسلاميه، الطبعه الأولی، ۱۴۱۱ه-.

۵۴) صبح الأعشی، أحمد بن علی القلقشندی، متوفی ۸۲۱ه-، تحقيق د. يوسف علی الطويل، دار الفكر- دمشق، الطبعه الأولی، ۱۹۸۷.

۵۵) صحيح البخاری محمد بن إسماعيل البخاری، متوفی ۲۵۶ه-، دار الفكر، طبعه بالأوفست عن طبعه دار الطباعه العامره باستانبول، ۱۴۰۱ه-.

۵۶) صحيح مسلم، مسلم بن الحسين القشيری النيسابوری، متوفی ۲۶۱ه-، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).

۵۷) صفين، نصر بن مزاحم، مطبعه المدنی، القاهره، ۱۳۸۲ ه.

۵۸) الضعفاء الكبير، محمد العقيلی، دار الكتب العلميه، ط۲، ۱۴۱۸.

۵۹) الطبقات الكبری، ابن سعد، متوفی ۲۳۰ه-، دار الصادر، بيروت، (بدون تاريخ).

۶۰) طبقات خليفه بن خياط، خليفه بن خياط، متوفی ۲۴۰ه-، تحقيق سهيل

ص: ۳۵۱

زكار، دار الفكر- بيروت، ۱۴۱۴ه-.

۶۱) عقائد الاماميه، الشيخ المظفر، دار التبليغ الإسلامی، قم، بدون تاريخ.

۶۲) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسی، متوفی ۳۲۸ه-، دار الكتاب العربی،بيروت، ۱۹۸۳.

۶۳) علل بن أبی حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران الرازی أبو محمد، وفاه المؤلف ۳۲۷، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفه، بيروت، ۱۴۰۵.

۶۴) عيون الأنباء فی طبقات الأطباء، موفق الدين أبی العباس أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس السعدی، متوفی ۶۶۸، دار مكتبه الحياه، بيروت، تحقيق، د. نزار رضا.

۶۵) الفتن، حماد بن نعيم المروزی، متوفی ۲۸۸، دار التوحيد، القاهره،ط۱۴۱۲،۱ه-.

۶۶) فتوح البلدان، يحيی بن أحمد البلاذری، متوفی ۲۷۹ه-، مطبعه لجنه البيان، مصر،۱۳۷۹ه-.

۶۷)الفتوح، ابن أعثم الكوفی، دار الندوه الجديده، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

۶۸) الفتوح، ابن أعثم الكوفی، متوفی ۳۱۴ه-، تحقيق شيری، دار الأضواء،بيروت،ط۱.

۶۹) الفخری، فی الآداب السلطانيه، ابن طباطبا، إنتشارات الشريف الرضی.

ص: ۳۵۲

۷۰) القاموس المحیط،الفیروز آبادی، متوفی ۸۱۷ه-، دار إحیاء التراث، بیروت، ۱۴۱۵ه-.

۷۱) الکامل فی الأدب، محمد بن یزید المبرد، متوفی ۲۸۵ه-، تحقیق نعیم زرزور، دار الکتب العلمیه، بیروت، الطبعه الأولی ۱۴۰۷ه-.

۷۲) الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر الجرزی، متوفی ۶۳۰ه-، دار الکتاب اللبنانی، ۱۹۸۳.

۷۳) کتاب الثقات، ابن حبان، متوفی ۳۵۴ه-، المطبعه مجلس دائره المعارف العثمانیه، الطبعه الأولی ۱۳۹۳ه-.

۷۴) کتاب السنه، عمرو بن أبی عاصم الضحاک، متوفی ۲۷۸ه-، المکتب الإسلامی، بیروت، ط۳، ۱۴۱۳ه-، المصنف، ابن أبی شیبه، دار الفکر، ط۱، ۱۴۰۹ه-

۷۵) الکشاف فی من له روایه فی الکتب السته، محمد بن أحمد الذهبی الدمشقی، متوفی ۷۴۸ه-، مؤسسه علوم القرآن، الطبعه الأولی ۱۴۱۳.

۷۶)کنز العمال، المتقی الهندی، مؤسسه الرساله، بیروت- لبنان.

۷۷) لأکون مع الصادقین، الدکتور التیجانی، دار الفجر- لندن.

۷۸) لسان العرب،ابن منظور، دار إحیاء التراث، بیروت، ۱۴۱۵ه-.

۷۹) مجمع البحرین، فخر الدین الشیخ الطریحی، متوفی ۱۰۸۵ه-، مکتبه نشر الثقافه الاسلامیه، الطبعه الثانیه ۱۴۰۸ه-.

۸۰) مجمع البیان، الفضل بن الحسن الطبرسی، متوفی ۵۶۰ ه-، مؤسسه

الأعلمی، بیروت، الطبعه الأولی ۱۴۱۵ه-.

۸۱) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمی، متوفی ۸۰۷ ه-، دار الكتب العلميه، بيروت، ۱۴۰۸ه-.

۸۲) مروج الذهب، المسعودی علی بن الحسين، دار الأعلمی، بيروت، لبنان، ۱۴۱۵ه-.

۸۳) المستدرک علی الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابوری، متوفی ۴۰۵ه-، تحقيق الدكتور يوسف المرعشلی، دار المعرفه، بيروت، ۱۴۰۶.

۸۴) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، متوفی ۲۴۱ه-، دار الصادر، بيروت، لبنان

۸۵) مسند ابن الجعد، علی بن الجعد بن عبيد الجوهری، متوفی ۲۳۰ه-، تحقيق عبد الله بن محمد البغوی، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلميه، بيروت، لبنان.

۸۶)المصنف، أبی بكر عبد الرزاق الصنعانی، متوفی ۲۱۱ه-، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمی، الناشر المجلس العلمی.

۸۷) المصنف، ابن أبی شيبه، متوفی ۳۲۵ه-، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، الطبعه الأولی ۱۴۰۹ه-.

۸۸) معجم البلدان، ياقوت الحموی، دار الكتب العلميه، بيروت، لبنان.

۸۹) المعجم الكبير،سليمان بن أحمد الطبرای، متوفی ۳۶۰ه-، مكتبه ابن تيميه، القاهره، الطبعه الثانيه، بدون تاريخ.

۹۰) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانی، نشورات المكتبه الحيدريه النجف الأشرف، ۱۳۸۵.

ص: ۳۵۴

۹۱) مقدمه ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، متوفی ۸۰۸ ه–، مؤسسه الأعلمی، بیروت، لبنان، بدون تاریخ.

۹۲) الملل والنحل، الشهرستانی، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۹۳) مناقب آل أبی طالب، ابن شهر آشوب، متوفی ۵۸۸ ه–، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، الطبعه الثانیه، ۱۳۷۶ه–.

۹۴) المناقب، الموفق بن أحمد المکی الخوارزمی، متوفی ۵۶۸ه–، مؤسسه النشر الإسلامی، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۲ه–.

۹۵) المهذب البارع، أحمد محمد بن فهد الحلی، متوفی ۸۴۱ه–، تحقیق الشیخ مجتبی العراقی، جامعه مدرسین، ۱۴۰۷ه–.

۹۶) المواقف، محمد بن إبراهیم الإیجی، دار الکتب العلمیه، بیروت.

۹۷) میزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، متوفی ۷۴۸ه–، تحقیق علی محمد البجاوی، دار المعرفه، بیروت- لبنان، الطبعه الأولی ۱۳۸۲ه–.

۹۸) النصائح الکافیه، محمد بن عقیل، متوفی ۱۳۵۰ه–، دار الثقافه- قم، الطبعه الثانیه ۱۴۱۲ه–.

۹۹) نظام الحکم فی الإسلام، د. محمد النبهان، جامعه الکویت، ۱۹۷۸، إعاده طبع.

۱۰۰)ینابیع الموده، الشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی، متوفی ۱۲۹۴ه–، تحقیق سید علی جمال أشرف الحسینی، أسوه - قم، الطبعه الأولی ۱۴۱۶ه–.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.